علي بن إبراهيم النملة

كُنه الاستشراق:

المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات



بيسان

علي بن إبراهيم النملة
كُنه الاستشراق:
المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات
بيسان

موسوعة الدراسات الاستشراقية

(١)

كُنه الاستشراق:

المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات

علي بن إبراهيم الحمد النملة

أستاذ المكتبات والمعلومات

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الثالثة

١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

بيسان

• اسم الكتاب: كُنه الاستشراق: المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات

• تـــأليـــف: علي بن إبراهيم الحمد النملة

• الطبعة الثالثة: تشرين أول (أكتوبر) 2011م

• الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام

ص. ب: 5261 ـ 13 بيروت ـ لبنان

تلفاكس: 351291 ـ 1 ـ 961

E-mail: info@bissan-bookshop.com

Website: www.bissan-bookshop.com

كُنه الاستشراق:

المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات

ⓗ علي بن إبراهيم الحمد النملة، ١٤٣٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النملة، علي بن إبراهيم الحمد.

كُنه الاستشراق: المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات ـ ط٢. ـ الرياض ١٤٣٢هـ

٣٠٢ص؛ ١٤ سم × ٢١ سم

ردمك: ٠ ـ ١٢١٧ ـ ٠٠ ـ ٣٠٦ ـ ٩٧٨

١ ـ الاستشراق والمستشرقون أ. العنوان

ديوي ٢٩٥،٣٠١   ١٤٣٢/٣٣٠٥

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٣٣٠٥

ردمك: ٠ ـ ١٢١٧ ـ ٠٠ ـ ٣٠٦ ـ ٩٧٨

الطبعة الثالثة

1432هـ/ 2011م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد؛

فقد تعرَّفت على الاستشراق في بدايات الاطِّلاع الجادِّ والتكوين الثقافي، وكان المدخل العلمي عن طريق دراسة الأدب الجاهلي وما فيه من نظرية الانتحال، ثم عن طريق مادة الثقافة الإسلامية بكليات جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية. واستمرَّ الاطَّلاع الجادُّ لمجرَّد الثقافة والعلم بالشيء.

ويشاء الله تعالى لي أنْ أعمل سنة ١٤٠٥ ـ ١٤٠٦هـ الموافق ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦م في معهد تاريخ العلوم الإسلامية والعربية بفرانكفورت بألمانيا الذي يديره الأستاذ الدكتور محمَّد فؤاد سزكين، والتقيت فيه بعض المستشرقين المنكبِّين على البحث والإنتاج. ودفعني الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين إلى المزيد من الاطِّلاع والمعرفة، كما دفعني إلى دراسة اللغة الألمانية

دراسةً منهجيةً، وقد فتح لي مكتبته المنتقاة بعناية، وكلَّفني بقراءة الكتب والمقالات باللغة الألمانية، ومن بينها المجلَّدات التسعة التي أنهى في حينه تأليفها، ثم فتح لي مكتبه للنقاش والحوار، فكان له عليَّ أثر يذكر ولا ينكر.

ثم عملت في الملحقية الثقافية السعودية بواشنطن، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م تحت إدارة الملحق الثقافي معالي الدكتور حمد بن إبراهيم السلوم ـ رحمه الله تعالى ـ الذي كان له هو الآخر أثر عليَّ في تشجيعي عل مزيد من الاتِّصال بالمستشرقين في الولايات المتَّحدة الأمريكية. وتعاونتْ الملحقيةُ الثقافية السعودية مع بعض المؤسَّسات المهتمَّة بالعرب والمسلمين في التعريف بالإسلام من خلال أستاذين مهتمَّين بالعرب والمسلمين، أولهما د. رالف برابنتي والآخر د. جورج نافه (نافع)، وكنت ممن أسهم بهذا بجهد المقلِّ من خلال المحاضرات واللقاءات في المدارس الثانوية وغيرها، والتقيت بعض المهتمِّين بالبلاد العربية بخاصَّة، وبالإسلام بعامَّة، ولكني لم أصنِّفهم من المستشرقين.

في هذه الأثناء برزت عندي فكرة رصد ما كُتب عن الاستشراق والمستشرقين باللغة العربية، وقد وجدتني أنكبُّ على المنشور وأتوسَّع في القراءة. وكان من نتيجة هذا التوسُّع وقوعي على قواسم مشتركة تتحدَّث عن التعريف والنشأة والأهداف والدوافع والعلاقات. وكانت العلاقات مبثوثة،

فبدأتُ مع استمراري في رصد المكتوب الكتابة، عن العلاقات والارتباطات بين الاستشراق والتيَّارات الأخرى، ثم رجعت إلى الكتابة عن التعريف والنشأة والأهداف والدوافع. ولم أجد أني أسهم بشيء سوى عرض شبه شامل لما كُتب عن هذه الجوانب الأربعة، حاصرًا مراجعي فيها على العربية وقليل من المراجع الأجنبية. وبدا أنها انتهت إلى أنها عرض أقحمت نفسي فيه بالرأي والتعليق وإبداء وجهة النظر، بشكل غير مطَّرد ولا مباشر.

ورغبت في التوسُّع في العرض، فوجدت نفسي مضطرًّا إلى شيء من التكرار الذي يفرضه الحديث عن جانب من الجوانب. ووجدت أنَّ الحديث عن بعض الجزئيات يحتاج إلى مزيد بسطٍ للنشأة، فعمدت إلى الحديث عن النشأة والمفهوم والدوافع والأهداف. بل وجدتني مضطراً قبل ذلك إلى فصل الدوافع عن الأهداف وسوَّغت هذا الفصل، وإنْ ظل اللبس ـ فيما يبدو ـ قائمًا.

تظلُّ ظاهرة الاستشراق موضع جدل وبحث، وإني أكاد أخرج بمشروع يؤدِّي إلى نتيجة عامَّة هي أنَّ الاستشراق لم ينلْ حظَّه من البحث العلمي المتجرِّد، بل تدخَّلت عوامل أخرى عند الحديث عنه في الغالب. واتُّهم من أنصف المستشرقين، ومن تجنَّى عليهم هو أيضًا متَّهم. ويصدق على هذه الظاهرة فيما يبدو القول المأثور من بيت شعر: «ويلي عليك وويلي

منك يا رَجُلُ»، فهناك شعور بالرغبة في البحث في العلوم الإسلامية من قبل غير المسلمين، وفي الوقت نفسه هناك إلحاح أنَّ الباحث في العلوم العربية والإسلامية ينبغي أنْ يلبس لباس المسلمين عند بحثه عن شؤونهم، وليس هذا بحاصل لأسباب ثقافية وعلمية على أقلِّ تصور - في غالبها - ومنها الانتماء لهذا الدين.

جاءت القراءات ترجمةً للإسهامات العربية (لغةً) في هذه الظاهرة، ولم أعمد إلى حذف رأي رأيت فيه عدم موافقة لهوًى في النفس، ولم أصرّ على إثبات رأي رأيت فيه الموافقة للهوى في النفس بعيدًا عن تطبيق المنهج، متَّبعًا في هذا المنهجَ العلميَّ المؤصَّل الذي عبَّر عنه الإمام الحافظ عبدالرحمن بن مهدي - رحمه الله تعالى - وهو من كبار أئمَّة الحديث الثقات، ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م في قوله: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلاَّ ما لهم».[١]

مما يعين على قرب هذه القراءات من القبول إنها عُرضت أكثرَ من مرَّة على علماء متخصِّصين لهم باعٌ طويلٌ في دراسة الظاهرة، فقد عُرضت عليهم عندما عمدت إلى نشرها مفرَّقةً في

(١) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، شيخ الإسلام. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم/ تحقيق وتعليق ناصر بن عبدالكريم العقل ـ. ط ٧. ـ الرياض: المحقِّق، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ـ. ص٨٥.

أكثر من دورية ومجلَّة محكَّمة، ثم عُرضت وهي في صورتها النهائية في الطبعة الأولى من الكتاب عن طريق مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية. وقد أفدت كثيرًا جدًّا من هؤلاء الأعلام الأفاضل، واعتمدت على ملحوظاتهم ـ بعد اعتمادي على الله تعالى ـ التي كان لها أثرٌ واضحٌ في الحدِّ من الاندفاع العاطفي، الذي كان صدًى لبعض الكتابات في عموميات الاستشراق وخطره على الثقافة الإسلامية، على اعتبار أنه تيَّار من التيَّارات الهدَّامة عند البعض. وأدين بهذا التروي في الحكم على الاستشراق لهؤلاء العلماء والباحثين الكرام، فلهم مني جزيل الشكر.

والشكر كذلك موجَّهٌ إلى أولئك الذين أعانوني على القيام بهذا العمل، وشجَّعوني عليه من الزملاء والأساتذة بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، وغيرها من المؤسَّسات العلمية كالمجلاَّت والدوريات والمراكز الصيفية وغيرها، وكان هذا العمل قد نشره بدءًا في طبعته الأولى سنة ١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، على أنه القسم الأوَّل من محاولة لرصد وراقي «ببليوجرافي» لما كتب عن الاستشراق باللغة العربية، وأضفت إليه وعدَّلت فيه يسيرًا، واستأذنت أمانة المركز في أنْ يُستل القسم الأوَّل من الكتاب لينشر؛ رغبةً في تعميم الفائدة والنفع ـ بإذن الله تعالى ـ وهذا هو المؤمَّل من نشره، مع ما أضيف إليه من أعمال تلت الطبعة

الأولى، مما لا يحتمل نشره في كتاب مستقل. وعليه يأتي هذا الكتاب تطويرًا للقسم الأوَّل من ذلك الكتاب.[1]

وقد أجريت في هذه الطبعة شيئًا من التعديل عكَس مدى ما وصلتُ إليه في فهم الاستشراق، بعد الرحلة التي واصلتها في دراسته، منذ أنْ تمَّ إعداد الكتاب إلى أنْ تمَّ تعديل القسم الأول منه مرَّتين، واقتضى هذا منِّي شيئًا من التصرُّف في الأفكار التي كنت قد طرحتها حينئذٍ، مدَّعيًا أنه كلَّما تمعَّن الباحث في دراسة الاستشراق والإحاطة به من وجه أو من أوجه، دون الادِّعاء بالإحاطة التامَّة، زادت نظرته الموضوعية له، وزاد وضوح هذه الظاهرة له، ومن ثَمَّ زاد حكمةً في الحكم عليه على أنه ظاهرة، والحكم على أربابه على أنهم علماؤه.

ثمَّ بعد أنْ شارفت الطبعة الثانية على النفاد أعدت النظر في الكتاب لطبعه طبعةً ثالثة، لا تكون إعادة طباعة، وإنما تكون طبعة مختلفة عن الطبعتين الأولى والثانية، وقد اخترت لهذه الطبعة عنوان كُنه الاستشراق: قراءات في المفهوم والارتباطات. وهو العنوان الذي اخترته للطبعة الأولى، إلا أنه لم يرُق لأحد المحكِّمين فاقترح تغييره.

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب ـ. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ـ ٣٧٠ ص.

على أنَّ هذه خطـوة تلتها ـ بحمد الله ـ خطوات في سبيـل الوصـول إلى كنه الاستشراق، وفي محاولة لشمولية النظرة، وتتبُّع الروابط والعلاقات بين هذه الظاهرة والظواهر الأخرى، التي كان لها أثر بارز في الوضع الفكري والتربوي والعلمي الذي تعيشه البلاد العربية والإسلامية اليوم، فظهرت إسهامات عدَّة حول العلاقات الثقافية بين الأمم، لا تكاد تخلو من ذكر الاستشراق بصفته مؤثِّرًا قويًّا من مؤثِّرات العلاقة بين المسلمين في الشرق والغربيين. هذا بالإضافة إلى سعي الباحث إلى رصد ما نُشر باللغة العربية حول الاستشراق، حيث جاء هذا الرصد في خمسة موضوعات في خمسة كتب سيأتي ذكر لها في هوامش هذا الكتاب. وكان الله في عون الجميع.

علي بن إبراهيم الحمد النملة

الرياض (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)

الباب الأوَّل

الاستشراق:
المفهوم والنشأة والدوافع والأهداف

التمهيـــد

الاستشراق مفهوم غير واضح المعالم لدى كثير من المفكِّرين العرب والمسلمين. وتعتمد قوَّة الحديث عنه على منطلقات المتحدِّث الفكريَّة. ونجد في هذا الصدد أنَّ المنطلقات الفكريَّة متعدِّدة متفاوتة. فهناك من ينظر إلى هذا المفهوم نظرة الإعجاب التي تصل أحيانًا إلى الانبهار. وهناك النظرة الرافضة لكل ما يأتي عن هذا المفهوم، مهما اصطبغ بالصبغة العلمية، إلى درجة التشكيك في اهتداء من اهتدى من اصحاب هذا المفهوم، لا سيَّما بعض من المستشرقين قد تظاهروا بالاهتداء، ربَّما قصدًا إلى تحقيق أغراض غير علمية على أحوط الأحكام.(١) وهناك النظرة الفكرية التي وقفت

---

(١) انظر: أغسطس رالي. مسيحيون في مكَّة/ ترجمة رمزي بدر.ـ لندن: دار الورَّاق، ٢٠٠٧م.ـ ٢٥٦ ص. وانظر إلى الكتاب بصيغة أخرى: أغسطس رالي. مكَّة المكرَّمة في عيون رحَّالة نصارى/ نقله إلى العربية حسن سعيد=

موقف المتأمِّل، فلم تنبهر ولم ترفض، وأخضعت نتاج هذا المفهوم لأحكام علمية خالصة فرفضت وقبلت.[1]

ليس هناك تحديد واضح لمفهوم الاستشراق، بحيث يمكن معه إطلاق هذا المصطلح على ظاهرة بعينها، لها قياداتها وأُطُرها ونظرياتها ومقوِّماتها. ومع الاتِّجاه الذي تمليه الكلمة، إلا أنَّ هناك خلطًا واضحًا في الإنتاج الفكري العربي الذي حاول تحديد المفهوم. «ولعلَّ السبب الرئيس في ذلك يعود بدرجة أولى إلى غموض المصطلح الذي خُصَّ به هذا الميدان، فهو على قدر من الشمول، بحيث إنه يدلُّ على كلِّ شيء، ولا يكاد يدلُّ على شيء بعينه، ففيه يُحشر علم الآثار والأدب، ويقرن علم الاجتماع بالإسلاميات، ثم تجمع هذه الاختصاصات وغيرها تحت عنوانه الواحد دون مراعاة لما بينها من فروق نوعية، واختلافات جوهرية».[2]

كما أنه ليس هناك تحديد واضح ودقيق لنشأة الاستشراق،

= غزالة وراجعه وعلَّق عليه محمَّد محمود السرياني ومعراج نوَّاب مرزا.ـ الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٣٠هـ.ـ ٣١٤ ص. ويبدو أنَّ هذه الترجمة أوسع من الأخرى لما حوته من تعليقات مفيدة جاءت من أهل مكَّة المكرَّمة. وأهل مكَّة أدرى بشعابها.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم.ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.ـ ٢٦٢ ص.

(٢) انظر: محمَّد الصبحي العلاني. الاستشراق الفرنسي والأدب العربي القديم: ريجيس بلاشير إنموذجًا.ـ تونس: المؤلِّف، ١٩٩٨م.ـ ص ٢٣ - ٢٤.

بحيث يستطيع الباحث أو المطَّلع أو المتوسِّع في هذا المجال أنْ يحدِّد تاريخًا بعينه، تكون فيه المنطلقات الأولى لاهتمام الاستشراق بعلوم الأمم الأخرى وثقافاتها وعقائدها وآدابها وعاداتها وتقاليدها التي كانت تغطِّي «الشرق».

وقد تعدَّدت الآراء حول البدايات الأولى للاستشراق إلى أحد عشر رأيًا، بعضها يعطي تاريخًا بعينه، وبعض آخر يعطي حقبةً أو عصرًا من العصور التي مرَّ بها الشرق أو العالم، والبعض الثالث لا يعطي زمنًا، وإنما يعتمد على حوادث أو غايات أراد الاستشراق الوصول إليها، فجُعلت هي البدايات.

ولم تكن لمفهوم الاستشراق دوافعُ واضحةٌ متميِّزة، بحيث يمكن تحديدها بدقَّة وعزل كلِّ دافع عن الآخر، بل جاءت الدوافع من خلال الإنتاج الفكري العربي متداخلة بعضها مع بعض، بحيث يخرج المطَّلع أحيانًا في حال هي أكثر غموضًا من ذي قبل، فيكون بحاجة إلى المزيد من الإقناع للتسليم بهذه الدوافع كلها، وإنْ سلَّم بدافع أو دافعين منها. والمتَّفق عليه بين بعض الدارسين العرب وغير العرب ابتداءً أنَّ هناك دوافعَ للاستشراق.[1]

---

(١) انظر: محمَّد ياسين عريبي. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي: نقد العقل التاريخي ـ ١ ـ.ـ الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٩١م.ـ ص ١٤٢.

مع غموض المفهوم والدوافع لم يكن هناك وضوح أيضًا في تحديد الأهداف، بل هناك خلط ـ أحيانًا ـ بين الدوافع والأهداف، نُظر إليه استنادًا إلى اتِّفاق أسماء الدوافع مع الأهداف إلى درجة جعلت أحد الكاتبين في هذا المجال يصرِّح بأنَّ الدوافع هي الأهداف، في الوقت الذي يبدو فيه أنَّ هناك اختلافًا دقيقًا بين الدوافع والأهداف، فالدوافع منطلقات، والأهداف غايات، وقد لا تصل قوَّة الاندفاع إلى الغاية ذاتها المقابلة لهذا الاندفاع، بل قد تصل إلى غاية مناقضة للدافع أو مغايرة له، وقد يقف المندفع وسط الطريق فلا يصل إلى الغاية، فينصرف إلى شأن آخر دون أنْ يصل للهدف، هذا مع ملاحظة القدرة على رسم الدوافع والانطلاق منها والصعوبة من ثَمَّ في الوصول إلى الأهداف المرسومة، فالبدء ممكن ولكن الوصول غير يسير.

ويعاني الإنتاج الفكري العربي في مجال الاستشراق في مجمله من ضعف الموضوعية والتجرُّد في معالجة هذا المفهوم. ويبرز هذا أحيانًا في عناوين الكتب والمقالات المنشورة، ناهيك عن الدخول في المعالجات. هذا عدا عن أعمال محدودة حاولت التجرُّد، ولكنها وقعت في محاذير لم تكن قد رسمتها دوافعَ لدراستها، أو منطلقاتٍ لها. ولعدم الموضوعية والتجرُّد ما يسوِّغه إلى حدٍّ ما، ولكنه تسويغٌ لا يصل إلى الإقناع بالقبول بهذا الموقف غير المتجرِّد. فلقد رأى «الغيورون» على التراث

العربي الإسلامي، وعلى القرآن الكريم، وسُنَّة الرسول وسيرته ﷺ أنَّ هناك أقوامًا خاضوا في مصادر الإسلام وفي تراثه وهم لاينتمون إليه، ولا تربطهم به علاقة، فقرأوا التراث، ولاحظوا استنتاجات لا تحتملها هذه المصادر، وهذا التراث الإيجابي على الأقلِّ. كما لاحظوا اتِّباع طريقة البحث عن العيوب ونقاط الضعف في التراث عمومًا ـ وليس في الكتاب والسنَّة ـ فبُنيت منها أحكام عامَّة، صُبغت بالعلمية فكان الردُّ ـ أو ردُّ الفعل ـ قويًا، غلبت عليه العاطفة في مواضعَ شتَّى، ففقد شيئًا من مقوِّمات الإقناع. ولم يتعدَّ المحلِّية، بحيث يكون مقبولاً من أولئك المستشرقين الذين أسهموا في النبش عن مواطن الضعف في التراث العربي الإسلامي. وسترد في هذا السياق نماذجُ لهذا.

وأصبحت «الغيرة» دافعًا لأنْ يكتب كثير من المهتمِّين عن الاستشراق. ومنهم من غاص في هذا المفهوم وخرج بنتائج مقنعة، لأنها مبنية على متابعة ورصد واستشهادات من «أدبيات» المستشرقين، فتخصَّص في هذا وأنتج كثيرًا من الدراسات. ومنهم من اكتفى بترديد جملة من العبارات يقولها في مناسبات علمية وفكرية عدَّة، بعد أنْ يغيِّر من عنوان البحث، أو يضيف إليه شيئًا، أو يحذف منه حسبما يقتضيه المقام. وهذه الفئة قليلة، ولكنها موجودة مدفوعة بالدفاع عن التراث العربي والإسلامي أمام تيَّارات الغزو الفكري الذي قد يَعدُّ الاستشراق

جزءًا رئيسيًا منه. ويحجم الباحث عن ذكر أمثلة من أرباب هذه الفئة هنا؛ رغبة عن التجريح والتطاول على بعض من اجتهدوا في هذا المجال.

بسبب من هذا نجد هذه العموميات في إطلاق الأحكام لا على أعمال بعينها، بل على المفهوم كلِّه، وعلى المسهمين فيه كلِّهم. وليس في هذا دفاعٌ عن مفهوم الاستشراق. فقد كان وما يزال للاستشراق أثره في الانحراف في فهم مقوِّمات الكتاب والسنَّة والتراث العربي الإسلامي، ولكن هذا الأثر يقابَل عادة بموقف التصحيح والتبيان والردِّ والنقد والنقض، بصورة بعيدة ما أمكن عن الأسلوب الدفاعي في التصدِّي لتلك الإسهامات، بل هو أسلوب هادئ من أساليب الحوار والتبادُل الثقافي، يُبيَّن فيه الحقُّ وتُجْلى الشبهات.

على أيِّ حال يدعو الأمر إلى مزيد من التحرِّي والدراسة التي قد تثبت ما ذهبت إليه أو تنفيه، أو تعطيه حجمًا مناسبًا له. والمهمُّ في هذا المقام هو محاولة الخروج بمفهوم للاستشراق يحدَّد من خلاله التعريف والنشأة والدوافع والأهداف والارتباطات. وهذا ما حاول الباحث القيام به في هذا الكتاب، مع عدم الادِّعاء بالإتيان بجديد، بل ربما انطبق الاتِّهام أعلاه على هذه المحاولة، لا سيَّما إذا تبيَّن من خلال المناقشات الآتية اعتمادُها على ما سبق الإسهام به من قبل من تعرَّضوا للاستشراق من قريب أو بعيد.

ولعلِّي بهذا أسهم في هذا النوع من الحوار الفكري بروح المنتمي إلى هذه الثقافة التي تعرَّضت لكثير من التشويه والهجوم من قِبل بعض المستشرقين وليس منهم كلهم. وكان الله في عون الجميع.

* * *

الفصل الأول

المفهوم القلق

التمهيد:

مرَّ أنَّ الاستشراق بالمفهوم الإجرائي الذي شاع بيننا الآن هو تصدِّي علماء غير مسلمين ـ سواء أكانوا من الشرق أم من الغرب ـ لدراسة علوم المسلمين وحضارتهم ومعتقداتهم وآدابهم وتقاليد شعوبهم وعاداتهم وآثارهم،[1] سواء أكانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض المتوسط أم الجانب الجنوبي منه. وسواء أكانت لغة هذه الشعوب العربية أم غير العربية، كالتركية والفارسية والأردية والبشتو وغيرها من اللغات التي تتحدَّث بها شعوب المسلمين، وكان لها فيها آثار علمية أخضعها المستشرقون للدراسة والتحليل. ويسمَّى هذا المفهوم بالمفهوم الإجرائي الذي لا يحيط بالمفهوم الشمولي المتعارف عليه بين

(١) انظر: محمَّد الأسعد. مستشرقون في علم الآثار: كيف قرأوا الألواح وكتبوا التاريخ. ـ بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٤٦ ص.

المستشرقين الأوائل ومن تصدَّى للأخذ عنهم أو الوقوف مع إسهاماتهم، والذي يشمل الشرق كلَّه.

وعليه، فإنَّ غير المسلم المشتغل بعلوم المسلمين وآدابهم وتراثهم وفنونهم وعاداتهم وتقاليدهم يُعَدُّ مستشرقًا، وذلك لأنَّ المعيار هنا هو الكتابة عن الإسلام والمسلمين من قبل أولئك الذين لا يدينون بالإسلام، فتكون كتاباتهم موضع نظر، وتخضع لشيء من الدراسة والتحليل والنقد والأخذ والردِّ، وقد تكون ذات هوًى، كما مرَّ في قول الإمام الحافظ عبدالرحمن بن مهدي. ومثل هذا التعريف قد لا يقبله بعض علماء المسلمين والعربية. فالأستاذ عمر فرُّوخ لا يَعُدُّ العربَ غير المسلمين ممن اشتغلوا بعلوم المسلمين من المستشرقين أمثال الأب لويس شيخو، وفيليب حتِّي وغيرهما.(١)

كما أنه تعريف ـ فيما يبدو ـ أشمل من تعريفاتٍ سبقته، وركَّزت على أنَّ الاستشراق هو اهتمام علماء الغرب فقط بعلوم المسلمين وتاريخهم ولغاتهم وآدابهم وعلومهم ومعتقداتهم وأساطيرهم. كما حاول أحمد حسن الزيات أنْ يعرِّفه.(٢) وكذا

(١) انظر: عمر فرُّوخ. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة.ـ ص ١٢٥ - ١٤٣.ـ في: الإسلام والمستشرقون/ تأليف نخبة من العلماء المسلمين.ـ جدَّة: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.ـ ٥١١ ص.

(٢) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر.ـ ط ٢.ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.ـ ص ٢١ ـ ٣٨.

الحال مع محمَّد حسين الصغير،[1] ومحمَّد عبدالغني حسن،[2] وأحمد الإسكندري،[3] ومحمود حمدي زقزوق،[4] ومالك بن نبي.[5]

ويقرب من هذا التعريف الأشمل تعريف عدنان بن محمَّد وزَّان، حيث ينصُّ على أنَّ الاستشراق هو: «مصطلح أو مفهوم عامٌّ يُطلق عادة على اتِّجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامَّة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة»،[6] فلم يحدِّد عدنان بن محمَّد وزَّان المنطقة التي

---

(١) انظر: محمَّد حسين علي الصغير. المستشرقون والدراسات القرآنية.ـ ط ٢.ـ بيروت: المؤسَّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.ـ ص ١١ ـ ١٣.

(٢) انظر: محمَّد عبدالغني حسن. عبدالله فكري.ـ القاهرة: الدار المصرية للطباعة، (د. ت.).ـ ص ٨٩. (سلسلة أعلام العرب).

(٣) انظر: أحمد الإسكندري وآخرون. المفصَّل في تاريخ الأدب العربي.ـ القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٣٤م.ـ ٢٠: ٤٠٨.

(٤) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ١٤٠٤هـ .ـ ص ١٧ ـ ١٨ .ـ (سلسلة كتاب الأمَّة؛ ٥).

(٥) انظر: مالك بن نبي. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث.ـ بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.ـ ص ٥٠.ـ (سلسلة مفاهيم إسلامية).

(٦) انظر: عدنان محمَّد وزَّان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر.ـ مكَّة المكرَّمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.ـ ص ١٥.ـ (سلسلة دعوة الحق؛ ٢٤).

تنبع منها هذه الدراسات، ولا المكان الذي يأتي منه هؤلاء الدارسون. إذًا فالجانب الجهوي غير معتبرٍ هنا.

ليس القصد من إغفال الجهة أو المكان إدخال العرب غير المسلمين فحسب، بل إدخال الشرقيين غير المسلمين بشكل عام. وحيث إنَّ المعرفة اليوم انتشرت شرقًا وغربًا بفعل القرية الكونية وتقارُب المسافات، لم يعُد الاهتمام بالمسلمين وعلومهم مقصورًا على علماء الغرب وجامعاتهم ومعاهدهم ومراكز بحوثهم، بل إنَّ الشرق «الأقصى» خطا خطواتٍ ملحوظةً في جامعاته ومراكز بحوثه نحو دراسة المسلمين وعلومهم وآدابهم وعاداتهم وتقاليدهم، بل وأساطيرهم. ولا بدَّ أنَّ هناك مستشرقين من اليابان وكوريا والصين والهند ودول جنوب آسيا الأخرى وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.(١)

ولا بأس من القول هنا إنَّ علماء الغرب مقارنةً بغيرهم من العلماء غير المسلمين كانوا هم السبَّاقين إلى دراسة علوم المسلمين وما يتعلَّق بهم ورسم المنهجية التي يقوم عليها البحث في الشأن الإسلامي في أطواره التاريخية المتعاقبة، كما يشير إلى ذلك تاريخ الاستشراق ونشأته.

ولا بأس من القول أيضًا بأنَّ المستشرقين من غير الغربيين ربَّما يكونون عالة على المستشرقين الغربيين، حين تتلمذوا

---

(١) انظر: علاء بيُّومي. الاستشراق الأسود: الأصول والإشكاليات.

عليهم أو قرأوا إنتاجهم الفكري، أو تبنَّوا منهجهم في البحث، أو حاولوا تحقيق بعض أغراضهم التي سعى الغربيون إلى تحقيقها من خلال دراساتهم ونشاطاتهم في هذا المجال. إلا أنَّ المستشرقين من غير الغربيين قد يكونون أكثر إقبالاً على الموضوعية في دراسة علوم المسلمين وما يتعلَّق بهم، لأسباب عدَّة؛ منها:

١ ـ أنَّ المستشرقين من غير الغربيين قد لا يملكون الجذور التاريخية التي دفعت إلى الاستشراق. وإنْ كنا لا نستطيع أنْ نجرِّد بعض المستشرقين الشرقيين من هذه الجذور.

٢ ـ أنَّ المستشرقين من غير الغربيين قد ظهروا في وقت بدأ به المسلمون حركةً فكريةً قويةً، كان لها أثر في نشر التراث وترجمة شيء منه إلى لغات أخرى غير العربية، لا سيَّما الألمانية ثم الإنجليزية، اللغة الشائعة في معاهد العلم اليوم.(١)

فئات المستشرقين:

ولذا نجد أنَّ هناك من يصنف المستشرقين على فئتين: فئة تستحقُّ التقدير والاحترام؛ لما لها من المآثر في نشر العلم

---

(١) انظر: عبد العظيم الديب. المستشرقون والتراث. ـ المحرَّق (البحرين): مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ـ ص ٧ ـ ١٤.

والثقافة، وتسهيل الوصول إلى مؤلَّفات وأعمال ودراسات بادروا إلى حفظها وتحقيقها ودرسها وفهرستها ونشرها.

وفئة أخرى، ومعظمهم من اليهود أو ممن يتعاطف معهم، درسوا الإسلام وعلومه قصدًا إلى محاربته وإنكار أصالته وأثره في تفكير المؤلِّفين الأوروبيين وفي المنجزات الفكرية الحضارية.[1]

وهذا تقسيم سريع لفئات المستشرقين أُريد منه التوكيد على التأثير اليهودي في الفئة الأخرى للاستشراق. والحقُّ أنَّ المستشرقين طوائفُ عدَّة إذا نظرنا إليهم بعيدًا عن جنسياتهم وخلفياتهم الثقافية. فمنهم فئة لم تملك ناصية اللغة فأخطأت في نشر الكتب وفي فهم النصوص، ومنهم فئة آثرت في دراساتها مآرب السياسة والتعصُّب للدين، فوجَّهت الحقائق وفسَّرتها بما يوافق أغراضها أو ما تسعى إليه. ومنهم فئة أوتيت الكثير من سعة العلم والتمكُّن من العربية والإخلاص للبحث والتحرُّر والإنصاف.[2] وربما كثر اليهود في الصنفين الأولين هنا.

ومثل هذا أنْ يُقال عنهم: إنَّهم فئات متعدِّدة حسب الميول والأهواء. فالفئة ذات المآرب السياسية هي الفئة التي يمكن أنْ

---

(١) انظر: محمَّد صالح البنداق. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم.ـ مرجع سابق.ـ ص ٩٣ ـ ٩٤.

(٢) انظر: صلاح الدين المنجِّد. المنتقى من دراسات المستشرقين: دراسات مختلفة في الثقافة العربية.ـ مرجع سابق.ـ ص ج ـ د.

يقال عنها إنها الفئة المتعصِّبة للغرب وطنيًا وجنسيًا. وهناك فئة المستشرقين المادِّيين الملحدين الذين يدعون إلى هدم المجتمعات القائمة، ويؤكِّدون أنَّ الأديان تقف عقبة في طريق الإصلاح الاجتماعي. وهناك فئة المؤمنين المحترفين سماسرة التنصير يتَّخذون من تشويه الإسلام صناعة لهم يستدرُّون بها الرزق. وهناك طائفة المغرمين بالأساطير والخرافات والخيال ينقلون عن المجتمع العربي المسلم صورًا علقت في أذهانهم عندما قرأوا «ألف ليلة وليلة». (١)

وهناك فئة الصهاينة، وهي أخطر الفئات على الإطلاق، لما يتوافر لها من الإمكانات المادِّية والوسائل الدعائية والإعلامية ودور النشر وغيرها. (٢) وهناك فئة المحتلِّين التي تبحث الآن عن مجالات أخرى تخدم فيها الاحتلال بعد أنْ شهدت انحساره عن أرض العرب والمسلمين والأراضي الأخرى.

والمستشرقون من حيث اهتماماتُهم فئاتٌ أيضًا:

١ ـ فهناك فئة عنيت بالقرآن الكريم وعلومه. (٣)

---

(١) انظر: آرثر آربري. المستشرقون البريطانيون/ ترجمة محمَّد الدسوقي النويهي.ـ لندن: مطبعة وليام كولنز، ١٩٤٦م.

(٢) انظر: عباس محمود العقَّاد. ما يقال عن الإسلام.ـ القاهرة: دار الهلال، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.ـ ص ٩ ـ ١٨.ـ (سلسلة كتاب الهلال؛ ١٨٩).

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية.ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.ـ ٢٦٩ ص.

٢ ـ وهناك فئة اهتمَّت بسيرة الرسول ﷺ.[١]

٣ ـ وهناك فئة عنيت بالسنَّة والحديث.[٢]

٤ ـ وهناك فئة ركَّزت على الفرق الإسلامية.[٣]

٥ ـ وهناك فئة عنيت بالأحكام الإسلامية.[٤]

٦ ـ وهناك فئة اهتمَّت بالفتوح الإسلامية.[٥]

٧ ـ وهناك فئة ركَّزت على الولاة والأمراء وحكَّام الأمصار والخلفاء في الدول الإسلامية.

٨ ـ وهناك فئة درست الحضارة الإسلامية وما لها من تأثير وما عليها من تأثُّر.[٦]

٩ ـ وهناك فئة تخصَّصت في الآداب العربية.

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. المستشرقون والسنَّة والسيرة في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.ـ ١٥٧ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. المستشرقون والسنَّة والسيرة في المراجع العربية.ـ المرجع السابق.ـ ١٥٧ ص.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق والإسلام في المراجع العربية.ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.ـ ٢٢٤ ص.

(٤) انظر: علي بن إبراهيم النملة. نقد الاستشراق في المراجع العربية.ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.ـ ٣٠٣ ص.

(٥) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية.ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.ـ ٢٥٦ ص.

(٦) انظر: محمَّد عبدالفتاح عليَّان. أضواء على الاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥٣ ـ ٥٧.

١٠ـ وهناك فئة اهتمَّت بالفنِّ الإسلامي.

١١ـ وفئة أخرى اتَّجهت إلى العلوم عند المسلمين.[١]

وهكذا تتعدَّد الفئات حسب الاهتمامات، ويدخل اليهود المستشرقون في هذه الفئات جميعها محاولين عدم التميُّز عن غيرهم من المستشرقين، بل ربما تعمَّدوا إخفاء الخلفية العرقية التي يعودون إليها، واكتفوا بأنهم مستشرقون إنجليز أو فرنسيون أو ألمان أو هولنديون أو أمريكيون.. إلخ «وهكذا لم يُرد اليهود أنْ يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهودًا، حتى لا يعزلوا أنفسهم فيقلَّ تأثيرهم... وبذلك كسبوا مرَّتين: كسبوا أوَّلاً فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها، وكسبوا ثانيًا تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى».[٢]

وعلى أيِّ حال فإنَّ تقسيم المستشرقين إلى فئات، واختلاف الفئات، يحتاج إلى دراسة مستقلة.

وكان من آثار هذه الحركة الفكرية وجود علماء مسلمين في الشرق والغرب هم أقلُّ خطرًا على الإسلام من المستشرقين،

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية.ـ مرجع سابق.ـ ٢٥٦ ص.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.ـ مرجع سابق.ـ وتقسيم المستشرقين إلى فئات، واختلاف الفئات، يحتاج إلى دراسة مستقلة.

وإنْ كان بعض المعنيين يرى أنهم أكبر خطرًا من المستشرقين، إذا ما عُدَّ هؤلاء من تلاميذ المستشرقين.

وليس بالضرورة أنْ يكون وجود هؤلاء العلماء المسلمين في الشرق والغرب مدعاةً لأنْ يوصموا بأنهم أصبحوا تلاميذَ للمستشرقين،[١] بل إنَّ النظرة العلمية تحتِّم علينا عدم وسم بعض تلاميذهم ممن تخرَّجوا على أيديهم بأنهم أصبحوا ممثِّلين لهم. ويحضرني هنا مثال طالب مسلم كفيف تتلمذ على مستشرق ألماني، وكتب رسالته للماجستير عن أمَّهات المؤمنين ـ رضوان الله تعالى عليهن ـ.[٢] وكانت كتابته منصفة دعت أستاذه إلى عدم الترحيب به تلميذًا له في مرحلة الدكتوراه، لأنَّ بحثه للماجستير لم يناسب ما يرمي إليه هذا المستشرق في أمَّهات المؤمنين. وقد يعدُّ البعض هذه الواقعة دليلاً على أنَّ تلاميذ المستشرقين «المرضي عنهم» أشدُّ خطرًا من المستشرقين أنفسهم. وليس في هذا نفيٌ لهذا، ولكنها المحاولة لاجتناب التعميم.

---

(١) انظر: علي محمَّد جريشة ومحمَّد شريف الزيبق. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي.ـ القاهرة: دار الاعتصام، (١٩٧٨م).ـ ص ٢٢ ـ ٢٤.

(٢) انظر: فاروق محمَّد الزيَّات. أمَّهات المؤمنين.ـ ميونخ: شركة بفاريا للنشر والإعلام، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م).ـ ١٠٩ ص. (بالألمانية). وقد قابلت الأستاذ فاروق الزيَّات أكثر من مرَّة في ألمانيا وناقشته حول هذا الموقف فأيَّده لي وقدَّم لي من الحجج ما يجعلني أثبت هذه الحادثة هنا.

٣. أنَّ الطابع العام للاستشراق في الآونة الأخيرة بدأ يميل إلى الموضوعية بقدر أكبر مما كان عليه من قبل، وبدأنا نستقبل دراساتٍ يصعب على القارئ المتخصِّص الخروج منها بغير الموضوعية، ما عدا بعض الأخطاء الشائعة التي توارثها المستشرقون وما استطاعوا التخلُّص منها، مثل مواقفهم من الفن «الإسلامي» والتصوف والفلسفة «الإسلامية». وهم يطرقون هذه الفنون على أنها من ثقافة المسلمين وجزء من حضارتهم. وهذا ناتج قطعًا عن عدم القدرة على التوسُّع في الأحكام الشرعية في الإسلام تجاه بعض التصرُّفات والسلوكيات التي استُحدثت وابتدُعت في حياة المسلمين في مدَّة المدِّ والرخاء والركون إلى المتعة، مما كان سببًا في ضياع رقعة غير يسيرة من بلاد كان يحكم بها الإسلام، والحكم على الشيء فرع عن تصوُّره.

ولعل من الدقَّة العلمية أنْ نفرِّق بين الاستشراق والاستعراب. والذي يبدو ـ هنا ـ أنَّ الاستعراب ينصبُّ على الاهتمام بالعرب. ولا يمكن الاهتمام بالعرب بعد البعثة المحمَّدية من دون الاهتمام بالدين الذي نقله العرب إلى بقية العالم. وإذا كان هناك إصرار على الاستعراب فيمكن أنْ ينصبَّ على الاهتمام بحياة العرب قبل الإسلام وحضارتهم وثقافتهم وآدابهم وتقاليدهم وعاداتهم وأساطيرهم ومعتقداتهم قبل الإسلام.

وهذا يعني أنَّ للعرب قبل الإسلام حضارةً وثقافةً وأدبًا

وتقاليدَ وعاداتٍ وأساطيرَ ومعتقداتٍ، بخلاف من يقول إنه لم يكن للعرب حضارة، وأنهم «لم يكونوا أمَّةً ولا شيئًا مذكورًا إلا بالإسلام».[1]

وأودُّ أنْ أصل إلى أنه متى ما دخل المستعرب في دراسة العرب أثناء بعثة محمَّد ﷺ وبعدها، فإنه يدخل في مصطلح الاستشراق، ويخرج من مصطلح الاستعراب. وقد يكون العالم الواحد مستعربًا ومستشرقًا في آن واحد بالنظر إلى اهتماماته. وعليه فإن الاستعراب ليس ـ على ما يظهر ـ فرعًا من فروع الاستشراق، كما يريده أحمد سمايلوفتش،[2] وينفيه خوان غويتسلو.[3]

على أنَّ المستشرقين الأسبان لا يرون أنَّهم من المستشرقين بهذا المفهوم الإجرائي، بل يفضِّلون أنْ يُدعوا بالمستعربين؛ لأنهم يبحثون في حقبة كان المسلمون فيها يحكمون الأندلُس

---

(١) انظر: أنور الجندي. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي.ـ دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.ـ ص ٨٩.

(٢) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٤.

(٣) انظر: خوان غويتسلو. في الاستشراق الإسباني/ تعريب كاظم جهاد.ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م.ـ ص ١٥٣ ـ ١٦٣، وانظر كذلك: محمَّد عبدالواحد العسري. الإسلام في تصوُّرات الاستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى آسين بلاثيوس.ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.ـ ٤٢٠ ص.

خصوصًا وإسبانيا عمومًا. والمستشرقون الأسبان يبحثون تاريخ بلادهم الثقافي والحضاري، فليسوا مستشرقين.[1] ولذلك نجد من يفرِّق بين الاستشراق الإسباني والاستعراب الإسباني، فالاستعراب الإسباني ـ كما يُنقل عن محمود صبح ـ يهتمُّ بالدراسات العربية الإسلامية، وبخاصَّةٍ الأندلُسية منها، والاستشراق الإسباني يهتمُّ بقضايا الشرق على العموم، وبخاصَّة قضايا الشرق الأقصى. وهناك تفصيلات أخرى لإطلاق مصطلح المستعرب أو المستعربة، تعود في إطلاق المفهوم إلى القرن الأوَّل والثاني الهجريين، وقد ذكرها محمَّد عبدالرحمن القاضي في كتابه عن ميغيل آسين بلاثيوس.[2] ولأحمد سمايلوفتش تفصيل آخر لمفهوم الاستعراب يحسن الرجوع إليه.[3]

وهناك إمكان واحد نستطيع فيه أنْ نقول إنَّ العالمَ الباحث في حضارة العرب قبل الإسلام يمكن أنْ يُطلق عليه مستشرق،

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح.ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.ـ ص ٧١ ـ ٧٢.ـ (سلسلة الأعمال المحكَّمة؛ ٩٧).

(٢) انظر: محمَّد عبدالرحمن القاضي. ميغيل آسين بلاثيوس (MIGUEL ASIN PALACIOS (1871 - 1944) رائد الاستعراب الإسباني المعاصر.ـ الرياض: المجلة العربية، ١٤٣١هـ.ـ ص ٨ ـ ١١.ـ (سلسلة كتاب المجلة العربية؛ ١٦٧).

(٣) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٢ ـ ٣٤.

وذلك إذا جعل من دراساته في حضارة العرب قبل الإسلام قاعدةً ينطلق منها للحكم على جزئية مهما صغرت من الإسلام، كما فعل مرجليوث في نظريته حول الانتحال في الشعر العربي في كتابه أصول الشعر العربي المنشور سنة ١٩٢٥م،(١) إذ نظر الناقدون إلى هذه النظرية على أنها لا تمسُّ العرب قبل الإسلام فحسب، بل إنها تتعرَّض لموضوع مهمٍّ جداً في حياة المسلمين، يتعلَّق بعلم الرواية أو الإسناد أو علم الرجال، إذ التشكيك في رواية أشعار العرب قبل الإسلام يصل إلى التشكيك في رواية الأحداث والأحاديث بعد الإسلام، بل وفي نسب الرسول ﷺ.(٢)

ومع هذا كلِّه فالتفريق بين المفهومين غير دقيق. وعلى أيِّ حال فإنَّ هذه المحاولة في التفريق بين التوجُّهين إنما هي جزء من محاولات للخروج من مصطلح الاستشراق الذي تحمل لفظته العربية «من الشحنة العاطفية أكثر من معادلها الأعجمي Orientalisme».(٣)

---

(١) انظر: شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي.ـ ط ١٢.ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣م.

(٢) انظر: نذير حمدان. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين.ـ ط ٢.ـ جدَّة: دار المنارة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.ـ ص ١٧٣.

(٣) انظر: ناديا أنجيليسكو. الاستشراق والحوار الثقافي.ـ الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ١٩٩٩م.ـ ص ٧٢.

على أنَّ هناك محاولةً للانتقال من الاستشراق إلى مصطلح يكاد يكون جديدًا، فبسبب من نظرة مفكِّري المسلمين للاستشراق وتصدِّيهم بالنقد لما أفرزته الدراسات الاستشراقية صار بعض المستشرقين يعمد إلى الهروب من هذا المصطلح، ويحاول أنْ يلصق نفسه بمصطلح جديد، بدأ يتردَّد في أوساط المهتمِّين بالمسلمين وعلومهم وهو علم الإسلاميات وعلماء الإسلاميات.

ومن هؤلاء عالم الإسلاميات المعاصر جون إسبوزيتو الذي رفض في محاضرة ألقاها في السفارة الأمريكية بالرياض أنْ يُدعى من المستشرقين، وفضَّل أنْ يدخل في حمى علماء الإسلاميات، وقبله رفض أندريه ميكيل هذا التصنيف، إذ ردَّ على من اعتبره من المستشرقين بقوله: «أنا لست مستشرقًا وأرفض هذه الكنية، أنا عروبي، سحرني الأدب العربي، فانكببت عليه بحثًا ودراسة».(١)

وبعد ميكيل جاءت ناديا أنجيليسكو لتنفي عن نفسها كذلك «تهمة» الاستشراق بقولها: «خلال زيارتي إلى البلدان العربية قدَّمتني الصحف أكثر من مرَّة بـ«المستشرقة الرومانية ناديا أنجيليسكو»، واحتججت أكثر من مرَّة على هذه التسمية. طبعًا

---

(١) انظر: الاستشراق.ـ بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، (فبراير ١٩٨٧م).ـ ٢: ١٩٣-١٩٤.

كان من أهمِّ الأسباب لاحتجاجي أنَّ شخصية «المستشرق» أصبحت مشؤومة إلى حد ما في الوطن العربي...».[(١)] وبين ذلك جاء دانيال ريج الذي اعترف بكراهية المسلمين للمصطلح.[(٢)]

ومجرَّد الهروب من المصطلح يوحي بأشياء غير قليلة، منها:

- أن هناك نيَّةً لطرق أبواب الموضوعية في دراسة أحوال المسلمين، لا سيَّما في الوقت المعاصر الذي ظهر فيه صيت الإسلام في الغرب بطرق غير مناسبة أحيانًا كثيرة، وبطرق مناسبة أحيانًا قليلة.[(٣)]
- أنه ـ على رأي المستشرق دانيال ريج ـ الذي «رسم في الصفحات الأخيرة من كتابه الإنسان والاستشراق صورةً قاتمةً عن واقع الدراسات العربية المكتوبة باللغة الفرنسية، فقد مضى جيل الأسماء اللامعة، ومع رجال أمثال ريجيس بلاشير وهنري لاوست وشارل بيلا،

---

(١) انظر: ناديا أنجيليسكو. الاستشراق والحوار الثقافي.ـ مرجع سابق.ـ ص١٧ ـ ١٨.

(٢) انظر: محمَّد خليفة حسن. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر.ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.ـ ص ٢٥ ـ ٢٦.

(٣) انظر: ناديا أنجيليسكو. الاستشراق والحوار الثقافي.ـ مرجع سابق.ـ ص٢٦ ـ ٣٣.

استوفى الاستشراق التقليدي في مجال الدراسات العربية منذ سنوات الخمسين آخر طلقاته، وانكفأ الباحثون المتخصِّصون في العربية ولغتها وأدبها على أعمال بسيطة هي مرجع صدى باهت لما قام به سابقوهم».[1] وعليه فإنَّ الاستشراق بدأ ينزع إلى السطحية، ويميل إلى البعد الإعلامي الصحفي البسيط.[2]

- أن هناك «تكتيكًا» جديدًا لا يعدو أنْ يكون استمرارًا لفكرة الاستشراق ومنهجه، ولكن مع محاولة تغيير المصطلح طمعًا في القبول وكسبًا للوقت، بحيث لا يعرف مفكرو المسلمين حقيقة هذا المصطلح، حتى يكون قد قطع شوطًا غير يسير في تحقيق أهداف الاستشراق، وفي هذا الرأي سيطرة لهاجس المؤامرة الذي طغى على تفكير كثير من الأمم، ناهيك عن الأشخاص.[3]

وقد رسخ في الأذهان أنه من الصعب جدًا - في الغالب - لغير المسلم أنْ يتحدَّث عن الإسلام بإيجابية تامَّة، وإنْ كانت

---

(١) انظر: محمَّد الصحبي العلاني. الاستشراقي الفرنسي والأدب القديم.- مرجع سابق.- ص ٢٠٠.

(٢) انظر: حسن عزوزي. ظاهرة الاستشراق الصحفي.- الوعي الإسلامي.- ع ٤٠٣ (ربيع الأوَّل ١٤٢٠هـ/ يونيو - يوليو ١٩٩٩م).- ص ٥٨ - ٥٩.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل.- الرياض: المؤلِّف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.- ٢٣٠ ص.

هناك محاولات جادَّة أنصفت الإسلام والمسلمين،[1] ولكنها محاولات محدودة انتهت ببعض أصحابها إلى اعتناق الإسلام. وعلى أيِّ حال فقد عالج الباحث فكرة التخلِّي عن المصطلح في عمل مستقلٍّ بعنوان: الالتفاف على الاستشراق.[2]

* * *

(١) انظر: كارين آرمسترونج. النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام/ ترجمة محمد الجورا.ـ دمشق: دار الكلمة، ٢٠٠٥م.ـ ٤٢٤ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الالتفاف على الاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ١٨٢ ص.

الفصل الثاني

النشأة والتاريخ

التمهيد:

الذين يبحثون في نشأة الاستشراق يمرُّون بصعوبة تحديد زمن بعينه يمكن أنْ يقال عنه إنه بداية الانطلاقة الاستشراقية، ولأنَّ هناك شبه إجماع على أنَّ أغراض الاستشراق لم تكن موضوعية علمية في مجملها فإنَّ نشأة فكرة الاستشراق يمكن أنْ تكون قد بدأت مع بعثة محمَّد ﷺ سنة ٦١١م، في مكَّة المكرَّمة، فعلم بها «الغربيون» من خلال الوفود التي بعثها الرسول ﷺ، فمثُلت أمام قيصر ملك الروم تدعوه إلى الإسلام حاملةً معها كتاب النبي محمَّد ﷺ الذي يحدِّد فيه العلاقة المتوخَّاة بين الشرق والغرب من خلال الرغبة في اعتناق الإسلام ومناصرته.(١)

---

(١) انظر: عبدالسلام هارون. تهذيب سيرة ابن هشام.ـ ط ٢.ـ القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.ـ ص ٣٧٥. وانظر أيضًا: =

إذا سمح لهذا الاتجاه بأنْ يكون منطلق فكرة الاستشراق فعلينا ألا نغفل وفد الرسول ﷺ إلى الحبشة، حيث فتح هذا الوفد للأحباش آفاقًا جديدة للتعرُّف على الإسلام، بدأها النجاشي من خلال حواره مع رئيس الوفد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد سبق هذا الوفدُ الوفودَ الأخرى التي انطلقت إلى فارس وبيزنطة، ذلك أنه صاحب هجرة المسلمين من مكَّة المكرَّمة إلى الحبشة فرارًا بدينهم من اضطهاد المشركين لهم في مكَّة المكرَّمة.(١)

أمَّا إذا وسَّعنا من فكرة الانطلاق - كما هي الحال عليه في مناقشة المفهوم في الفصل السابق - فإننا نجد أنَّ هناك جذورًا للاستشراق في المدينة المنوَّرة ذاتها. يتزعَّم هذه الجذور عبدالله بن سبأ، الذي يُذكر أنه قد عمل على زعزعة المسلمين، ورفع شعارات تحوم حول الأحقية بالخلافة، كانت نتيجتها وجود تيَّار لا يزال يذهب إلى أنَّ أفرادًا من الصحابة لم يكونوا أحقَّ

= محمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري (ت ٧٨٣هـ). المصباح المضيء في كُتَّاب النبي الأمِّي ﷺ إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي/ علَّق عليها ووضع حواشيها أحمد فريد المزيدي.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.- ٢٢٧ ص. ويليه كتاب إعلام السائلين عن كُتُب سيِّد المرسلين ﷺ لمحمد بن علي بن أحمد بن خمارويه بن طولون الصالحي الدمشقي الحنفي، (ت ٩٥٣هـ).- ص ٢٢٨ - ٢٧٩ ص.

(١) انظر: عبد السلام هارون. تهذيب سيرة ابن هشام.- مرجع سابق.- ص ٧٢ - ٧٨.

بالخلافة من أفراد آخرين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ مما كان سببًا رئيسيًا في بروز فكرة السبئية.[(1)]

على أنَّ هناك مؤرِّخين ينفون وجود الاسم في التاريخ الإسلامي وإنْ وجدت فكرته ومفهومه، وأنَّ رواياتٍ وردت عنه في كُتُب الفِرَق والأدب غير صحيحة، وأنه شخصية وهمية، وأنه لا أثر له في إحداث الفتنة وأحداثها زمن الخليفة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه.[(2)]

يذهب بعض الباحثين إلى أنَّ نشأة الاستشراق يمكن أنْ ينظر إليها مع بداية الانطلاقة الإسلامية عن طريق الغزوات والفتوح. وتعدُّ غزوة «مؤتة» في شمال جزيرة العرب الانطلاقة الحربية الأولى للمدِّ الإسلامي في السنة الثامنة للهجرة، (٦٢٩ ميلادي)، هذه الانطلاقة كان ينظر إليها على أنها تهديد للوجود «غير الإسلامي».

وحيث لم تُجْدِ الكتب ولا الوفود، وحيث رفض بعض الأقوام حمايتهم من المسلمين ودفع الجزية، كان لا بدَّ من

---

(١) انظر: عباس محمود العقاد. إسلاميات: عبقرية عليّ.ـ القاهرة: دار الشعب، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.ـ ص ٣٧ ـ ٤٧.

(٢) انظر: عبد العزيز الهلابي. عبدالله بن سبأ: دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة.ـ الكويت: جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، حوليات كلِّية الآداب، ١٩٨٧م.ـ وانظر الطبعة الثانية من هذا العمل.ـ لندن: صحارى، ١٩٨٩م.ـ ٩٤ ص.

الخيار الثالث، وهو الجهاد في سبيل الله. وكان لا بدَّ للآخرين أنْ يجابهوا هذا المدَّ الإسلامي، ويصرُّوا على رفض الخيارين الأولين: الإسلام أو الجزية. والمجابهة لا تقتصر على الجنود والسلاح والوقائع والنزال، ولكن جانبًا علميًّا وفكريًّا صحب الحرب وكان ملازمًا لها؛ إذ اضطرَّت «الحكومات» أنْ تتعرَّف على هذا القادم الجديد،[1] وأنْ تعطي عنه صورًا تشجِّع على قتاله والوقوف في وجهه، لا سيما أنَّ الوصول إلى «مؤتة» يعني الوصول إلى «بيت المقدس». والوصول إلى «بيت المقدس» - في زعمهم - يؤثِّر في فكرة «الحجِّ» عند النصارى[2] إلى «بيت المقدس»، فكان هناك تخوُّف فكري وطائفي من أنْ تمتدَّ حضارة الإنسان من خلال الإسلام، فكان لا بدَّ من المواجهة.[3]

الأندلُس وصقلِّية:

وفي العصر الأُموي كانت هناك صلات بين الشرق

---

(١) انظر: قاسم السامرَّائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.ـ ص ١٩.

(٢) رجَّحت التعبير بالنصارى على التعبير بالمسيحيين من باب التفضيل استنادًا إلى ذكرهم بالقرآن الكريم. انظر: محمَّد عثمان بن صالح. النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير: دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات.ـ المدينة المنورة: مكتبة ابن القيِّم، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.ـ ٦٩ ص.

(٣) يفرِّق الباحث بين المواجهة والمجابهة، إذ المواجهة بالحجَّة والإقناع والبرهان والدليل، والمجابهة تأتي بالقوَّة والعنف والتصادُم.

الإسلامي والغرب الأوروبي، وفي الأندلس وصقلية لم يعُد الشرق الإسلامي شرقًا إسلاميًا فقط، فقد دخل الإسلام في الغرب الأوروبي، ودخله بقوَّة روحية ومادِّية وعلمية. وظهرت الجامعات والمعاهد ومراكز العلم والمعرفة في الوقت الذي بقي فيه الإحساس الأوروبي ـ النصراني الزعامة ـ بأنَّ هؤلاء القادمين من الشرق لا بدَّ أنْ يعودوا إلى الشرق. ولن يعودوا إلا إذا تعلَّم الغربيون سرَّ وصول هؤلاء الشرقيين إلى الغرب. فدرسوا في مدارسهم وجامعاتهم، وكانت البعثات إلى جامعات طليطلة وقرطبة وبلنسية وإشبيلية وغرناطة والميرة وغيرها.[١] فخرجت في بداياتها معتزَّةً بما تعلَّمته من المسلمين، بما في ذلك الحديث باللغة العربية وتقمُّص اللباس العربي والعمامة الشرقية وجعلهما علامة على العلم، مما جعل ألبارو يتحسَّر على هذا التحوُّل، في الوقت الذي أُريد فيه منهم أنْ يتعلَّموا علوم المسلمين لدحض الإسلام والردِّ عليه.[٢]

فعاد خرّيجو هذه الجامعات الإسلامية يخدمون في الأديرة والكنائس، وينشئون المعاهد والمدارس الملحقة بها،

---

(١) انظر: يوسف أسعد داغر. مصادر الدراسات الأدبية.ـ بيروت: المطبعة المخلّصية، ١٩٦١م.ـ ٢: ٧٧٢.

(٢) انظر: محمَّد عبدالرحمن القاضي. ميغيل آسين بلاثيوس (MIGUEL ASIN PALACIOS (1871 - 1944 رائد الاستعراب الإسباني المعاصر.ـ مرجع سابق.ـ ص ٩ ـ ١٠.

ويدرِّسون اللغة العربية وعلوم الإسلام. ثم حملت الكاتدرائيات العبء الأكبر في تعليم اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي عن طريق الأديرة، وذلك منذ القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي. «فذاعت شهرة مدارس (أوبيدو) و(ليون) و(برشلونة) و(سانت باجو)، وقامت مثيلات لها في (باريس) و(أورليان) و(تور)، وفي كبرى مدن إيطاليا وإنجلترا وبلجيكا وغيرها».(١)

وفي الشرق الإسلامي، وانطلاقًا من الخوف على «بيت المقدس»، أو انطلاقًا من التستُّر وراء الخوف على بيت المقدس من المسلمين، كانت حروب الفرنجة أو الحملات الصليبية ـ كما يسمِّيها الصليبيون أنفسهم ـ منطلقًا من المنطلقات التي يمكن أنْ يقال عنها إنها أسهمت في نشأة الاستشراق. فكان القادة العسكريون مصحوبين ببعض العلماء الذين درسوا الثقافة الإسلامية والعربية، وكانوا يعملون مستشارين علميين للقادة العسكريين، وعلى أيديهم تمَّ ترحيل مجموعة هائلة من نتاج المسلمين العلمي والفكري (المخطوطات) في شتَّى العلوم، لتبقى إلى اليوم في معظمها مخبوءة في شهيرات المكتبات والمتاحف الأوروبية.(٢) وكانت مادة «دسمة» للمستشرقين

---

(١) انظر: نذير حمدان. مستشرقون سياسيون، جامعيون، مجمعيون.ـ الطائف: مكتبة الصدِّيق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.ـ ص ١٧.

(٢) انظر: محمَّد ياسين عريبي. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٣١ ـ ١٦٠.

المتأخِّرين، فدرسوا وحقَّقوا شيئًا منها ونشروا مجموعة لا باس بها منها كذلك.[1]

تهديد الإسلام:

وبين هذه وتلك يظهر رأي مؤدَّاه أنه مع بروز المدِّ الإسلامي في الشرق والغرب ظهرت الحاجة إلى الردِّ على الإسلام والمسلمين، لا سيَّما أنَّ الإسلام هو الدين المكمِّل للأديان السماوية التي سبقته، وأنه صريح في أنه خاتم الأديان، وأنَّ محمَّدًا ﷺ كان خاتمَ الرسل، وهو الذي وضع اللَّبِنَة الأخيرة في البناء الديني الذي أسهم فيه إخوة له من قبل. فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مثَلي ومثَل الأنبياء من قبلي كمثَل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلاَّ موضع لَبِنة من زاوين، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلاَّ وُضعت هذه اللَّبِنَة؟! فقال: أنا اللَّبِنَة، وأنا خاتم الأنبياء». رواه البخاري في صحيحه.[2]

يؤكِّد هذا أنَّ الأديان السماوية السابقة للإسلام قد تعرَّضت للإفساد من قبل بعض المستفيدين، ممن تلبَّسوا بلباس الدين، أو كان لهم تأثير قوي في الكنيسة، فهبَّ هؤلاء للحدِّ من هذا

---

(١) انظر: أحمد الشرباصي. التصوُّف عند المستشرقين.ـ القاهرة: مطبعة نور الأمل، ١٩٦٦م.ـ ص ٧.

(٢) انظر: صحيح البخاري.ـ كتاب المناقب.ـ باب: ١٨.

المدِّ الذي أصبح يهدِّد وجود هؤلاء المستفيدين على الصيغة التي هم عليها، ويهدِّد ذوي التأثير القوي في الكنيسة، فيؤكِّد أنَّ الإنسان لا يملك أنْ يغيِّر في شيء أنزله الله، فيحذف منه أو يزيد عليه.[1]

ولا يركِّز هذا الرأي على تأريخ بعينه، ولكنه لا يملك أنْ يخفي أنَّ هذا الاتجاه كان مصاحبًا للازدهار الإسلامي في العصر العباسي على أقوى الاحتمالات.

السامية:

على أنَّ هناك رأيا يقول: إنَّ نشأة الاستشراق تعود إلى البدايات في محاولة تفهُّم العقلية الساميّة.[2] ومصطلح الساميّة يُطلق اليوم فينصرف الذهن إلى اليهود. واليهود يتعلَّقون بالساميّة، ويتَّهمون كلَّ أو جلَّ من يقف في طريقهم بمعاداته للساميّة. حتى أنَّ بعضًا منهم عمد إلى اتِّهام العرب الساميين بمعاداتهم للساميّة!

ومحاولة التعرُّف على العقلية الساميّة يمكن أنْ ينظر إليها على أنها جزء أسهم في نشأة الاستشراق، إذا نظرنا إلى أنَّ بعض

---

(١) انظر: علي حسني الخربوطلي.ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامي.ـ القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.ـ ص ٢٢.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة محمَّد عناني.ـ القاهرة: رؤية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م).ـ ٥٦٠ ص.

المستشرقين قد بدأ اهتمامه بالعبرية وتراث اليهود، فوجد شيئًا من العلاقة بين دراسة تراث اليهود ودراسة الإسلام والمسلمين، وربما العرب، فاستمرَّ في دراسة التراثين اليهودي والمسلم، أو ربما عزف عن دراسة التراث اليهودي واتَّجه إلى دراسة تراث المسلمين. ومن أبرز من اشتُهر عنه هذا الاتِّجاه المستشرق المجري «إيناس جولدزيهر».[(١)] ولكن «جولدزيهر» متأخِّر جدًّا، ولا يمكن الاحتجاج به على أنه يمثِّل هذا المنطلق.

وعلى أيِّ حال فلا علاقة مباشرةً بين الإسلام والساميّة سوى أنَّ الانطلاقة الأولى للإسلام كانت على أيدي العرب الساميين، فإنْ كانت هناك محاولات لفهم العقلية العربية الإسلامية والنفسية العربية الإسلامية فإنها محاولات عاجزة عن الوصول إلى هذا الهدف، والسبب في ذلك ربما يعود إلى تغليب الأهواء والآراء المسبقة.[(٢)]

الاحتلال:

هناك رأي يذهب إلى أنَّ البدايات الحقيقية للاستشراق كانت مزامنة ـ أو سابقة سبقًا تمهيديًا ـ لحقبة الاحتلال الأوروبي للعالم

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ ٣ ج.ـ ط ٥.ـ القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦م.ـ ٣: ٤٠ ـ ٤٢.

(٢) انظر: أنور الجندي. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٩٤.

الإسلامي، شرقه وغربه.[1] وقد احتاج المحتلُّون إلى المستشرقين كثيرًا في حقبة الاحتلال، إذ كان رهط من المستشرقين يعملون مستشارين في وزارات الحربية والخارجية والاحتلال في البلاد المحتلَّة كإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا.[2]

وهذا رأي تشهد له الوثائق وتقرِّبه الحوادث. ولكنه لا يقف شاهدًا على نشأة الاستشراق، فالاستشراق كان موجودًا قبل حقبة الاحتلال، وعلم به المحتلُّون فقرَّبوا المستشرقين منهم، وأفادوا منهم كثيرًا في رسم استراتيجيات الاحتلال، وصاحب بعضُ المستشرقين المحتلِّين في غزو البلاد الإسلامية، كما صاحب بعضُ المستشرقين الصليبيين من قبل.

ونستطيع القول إنَّ الاستشراق قد ازدهر كثيرًا في حقبة الاحتلال. وزادت رحلات المستشرقين إلى العالم الإسلامي،

---

(١) في سبيل تحديد للمفهومات وإعطائها المصطلحات المناسبة لها يرفض الكثيرون إطلاق مصطلح الاستعمار على هذه الحركة، ويفضلون أنْ يحلَّ محلَّها مصطلح «الاحتلال» على سبيل التفضيل لا التخطئة لمصطلح الاستعمار. على أنَّ البعض نظرًا لقوة ردِّ الفعل لديهم يسمُّون هذه الحركة بالاستدمار. وفي هذا مبالغة يغني عنها مصطلح الاحتلال؛ لما يكتنفه المصطلح من مفهوم يفضي إلى المراد. انظر: علي بن إبراهيم النملة. إشكالية المصطلح في الفكر العربي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات.ـ بيروت: بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.ـ ٢٤٨ ص.

(٢) انظر: علي إبراهيم الحمد النملة. العلاقة بين الاستشراق والاستعمار.ـ التوباد.ـ مج ١ع ٤ (شوال ١٤٠٨هـ/ حزيران (يونيو) ١٩٨٨م).ـ ص ٣٨ ـ ٤٢. (وهي تمثِّل الفصل الأول من الباب الثاني من هذا الكتاب).

وزادت معها محاولاتهم لنقل ما بقي من تراث المسلمين إلى المكتبات والمتاحف الأوروبية والأمريكية فيما بعد. وقد ذُكِرَ أنَّ هذا النقل قد جاء في مصلحة هذا التراث، من حيث حفظُه والعنايةُ به.

الإصلاح:

ورأى آخر ينظر إلى نشأة الاستشراق من حيث ارتباطُه المباشر والجدِّي بحقبة مايسمونه بالإصلاح الديني في القرن الحادي عشر الهجري السادس عشر الميلادي. وفي هذه الحقبة بدأ اتِّصال الغرب النصراني بالشرق المسلم اتِّصالاً اقتصاديًا، سواء أكان في كشف موارد الثروة فيه أم في استغلالها ونقلها إلى الغرب في صورة تبادُل تجاري، أو في أيِّ صورة أخرى.(١)

ولعلَّ حقبة الإصلاح الديني قد قوَّت من نفوذ الاستشراق في المجتمع الأوروبي، وأدركت أوروبا أنه في سبيل التوغُّل في البلاد الأخرى تجاريًا أو دينياً لا بدَّ من دراسة هذه البلاد، من حيث الثقافةُ والخلفيةُ الفكريةُ والبيئةُ والطبيعةُ الجغرافية، وغيرها من الجوانب التي تُعين على الإفادة من هذه البلاد.

---

(١) انظر: نذير حمدان. في الغزو الفكري: المفهوم، الوسائل، المحاولات.- الطائف: مكتبة الصديق (د. ت).- ص ١٩٣. مع الأخذ بالحسبان أنَّ التبادُل التجاري كان لمصلحة الطرفين، فلم يخلُ هذا الجانب من فائدة عادت على الشرق الإسلامي مهما كانت محدودةً.

ويصعب اعتبار هذه الحقبة في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي منطلقًا للاستشراق. ويمكن القول إنَّ هذه الحقبة تمثِّل دليلاً واضحًا على الدافع التجاري للاستشراق، كما سيأتي بيانه عند مناقشة دوافع الاستشراق. وربما بتأييد ما ذهب إليه محمَّد البهي من أنَّ الاستشراق انتشر في أوروبا بصفة جدِّية بعد حقبة الإصلاح الديني.(١) مما يشير إلى أنَّ الاستشراق قد أخذ مكانه ـ ولو على نطاق ضيق ـ في هذه الحقبة.

مجمع فيين:

الذين يحاولون تحديد نشأة الاستشراق علميًا قائمًا على واقعة علمية يعودون بنشأة الاستشراق إلى سنة ٧١٢هـ (١٣١١ ـ ١٣١٢م) حينما عُقد مؤتمر مجمع (فيين) الكنسي، ونادى بإنشاء كراسي للعبرية والعربية والسريانية في روما على نفقة الفاتيكان، وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي أكسفورد على نفقة ملك إنجلترا، وفي بولونيا على نفقة رجال الدين فيها. وتمَّ إنشاء الكراسي ونشطت الدراسات الاستشراقية، فدُرِّست اللغة العربية وعلوم المسلمين، وتُرجمت الكتب من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية ترجمةً علمية وثيقة.(٢)

---

(١) انظر: محمَّد البهي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.ـ ط ١١ .ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.ـ ص ٤٢٩.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١: ١٨.

ويردِّد هذا الرأي كثير ممن كتبوا عن نشأة الاستشراق أمثال نذير حمدان[1] ومحمود حمدي زقزوق[2] وإدوارد سعيد[3] وعدنان وزّان.[4] ويذكر نجيب العقيقي هذا التاريخ في معرض حديثه عن ريموند لوليو.[5]

ولأنَّ هذا الرأي يعطي تاريخًا بعينه وحادثة «علمية» محدَّدة بالزمان والمكان والنتائج، يظهر ميل بعض الباحثين إلى الأخذ به، على اعتبار أنه أكثر «أكاديمية» وتوثيقًا من الآراء التي سبقته. وإنْ كان التاريخ متأخرًا (في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي)، إلا أنه يعدُّ الانطلاقة العلمية للاستشراق، من حيث التوسُّعُ في إنشاء المدارس والمعاهد الاستشراقية المهتمَّة بدراسة تاريخ الشرق وثقافته عمومًا، والإسلام والمسلمين بشكل خاص. إذ لم يقتصر الأمر الآن على المؤسسات العلمية من معاهد ومدارس تدرِّس الاستشراق، وإنما أصبحت هناك أقسام علمية أخرى تتعرَّض للشرق عمومًا، وللإسلام والمسلمين

---

(١) انظر: نذير حمدان. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٤.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٩.

(٣) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ١١٠.

(٤) انظر: عدنان محمَّد وزَّان. الاستشراق والمستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٥) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ١: ١٢٢.

والعرب بشكل أكثر تحديدًا، مثل أقسام التاريخ والجغرافيا والعلوم السياسية والاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرها.

وازداد هذا الاهتمام بعد بروز اليهود، وإنشائهم لوطنهم القومي في فلسطين المحتلة، منذ سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، بل وقبل ذلك بخمسين سنة، مرورًا بثورة الخميني في إيران سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، كما ازداد بوضوح بعد حوادث يوم الثلاثاء ٢٢/ ٦/ ١٤٢٢هـ الموافق ١١/ ٩/ ٢٠٠١م، وما أعقبها من غزوٍ للعراق وأفغانستان، تلك الأحداث التي غيَّرت مجرى التاريخ الثقافي، وأثَّرت في العلاقات بين المسلمين والغرب.

إلا أنَّ نجيب العقيقي ـ وهو يذكر تلك الحادثة في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ـ يؤكِّد ضمنًا أنها لا تعدُّ الانطلاقة لنشأة الاستشراق، إذا نراه يتحدَّث عن أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا عمومًا، وبالتفصيل في الفصل الخامس «النهضة الأوروبية»، ويتحدَّث عن طلائع المستشرقين بادئًا بـجربر دي أوراليك ـ من الرهبانية البندكتية ـ الذي عاش في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي (٩٣٨ ـ ١٠٠٣م)، ثم قسطنطين الأفريقي الذي عاش في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي (توفِّي سنة ١٠٨٧م)، وهكذا مرورًا بالتاريخ المراد جعله الانطلاقة الحقيقية لنشأة الاستشراق ٧١٢هـ/ ١٣١٢م.[1]

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١: ٨٧ -١٣٧.

الرأي المختار:

رغم وجاهة جميع تلك الآراء إلا أنَّ النفس تميل إلى الرأي القائل بأنَّ بدء الاستشراق قد انطلق من الأندلس وصقلِّية في القرن الثالث الهجري، الثامن الميلادي، حيث اختلط غير المسلمين من أوروبا بالمسلمين بالأندلس اختلاطًا علميًا، شجَّعه كثرة الجامعات ودور العلم والمكتبات، وكثرة البعثات الأوروبية إلى مدارس الأندلس، ورجوع هذه البعثات متأثِّرة بالثقافة الإسلامية ناقلة معها المنهج العلمي، منبِّهة المسؤولين هناك إلى أهمية مضارعة هذه النهضة العلمية.[1] وهذا ما أدَّى إلى تخطِّيها وتسلُّم زمام المبادرة في حمل الحضارة إلى العالم، بعد الانقلاب على الحضارة الإسلامية في الأندلس وفي الشرق.[2]

وما كان قبل هذه الحقبة يُعدُّ من قبيل الإرهاص لها، وما أتى بعدها يُعدُّ من قبيل تعميق الفكرة، والتوسُّع فيها وشدِّ الانتباه إليها. ويميل إلى هذا الرأي مصطفى السباعي، حيث يقول: «لا يُعرف بالضبط من هو أوَّل غربي عُني بالدراسات الشرقية ولا في أيِّ وقت كان ذلك، ولكن المؤكَّد أنَّ بعض الرهبان الغربيين

---

(١) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. ـ مرجع سابق. ـ ص ٦٧ ـ ٧٠.

(٢) انظر: محمَّد ياسين عريبي. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٣٧ ـ ١٤٣.

قصدوا الأندلس في إبَّان عظمتها ومجدها وتثقَّفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصَّة في الفلسفة والطبِّ والرياضيات». (١)

ويؤيِّد هذا الرأي أيضًا خليل أحمد النظامي الذي وزَّع الجهود العلمية التي بذلها المستشرقون لدراسة العلوم الإسلامية إلى خمس مراحل، جعل المرحلة الأولى منها تبدأ عندما «نشأت في الغرب رغبة الاطِّلاع على ما حقَّقه الإسلام من مآثر حضارية، حينما دخل العرب في إسبانيا وصقلِّية، ولم يكن دخول العرب فيها فتحًا لدولة أو جزيرة فحسب، بل إنه كان فتحًا لعهد جديد في مجال العلوم والفنون والحضارة والمدنيّة، وقد بعث هذا الفتح ـ كما قال المستشرق الفرنسي ماسينيون ـ يقظة حضارية في أوروبا، وفتح للغرب آفاقًا جديدة للتقدُّم والرقيّ. وقد كان حبُّ الاستفادة من علوم العرب وتفهُّم حقيقة دينهم باعثًا لدراسة شاملة للإسلام». (٢)

وإنما أطال الباحث الحديث في النشأة والتاريخ قصدًا إلى استعراض أشهر الآراء حولها، ليتمَّ اختيار واحد من هذه الآراء

---

(١) انظر: مصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم.ـ ط ٣.ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.ـ ص ١٣ ـ ١٤.

(٢) انظر: خليل أحمد النظامي. عهود متعدِّدة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم.ـ ص ١٠٣ ـ ١٠٤.ـ في: الإسلام والمستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٥١١ص.

وتأييده، ثم لتتحقق - أيضًا - الجولة المرادة في كُنه الاستشراق، رغبةً في استعراض مجمل الآراء التي انبثّت في إسهامات المهتمِّين، ثم اختيار الرأي الراجح منها، وهو ما يتمثَّل في انطلاقة الإسلام بعلومه وحضارته من الأندلس وصقلِّية إلى العالم الآخر في الشمال عن طريق أبنائه الوافدين إلى الأندلس وأبناء المسلمين الذاهبين إلى الشمال، قصدًا إلى التجارة أو الأعمال الرسمية التي كانت قائمة بين المسلمين وملوك الفرنجة.

* * *

الفصل الثالث

دوافع الاستشراق والمستشرقين

التمهيد:

ما الذي دفع مجموعةً من أبناء الثقافات الأخرى إلى الاهتمام بالثقافة الإسلامية العربية؟ لِمَ لَمْ يكن اهتمامهم منصبًّا على ثقافتهم انصبابًا مباشرًا يخدمونها وينشرونها على الملأ؟ قياسًا على ما رآه رسول الله ﷺ من قطعٍ من التوراة في يد الخليفة العادل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فأنكر عليه أنْ يصرف جهده الفكري في غير القرآن الكريم.[1] وفي هذا إيحاء منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأمّته أنْ تنشغل بثقافتها، لا سيَّما مع بداية ظهور الإسلام والحاجة إلى ترسيخه في الأذهان، وصرف ما يَصْرِف عنه.

---

(١) انظر القصة في روايات متعدِّدة في تفسير القرآن العظيم لابن كثير (إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي). ـ بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ٢: ٤٦٧ ـ ٤٦٨.

ولدى بعض الآخرين من غير المسلمين فكرة أنَّ الدين الإسلامي لم يصل إلى درجة الدين، وأنَّ محمَّدًا ﷺ لم يكن أكثر من مصلح ظهر بين مجموعة من البدو الجهلة الأمِّيين، فلِمَ كلُّ هذا الاهتمام؟ ولِمَ يأتي الاهتمام في البداية من الرهبان والقساوسة أو القسس؟ فيقصدون ديار الإسلام يتعلَّمون اللغة العربية، فيعودون إلى أديرتهم وينقلون تراث المسلمين معهم؟[1] ولِمَ بدأ تدريس اللغة العربية وعلوم الإسلام في الكنائس والأديرة؟ ألأنَّ الجامعات والمعاهد لم تقم في أوروبا في ذلك الوقت؟ أم لأنَّ هناك باعثًا وراء هذا الاهتمام بعلوم المسلمين؟!

هذه جملة من التساؤلات تحدِّد مسار الدوافع التي حدت ببعث ظاهرة الاستشراق منذ بداياته الأولى. وفي ضوء هذه التساؤلات هذه جملة من البواعث أو الدوافع.

١ ـ الدافع الديني:

وقف الباحثون العرب والمسلمون والغربيون في الاستشراق على الدوافع أو البواعث أو الأسباب التي كانت وراء الاهتمام باللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي وسيرة الرسول ﷺ، فمنهم

(١) انظر: حسن ضياء الدين عتر. الاستشراق: نشأته وأهدافه.ـ مجلَّة كلِّية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكّة المكرّمة.ـ مج ٥ ع ٦ (١٤٠٠ ـ ١٤٠١هـ).ـ ص ٢٣ ـ ٥٩.

من وزَّع الدوافع إلى مجموعة غير يسيرة. ومنهم من ركَّز على أنَّ الدافع الرئيسي هو الدافع الديني. يقول محمَّد البهي: «والسبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبيين إلى الاستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى، فقد تركت الحرب الصليبية في نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار مرَّة عميقة. وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي فشعر المسيحيون - بروتستانت وكاثوليك - بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية، ولمحاولة تفهُّمها على أساس التطوُّرات الجديدة التي تمخَّضت عنها حركة الإصلاح، ومن هنا اتَّجهوا إلى الدراسات العبرانية، وهذه أدَّت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية؛ لأنَّ الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى، وخاصَّة ما كان منها متعلِّقًا بالجانب اللغوي. وبمرور الزمن اتَّسع نطاق الدراسات الشرقية حتَّى شملت أديانًا ولغاتٍ وثقافاتٍ غير الإسلام وغير العربية»[1].

ويضيف محمَّد البهي القول: «ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في «التبشير»[2] بدينهم بين المسلمين، فأقبلوا على

---

(١) انظر: محمَّد البهي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.- مرجع سابق.ـ ص ٤٣٠.

(٢) يفضِّل الباحث التعبير بالتنصير على التبشير من باب التفضيل لا التخطئة لمصطلح التبشير؛ ليكون التنصير مصطلحًا على تلك الحملات التي رغبت في نقل غير النصارى إلى النصرانية. انظر: علي بن إبراهيم النملة. التنصير المفهوم ـ الوسائل ـ المواجهة.ـ ط ٥.ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.ـ ص ٦٢ ـ ٦٤.

الا راق ليتسنّى لهم تجهيز الدعاة[1] وإرسالهم للعالم الإسلامي. والتقت مصلحة المبشِّرين مع أهداف المستعمرين فمكّن لهم واعتمد عليهم في بسط قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق. وبذلك سهَّل الاستعمار للمبشِّرين مهمَّتهم وبسط عليهم حمايته، وزوَّدهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب في أنَّ الاستشراق قام في أوَّل أمره على أكتاف المبشِّرين والرهبان ثم اتَّصل بالاستعمار». [2]

ومن جهة ثالثة «أدَّى التفوُّق العسكري والحضاري للمسلمين إلى تحوُّل أعداد كبيرة من المسيحين إلى الإسلام. كما أنَّ كثيرًا ممن بقوا على نصرانيتهم أعجبوا في قرارة أنفسهم بالإسلام والمسلمين، مما حمل الرهبان على قيادة حركة لدراسة اللغة العربية وترجمة التراث الإسلامي بقصد تشويهه وحجب محاسنه عن الجماهير المسيحية الخاضعة لنفوذهم». [3]

التفوُّق الحضاري والعسكري للمسلمين لم يؤدِّ إلى تحوُّل أعداد كبيرة من النصارى إلى الإسلام فحسب، بل أدَّى إلى

---

(١) الأَولى أنْ يُقال: المنصِّرين؛ لأغراض التعريفات الإجرائية والاطِّراد في المصطلحات.

(٢) انظر: محمَّد البهي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٣٠.

(٣) انظر: محمَّد عبدالفتاح عليَّان. أضواء على الاستشراق.ـ الكويت: دار البحوث العلمية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.ـ ص ٤٣.

تحوُّل كثير من الممالك «المسيحية» إلى حكم الإسلام، كمصر وسورية وشمال أفريقيا والأندلس، «ولهذه البواعث ـ وهي قليل من كثير ـ كانت دراسة المستشرقين تاريخًا وتشريعًا غير مخلصة ولا نزيهة ولا علمية موضوعية، وإنما كانت رغبة في التشفِّي والانتقام من الإسلام وكتابه ورسوله». [1] وفي الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا الكتاب محاولة للربط بين الاستشراق والتنصير، وفيه مزيد تفصيل وأمثلة.

أقبل المستشرقون اليهود على الاستشراق لأسباب دينية، وهي محاولة إضعاف الإسلام وتشويهه والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهودية عليه، وادِّعاء أنَّ اليهودية هي مصدر الإسلام الأوَّل. [2]

ولا بدَّ من التوكيد على عمومية الدافع الديني ليدخل فيه ـ ولو من بعيد ـ الدافع الديني عند اليهود، بعيدًا عن نظرة اليهود أنفسهم إلى دينهم، ولكنهم قصدوا إلى ترسيخ فكرة أنَّ الدين

---

(١) انظر: أحمد محمَّد جمال. مفتريات على الإسلام.ـ ط ٣.ـ القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ١٩٧٥م.ـ ص ١٠.

(٢) انظر: الشيخ أحمد بشير. الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.ـ القسم الخامس في الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.ـ من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦هـ.ـ الرياض: الجامعة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.ـ ص ٤٥٩ ـ ٤٩٦.

الإسلامي قد أُخذ من اليهودية. ومن هنا جاء إطلاق الدافع الديني بهذا العموم.(١)

إذًا فالدافع الرئيسي هو الباعث الديني، على وجه التعميم الذي يعني الجهود الداخلية والخارجية، وليس التنصير بالمفهوم الخاص أو الدافع الصليبي فحسب، كما بدا لبعض المهتمِّين فقط.(٢) فقد أراد القوم التعرُّف على دينهم من خلال التعرُّف على أصول الدين، وذلك بالخوض في تراث «المسيحية» الذي يعود إلى جذور يهودية رُصدت بالعبرانية، وأرادوا كذلك التعريف بدينهم لدى المسلمين، لا طمعًا في أنْ يعتنق المسلمون النصرانية، ولكن أملاً في أنْ يتخلَّى المسلمون عن دينهم الذي لم يُجدِ معه احتلال البقاع المقدَّسة، بل زاد تمسُّك المسلمين بدينهم.(٣) وأرادوا أيضًا الصدَّ والحدَّ من التحوُّل

---

(١) انظر: محمَّد بن فارس الجميل. النبي ﷺ ويهود المدينة.ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.ـ ص ١٥ ـ ٣٢.

(٢) انظر: محمَّد ياسين عريبي. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٤٤. حيث ينقل عن يوحنا فوك أنَّ دراسة القرآن الكريم واللغة العربية قد جاءت منطلقًا للاستشراق بسبب فكرة التنصير. انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين/ نقله إلى العربية عمر لطفي العالم.ـ ط ٢.ـ بيروت: دار المدى الإسلامي، ٢٠٠١م.ـ ص ١٦.

(٣) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين.ـ المرجع السابق.ـ ص ١٦.

«المسيحي» إلى الإسلام، والحدَّ من دخول المدائن «المسيحية» تحت راية الإسلام.[1] ثم أراد فريق منهم إثبات فضل اليهودية على الإسلام، كما سعوا إلى إبراز فضل اليهودية على «المسيحية».

٢ ـ الدافع العلمي:

والدوافع الأخرى التي تلي هذا الدافع الرئيسي لا تكاد تخرج عن هذا المنطلق، وإنْ اصطبغت بالصبغة السياسية أو الاحتلالية أو الاقتصادية أو العلمية البحتة، إذ يستحيل أنْ يبحث غريب في دين وهو يدين بدين آخر، دون أنْ يترك بصمات الدين الذي يدين به في البحوث التي يُعدُّها ودون أنْ تسيطر عليه ثقافته التي يقيس بها ثقافات أخرى، سواء أَكان تركه للبصمات هذه عن عمد، كما يتَّضح من الدافع الديني أم عن غير قصد مباشر، كما يتَّضح من الدافع العلمي البحت. ولا يستثنى من ذلك من وصفوا أنفسَهم أو وصفهم غيرهم بأنهم مستشرقون ملحدون. فالإلحاد على شيوعه في الغرب لم يُخفِ الخلفيات الدينية للملحدين عندما يأتي الحديث عن ثقافة أخرى، وإنْ حاربوا الدين في ظاهر ما يطرحونه.

وهناك مجموعة من المستشرقين اندفعوا إلى الشرق (العالم

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. ـ التنصير. ـ مرجع سابق. ـ ص ٦٠ ـ ٦١.

الإسلامي) نتيجة للانبهار بالحضارة والتاريخ الإسلاميين، ونتيجة للانبهار بالعقيدة الإسلامية التي بنيت على السماحة مع الآخرين،(١) الأمر الذي لم يتحقَّق في إطار الدين الواحد في النصرانية، وقبلها في اليهودية، والأمر الذي لم يتحقَّق ولن يتحقَّق في العلاقة المفروضة بين اليهودية والنصرانية.

هذا النوع من الانبهار حدا ببعض المهتمِّين من الغربيين إلى الاتِّجاه نحو الشرق والغوص في علوم الإسلام، وانتهى المقام بكثير من هؤلاء المنبهرين إلى أنْ يخرجوا من ربقة الاستشراق ويصبحوا في عداد المسلمين، وإنْ أخفى بعضهم إيمانه؛ نظرًا لعوامل اجتماعية وعلمية.(٢) وهذه ظاهرة تستحقُّ بحثًا أو بحوثًا مستقلَّة.

وهذه المجموعة من المستشرقين هي التي تمثِّل الدافع العلمي النزيه، الذي انطلق من مُسلَّمة أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجُّه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته، وتكمن بواطن العلم في الحضارة

---

(١) يرى الباحث أنَّ السماحة أعمُّ من التسامُح، وأنَّ الحديث عن التسامُح إنما هو من تأثير رسائل في التسامُح كتبها لوك وغيره من فلاسفة الغرب. انظر: علي بن إبراهيم النملة. إشكالية المصطلح في الفكر العربي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٧٥ ـ ٨٦.

(٢) انظر: عبدالرحمن حسن حَبَنَّكة الميداني. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار: دراسة وتحليل وتوجيه.ـ ط ٤.ـ دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.ـ ص ١٣١.

الإسلامية، فأقبل المستشرقون على هذه الحضارة «بنهم وشغف وانطلق كثير منهم إلى آفاق بنَّاءة استفاد منها الشرق والغرب على حدٍّ سواء»[(١)].

٣ ـ الدافع التجاري:

والشرق غنيٌّ بموارده الاقتصادية والطبيعية «الخام»، فقصده الغرب سعيًا وراء الحصول على هذه الخامات وتصنيعها وتغليفها والإفادة منها، ثم تصديرها إلى الشرق وغيره مرَّة أخرى. وفي سبيل الحصول على هذه الخامات كان لا بدَّ من التعرفُّ على البيئات التي تحوي الخامات، فكانت الدراسات الجغرافية ومحاولات الاستكشاف، وكانت الدراسات الثقافية والاجتماعية وغيرها من الدراسات التي دفعت إليها الحاجة لاستغلال الموارد الطبيعية لهذه البقعة من العالم.

وشجَّع على هذا عدم استغلال هذه الموارد وعدم توافُر الدراسات السابقة حولها، فاتَّجه التجَّار وأرباب الاقتصاد إلى المستشرقين يبعثونهم إلى الشرق، ويستعينون بهم في طَرْق أبوابه، فخدم الاستشراق الناحية الاقتصادية خدمة غير يسيرة، وساعد مساعدة بارزة على النهضة الصناعية التي عاشتها البلاد الأوروبية بعد عصر النهضة، لا سيَّما في الغرب الأوسط أو

---

(١) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥١.

أوروبا الغربية التي حُميت من عوامل الحدِّ من الانطلاق في السوق الحرة.[1]

وربَّما ذهب بعض المعنيين بدراسة الاستشراق إلى أنَّ الدوافع الاقتصادية التجارية للاستشراق هي انشغال بعض المستشرقين بإبراز بعض الجوانب المنسوبة إلى الشرق والاتِّجار بهذه الجوانب والاسترزاق من ورائها. فترجموا (ألف ليلة وليلة) على أنها تمثِّل سحر الشرق العربي،[2] وحلَّلوها وبحثوا فيها، وكذا (رباعيات الخيَّام)، و(رسائل إخوان الصفا)، وكتاب (كليلة ودمنة). وقد زادوا على ذلك بسرد الأعاجيب والمناظر السحرية والأسطورية التي واجهوها عندما ارتادوا الشرق.[3]

ومع هذا فإنَّ هذه النظرة لا ترقى إلى أنْ تكون ضمن الدافع

---

(١) انظر: مصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٨.

(٢) انظر: ناديا أنجيليسكو الاستشراق والحوار الثقافي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٦ و٧٩. وتبيِّن الكاتبة أنَّ المستشرق «جاستون فييت» يحذِّر من الحكم على الأدب العربي من خلال ألف ليلة وليلة، وأنه عمل لا يرسم معالم الحضارة الإسلامية، ذلك أنه نصٌّ غير مضبوط الزمن أو «معروف المصدر، وكل حكاية من حكاياته عرفت أشكالاً من التبديل والتغيير متلاحقة، لذلك لايمكن أنْ تستنتج منها شيئًا جدِّيًا».ـ ص ٧٩.

(٣) انظر: نذير حمدان. في الغزو الفكري: المفهوم، الوسائل، المحاولات.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٩٦. على أنَّ في كتاب (رسائل إخوان الصفا) كثيرًا من الوقفات العلمية في الفلك والرياضيات والطبيعة. وهذه الوقفات تنقل الكتاب من أنْ يُعَدَّ من الأعمال الخرافية.

التجاري، رغم وجود الاهتمامات المادِّية عند بعض المستشرقين، إلا أنَّ المردود المادِّي هنا ضعيف جدًّا. وإنما ذكرت هذا لبيان أنه رأي قيل ضمن مجموعة من الآراء.

٤ ـ الدافع الاحتلالي «الاستعماري»:

واشتغل فريق من المستشرقين في هذا المجال مدفوعين من قِبَل حكوماتهم التي دعتهم إلى معاونتها في استعمال الشرق واحتلاله، فكانوا عونًا لها مخلصين في تقديم المعلومات التي احتاجت إليها وهي في طريقها إلى اجتياح الشرق، معلنةً الهيمنة عليه لمدَّة من الزمن تُعِين على امتصاص خيراته، وعلى إيجاد البديل عنها عند الخروج من الشرق، وعلى إضعاف مكامن الخطر بالنسبة لهم المتمثِّل بالدين.[١]

وعمل هذا الفريق من المستشرقين في وزارات الخارجية والحربية والاحتلال مستشارين مسموعي الرأي والنصيحة، لهم أثرهم البارز في الحركة الاحتلالية. وكافأتهم حكوماتهم بأنْ

---

(١) انظر: فنسان جيسير. الإسلاموفوبيا: المخاوف الجديدة من الإسلام في فرنسا/ ترجمة محمَّد صالح ناجي الغامدي وقسم السيِّد آدم بله.ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.ـ ١٩٢ ص. وانظر أيضًا: شمس إسماعيل حسن. هذا العالم لمن: زيف الإسلاموفوبيا/ ترجمة عزَّة خليل وغادة طنطاوي، مراجعة مركز التعريب والترجمة.ـ بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.ـ ٢١٤ ص.

طوَّرت من علمهم ورعته وموَّلته وأنشأت له المعاهد والمدارس، وساعدت على التوسُّع في تغطية اهتماماته، فأفاد منها كما أفادت منه.

ولا تزال المعاهد والمدارس والمراكز الاستشراقية تنال الدعم والتأييد المادِّي والمعنوي، ولا تزال الأوسمة يمنحها للمستشرقين رؤساء الحكومات المحلية والفدرالية، ولا يزال المستشرقون مقرَّبين من رجال الدولة ينتدبونهم إلى الشرق ويترجمون لهم الوثائق، ويولُّونهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصَّة، والمكتبات العامَّة، والمتاحف الوطنية، (ويُجزلون) عطاءهم في الحلِّ والترحال (ويمنحونهم) ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية.[1]

ولم يقتصر هذا التقريب للمستشرقين على المؤسَّسات العلمية والسياسية في أمريكا وأوروبا، بل إنَّ المجامع العلمية العربية والجامعات العربية قد افتخرت بعضويَّتهم فيها، واستعانت بهم في التدريس. والأمثلة على هذا كثيرة.[2] وفي الفصل الأوَّل من الباب الثاني مزيد من تفصيل وأمثلة.

---

(١) انظر: محمَّد حسين على الصغير. المستشرقون والدراسات القرآنية.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٩.

(٢) انظر: نذير حمدان. مستشرقون سياسيون. جامعيون، مجمعيون.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٣٧ ـ ٢٥٦.

٥ ـ الدافع السياسي:

يرتبط الدافع السياسي بالدافع الاحتلالي. وإنْ كان الدافع الاحتلالي قد توقَّف مع التوقُّف الفعلي للاحتلال بالطريقة التي كان عليها، إلا أنَّ الدافع السياسي للاستشراق لا يزال قائمًا، ولا يزال رؤساء الدول وحكوماتها تستعين بالمستشرقين في رسم سياساتها نحو البلاد الإسلامية وغيرها من بلاد الشرق. ولا نقول الشرقية هنا لأنَّ الأمر لم يعد نابعًا من الغرب وموجَّهًا إلى الشرق، فاليابان والصين وكوريا وغيرها من بلاد الشرق الأقصى زادت من اهتماماتها بالعالم الإسلامي مع تحوُّلها إلى بلاد صناعية تضارع ـ بل قد تفوق ـ الدول الغربية.

وما تزال هناك لجان خاصَّة تقدِّم الدراسات والتقارير عن البلاد الأخرى عمومًا، ومنها البلاد الإسلامية المدرجة تحت أسماء «الدول النامية، أو دول العالم الثالث، أو دول الجنوب». هذا مع ملاحظة أنَّ هؤلاء المستشارين لا يحملون بالضرورة اسم الاستشراق، فهم خبراء بالمنطقة أو باحثون أو علماء أو متخصِّصون. وهذا يأتي نتيجة لمحاولات الانسلاخ من مصطلح «الاستشراق»، نظرًا لما قرَّ في نفوس المسلمين من مفهوم سلبي لهذا المصطلح.

والمهمَّة التي كان يقوم بها المستشرقون الأوائل يقوم بها اليوم المستشرقون الجدد، وإنْ اختلفت الوسائل وحوِّرت

الأسماء. وينضمُّ هذا الصنف من المستشرقين إلى أولئك الذين ساعدوا على «دفع الشرقيين من المسلمين العرب أنْ يرتابوا بالمستشرقين جميعًا، لأنَّ من المؤسف أنْ يُسخِّر هؤلاء العلم الذي يسمو به الإنسان لإذلال الإنسان أو استعباده أو الطعن على تراثه وعقيدته بغير الحق». (١)

وإنما جاء تخصيص السياسة هنا بدافع مستقلٍّ؛ نظرًا لاستمرار هذا الدافع، وتوقُّف الدافع الاحتلالي المباشر المرتبط به مع حصول آخر دولة في العالم الثالث على استقلالها، بل إنَّ الأحداث التي مرَّ بها العالم مع مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي زادت ـ فيما يظهر ـ من الإقبال على الاستشراق السياسي، وإنْ طغى على هذا التوجُّه البعد الإعلامي على حساب البعد العلمي. وهذا ما يؤيِّده كذلك «جاك فاردنبورج» الذي لا ينفي تأثير العنصر الديني والسياسي على الاستشراق، بل إنه يؤكِّد أنَّ «التشويه المقصود لوجه الإسلام في أوروبا في فترة الحروب الصليبية وما بعدها كان يخدم الأهداف السياسية المحضة». (٢)

---

(١) انظر: صلاح الدين المنجِّد. المنتقى من دراسات مختلفة في الثقافة العربية.ـ ج ١.ـ ط ٢.ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.ـ ص ع.

(٢) انظر: ناديا أنجيليسكو. الاستشراق والحوار الثقافي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٩.

٦ ـ دوافع أخرى:

وهناك الدوافع النفسية والتاريخية والشخصية، وغيرها من البواعث الثانوية التي قد تتحقَّق في فرد أو في أفـراد، دون أنْ تتحقَّق في فريق أو في مجموعة من المستشرقين.(١) فهناك من دفعتهم الرغبات الإنسانية الطبيعية في المعرفة والاطِّلاع للتعرُّف على حياة الآخرين وأفكارهم. ومعرفة الناس وأسرارهم.(٢) وهناك من دفعتهم الخلفية التاريخية للتعرُّف على العلاقة بين الشرق والغرب. تلك العلاقة التي مرَّت بأطوار متعدِّدة، منها أطوار اللقاء، ومنها أطوار الخلاف والعداء. وهناك من دفعتهم أسباب شخصية مزاجية عندما تهيَّأ لهم المال والفراغ، فاتَّخذوا الاستشراق وسيلـة لإشباع رغباتهم الخاصة في السفر أو في الاطِّلاع على ثقافات العالم القديم.(٣)

والخلاصة أنَّ للاستشراق دوافعَ وأسبابًا وبواعثَ، يأتي في قمّتها الدافع الديني بألوانه المتعدِّدة، ثم تأتي في المرتبة الثانية الدوافع السياسية والاحتلالية والاقتصادية التجارية. ولعلَّ

---

(١) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٥ ـ ٤٠.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. مصدرية الاستشراق ومصدريَّتهم.ـ مرجع سابق.ـ انظر فصل: رحلات المستشرقين.ـ ص ١١٧ ـ ١٨٣.

(٣) انظر: محمَّد البهي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٣٠.

الدوافع السامية الوحيدة هي الأسباب العلمية النزيهة التي لم يخلُ الاستشراق منها بأيِّ حال، بل إنَّ هذا الدافع يزداد مع ضمور الدوافع الأخرى. ثم تأتي في المرتبة الثالثة الأخرى البواعث النفسية والشخصية والتاريخية والأيديولوجية غير الدينية. وإنْ كان المستشرقون الشيوعيون (سابقًا) تدفعهم أيديولوجيتهم إلى الاتِّجاه إلى الاستشراق، وهم يتساوون في هذا مع المستشرقين الملحدين الآخرين ذوي الخلفية النصرانية أو اليهودية.

وربما تحقَّقت الدوافع الاحتلالية والاقتصادية التجارية والشخصية في المستشرقين الشيوعيين والملحدين مثل غيرهم، كما تحقَّقت هذه الدوافع في المستشرقين الذين انطلقوا من الأديرة والكنائس، إذ يصعب على الاستشراق أنْ يتحرَّر من منطلقه الأوَّل، وقد ارتبط به ارتباطًا جذريًا وعضويًا.[1] كما هو الحال تمامًا عند أولئك الذين يتبنَّون الأيدلوجية الغربية المفروضة عليهم، فلا يلبثون أنْ يصبغوها بخلفيَّتهم، أو يحاولوا أنْ يصبغوا خلفيَّتهم بها. ومع هذا كله يبقى أثر الخلفيّة الدينية بارزًا مؤثرًا في النظرة إلى الأديان الأخرى.[2] تلك النظرة

(١) انظر: أنور الجندي. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٩٤.

(٢) انظر: أنور الجندي. الإسلام في وجه التغريب: مخطَّطات التبشير والاستشراق.ـ القاهرة: دار الاعتصام.(د. ت.).ـ ص ٢٧٨.

القائمة على الريبة أحيانًا، وعلى الإنكار العلني لهذه الأديان أحيانًا أخرى.

لقد أنكر الرسول ﷺ على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه رجوعه إلى التوراة والقرآنُ بين ظهرانيه. والرسول على حقٍّ، وإنْ لم يكن يُخشى على عمرَ من الانحراف، ولكنه المنهج النبوي الذي يدعو إلى التعمُّق في الإسلام وعدم الانشغال عنه في انطلاقته العقدية والسلوكية.

إذا كان هذا هو موقف الإسلام من النصرانية واليهودية، وهو يعترف بهما فما بالك بموقف الآخرين من الإسلام، وهم لا يعترفون به، فلا بدَّ أنْ يكون الإقبال على هذا الدين بالدراسة والبحث منبعثًا من دافع عقدي في البداية على أقلِّ تقدير. ولا ينكر المستشرقون أنفسُهم بأنهم يعانون من عقدة دينية في شعورهم الباطني حين يكتبون عن حضارة العرب وتاريخ الإسلام. يقول: أ. و. ف. توملين في كتابه فلاسفة الشرق: «اعترف رجال شديدو الذكاء بعد أنْ كرَّسوا الكثير من وقتهم للأبحاث الشرقية أنهم لو كان عليهم أنْ يصلوا إلى فهم تامّ للفلسفة الشرقية لاستلزم الأمر أنْ يعتزلوا أوروبا ولبدأوا الحياة من جديد كشرقيين»[1].

---

(١) نقلاً عن محمَّد عبدالله مليباري. المستشرقون والدراسات الإسلامية.ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.ـ ص ١٨.ـ (سلسلة مذاهب وتيارات؛ ٢). وانظر حديثه عن يوسف شاخت.ـ ص ٦٥ ـ ٦٦.

الفصل الرابع

أهداف الاستشراق والمستشرقين

التمهيد:

من غير اليسير مناقشة أهداف الاستشراق بمعزل عن النشأة والدوافع. فهذه المناحي الثلاثة متداخلة. ويرى عبدالرحمن حسن حبنَّكة الميداني عدم الفصل بين الدوافع والأهداف «باعتبار أنَّ الدافع يمثِّل المحرِّض النفسي لاتِّخاذ الوسائل التي توصِّل إلى الأهداف الغائبة من العمل»[1].

ولا بأس من مناقشة الأهداف معزولة عن النشأة والدوافع، على اعتبار أنَّ الدوافع قد لا تحقِّق الأهداف، وأنَّ الدوافع قد تختلف عن الأهداف. فقد ينشغل مستشرق بالعلوم العربية حبًّا في الأدب العربي. فيجد نفسه في النهاية يخوض في قضايا

---

(١) انظر: عبدالرحمن حسن حبنَّكة الميداني. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير ـ الاستشراق. الاستعمار.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٢٥.

تحقِّق أهدافًا لم يكن رسم لنفسه أنْ يخوض فيها، أو أنْ يصل إلى تحقيقها فينقلب الدافع الشخصي لديه ـ فيما بعد ـ ليتَّسق مع الهدف الذي وجد نفسه منساقًا إليه. وقد يكون الأمر على العكس تمامًا، فيكون الدافع للمستشرق دافعًا دينيًا أو سياسيًا أو احتلاليًا أو اقتصاديًا، ولكنه يقف على حقائق عن الشرق وثقافته، تجعله ينساق من ذلك الدافع ليحقِّق هدفًا علميًا يوصِّله إلى الهداية أو قريبٍ منها.

وهذه مجمل الأهداف أو الغايات التي يسعى الاستشراق إلى تحقيقها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً:

١ ـ الهدف الديني:

كما سبق أنْ نوقشت الدوافع يجد المرء نفسه غير قادر على إغفال الهدف الديني من وراء الاستشراق، وليس الهدف الصليبي فحسب كما يميل إليه علي جريشة.[1] وما الهدف الصليبي إلا جزء من الهدف الديني، فيدخل فيه السعي إلى توحيد حملات التنصير، ويدخل فيه السعي إلى تشويه الحقائق الإسلامية رغبة في التشكيك بين المسلمين أنفسهم بدينهم، كما يدخل فيه الاستمرار في الحملات الصليبية عن طريق الفكر،

---

(١) انظر: علي جريشة. الاتجاهات الفكرية المعاصرة.ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.ـ ص ٢٠.

بعد أنْ أخفق السلاح والغزو والحروب التي لا يظهر أنها توقَّفت، أو أنها ستتوقَّف.(١)

ـ ومما يؤيِّد الميل إلى أنَّ الهدف الرئيسي من الاستشراق إنما كان دينيًا هو أنَّ النصارى واليهود وجدوا أنَّ القرآن الكريم يصم كتابيهما التوراة والإنجيل أو العهد القديم والعهد الجديد بالتحريف، ويؤكِّد تدخُّل البشر في نصوصهما. فاتَّجه علماء من الغرب إلى الإسلام قصدوا إلى قصره على أحكام جاءت من محمَّد ﷺ، وأنَّ ما هو صحيح من هذه التعاليم إنما هو مستمدٌّ من التوراة أو الإنجيل، وأنَّ محمَّدا ﷺ كان على اتِّصال مباشر بالأحبار والرهبان يتلقَّى منهم ويتتلمذ عليهم.(٢) وقالوا كذلك: إنَّ صحيح الإسلام غير جديد وجديده غير صحيح.

ـ والهدف ديني أيضًا من جهة أنَّ الاستشراق كان محاولةً لصدِّ الشعوب الأخرى عن الدخول في الإسلام،(٣) بالإيحاء بأنَّ أحكام الإسلام إنما هي سبب في رجوع المسلمين إلى الوراء، وستكون سببًا في انحطاط حضارة هذه الشعوب التي يتوقَّع منها

(١) انظر: أحمد شلبي. الاستشراق: تاريخه وأهدافه، شبهات المستشرقين ضدَّ الإسلام: مناقشتها وردُّها.ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (د. ت).ـ ص ١٩ ـ ٣١.

(٢) انظر: إبراهيم اللبّان. المستشرقون والإسلام.ـ القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

(٣) انظر: عدنان محمَّد وزَّان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٧.

أنْ تدخل في الإسلام، وستكون عائقًا في سبيل تقدُّمها ونهوضها.[١] في الوقت الذي يلاحظ فيه التقدُّم الغربي لأنه يدين بالنصرانية. فارتبط التخلُّف لدى الشرقيين بتمسُّكهم بالإسلام، وارتبط التقدُّم لدى الغربيين بتمسُّكهم بالنصرانية.[٢]

ـ والهدف ديني كذلك من جهة أنَّ الاستشراق حاول أنْ يؤكِّد أنَّ الإسلام القائم على الكتاب والسنَّة عقيدةً وسلوكًا إنما هو دين «ميِّت» لم يعد يتمثَّله إلا قلَّة من أولئك الأصوليين أو المتطرِّفين. أمَّا إسلام اليوم فهو ذلك النمط الذي يعيشه الدراويش والمتصوِّفة، وذوو الممارسات السائدة في حياة المسلمين اليوم بغضِّ النظر عن اقترابها أو ابتعادها من «الإسلام الأول»،[٣] بل إنها كلَّما ابتعدت عن الإسلام الأوَّل كانت أكثر حيوية وتفاعُلاً مع العصر والحياة.[٤]

ـ والهدف ديني أيضًا من جهة أنَّ الاستشراق قد حاول «إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف

---

(١) انظر: أنور الجندي. التراث الإسلامي والمستشرقون.ـ الهلال.ـ مج ٨٤ ع ١ (محرَّم ١٣٩٦هـ/ يناير١٩٧٦م).ـ ص ٦٠ ـ ٦٧.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الإسلام والاستشراق.ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.ـ ص ١٩.

(٣) انظر: محمود حمدي زقزوق. الإسلام والاستشراق.ـ المرجع السابق.ـ ص ٢٢.

(٤) انظر الفصل الرابع من الباب الثاني، حيث مناقشة موقف المستشرقين من الإحيائية أو الصحوة أو (الأصولية).

أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم، وكذلك يفعلون في البلاد العربية، يجهدون لمنع اجتماع شملها ووحدة كلمتها بكل مافي أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق، وتصيُّد الحوادث الفردية في التاريخ ليصنعوا منها تاريخًا جديدًا، يدعو إلى مايريدون من منع الوحدة بين البلاد العربية والتفاهُم على الحقِّ والخير بين جماهيرها» .[1]

وربما رأى بعض المعنيين أنَّ ظهور القوميات في البلاد الإسلامية لا علاقة له بالاستشراق، إذ كان جزءًا من حركة عالمية قامت في أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي، وسرى تيَّارها إلى بقية أنحاء العالم فقلَّدها المسلمون. ويبرز أثر الاستشراق هنا في تأجيج هذا التيَّار وتشجيعه، من خلال التوكيد على اللغة العربية جامعًا للعرب. ثم الغوص في اللهجات العربية، واللغات التي يتخاطب بها المسلمون. ورغم أنَّ مسألة الوحدة أضحت بأيدٍ عربية اللسان والشكل، فالعبرة بالأفكار، التي سعت في وقت من الأوقات إلى إحلال القومية محل الإسلام، وجعلت من القومية بديلاً للإسلام لا حاضَّةً عليه.

ـ والهدف ديني كذلك من جهة أنَّ الاستشراق قد عمد إلى

---

(١) انظر: مصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٤.

التركيز على مواطن الضعف في التاريخ الإسلامي الآتي من سلوكيات البشر، كما عمد إلى الروايات المغلوطة والمكذوبة وجعلها مدارًا للنقاش والحديث عن الإسلام. وتكاد تكون روايات جرجي زيدان حول تاريخ الإسلام جميعها من هذا النمط.[1] وإنْ لم يرَ البعض في جرجى زيدان مستشرقًا، إلا أنَّ مناقشة التعريف قد أدخلته ضمن المستشرقين، ولو لم يعشْ في أوروبا أو أمريكا، وإنْ تحدَّث اللغة العربية وكتب بها، فهو لايكاد يختلف عن الأب لويس شيخو في الدوافع والأهداف.

يقول أبو الحسن الندْوي: «فنرى كثيرًا من المستشرقين يركِّزون كلَّ جهودهم ومساعيهم على تعريف مواطن الضعف في تاريخ الإسلام ومجتمعه ومدنيته، حتى في ديانته وشريعته، وتمثيلها في صورة مروِّعة مضخَّمة، إنهم ينظرون إليها عن طريق «المجهر» (Microscope) ويعرضونها كذلك للقرَّاء حتى يروا الذرَّة جبلاً والنقطة بحرًا، وقد ظهرت حذاقتهم وذكاؤهم في كثير من الكتابات في تشويه صورة الإسلام. ويثيرون بذلك في قلوب قادة العالم الإسلامي اليوم وزعمائه ـ ممن تثقَّفوا في مراكز الغرب الثقافية الكبرى، أو درسوا الإسلام بلغات الغرب ـ شبهات حول الإسلام والمصادر الإسلامية، ويُحدِثون في نفوسهم يأسًا من مستقبل الإسلام، ومقتاً لحاضره، وسوء ظن

---

(١) انظر: عبدالرحمن بن صالح العشماوي. وقفة مع جرجي زيدان.ـ ط ٢.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.ـ ١٢٣ ص.

بماضيه، حتى يتركَّز نشاطهم وحماسهم في رفع هتاف «تطوير الدين»، و«إصلاح القانون الإسلامي»[1].

ولا لَبْس هنا بين التجديد والإصلاح والتطوير، فلكل من هذه المصطلحات الثلاثة مدلولاتها الأجنبية.

٢ ـ الهدف الاحتلالي:

ثم يأتي من أهداف الاستشراق الهدف الاحتلالي، حيث كان الاستشراق تمهيدًا للاحتلال. وحيث بدا واضحًا ـ كما سيأتي بيانه ـ أنَّ هنالك علاقة قوية بين الاستشراق والاحتلال، من ناحية أنَّ الاستشراق كان يدعم الاحتلال بالمعلومات والاستشارات والنصح لذلك التأييد. يؤيد هذا محمود حمدي زقزوق، حيث يقول: «وقد استطاع الاستعمار أنْ يجنِّد طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين. وهكذا نشأت هناك رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق والاستعمار، وانساق في هذا التيَّار عدد من المستشرقين ارتضَوا لأنفسهم أنْ يكون علمهم وسيلةً لإذلال المسلمين وإضعاف شأن الإسلام وقِيَمه»[2].

---

(١) انظر: أبو الحسن علي الحسني الندْوي. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين واستعراض لبحوث المؤلِّفين المسلمين في الموضوعات الإسلامية.ـ ط ٣.ـ بيروت: مؤسَّسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.ـ ص ١٥ ـ ١٦.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٤.

ولا يبعد أنْ يجمع المستشرقون بين هدفين في آنٍ واحد، فيكون الغرض التنصير كما يكون الغرض الاحتلال.[1] وما الاحتلال إلا حلقة قويَّة من حلقات التنصير، كما أنه صورة أخرى من صور الحملات الصليبية، وتستحضر هنا عبارة اللورد اللنبي: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»،[2] مما يؤكِّد قيام علاقة قوية بين التنصير والاحتلال تبرز واضحة في الاستعانة بالمنصِّرين، كما كانت الاستعانة بزملائهم المستشرقين، وتبرز كذلك في تمكين الاحتلال للتنصير في أداء مهمَّاته وفتح مراكز له في بلاد المسلمين.

وإذا كان الاحتلال قد مكَّن للتنصير، فإنه أيضًا قد مكَّن للاستشراق وأعانه كثيرًا في أداء مهمَّته، فأتاح الاحتلال للاستشراق الولوج إلى العالم الإسلامي في مكتباته ومدارسه وجامعاته ومجامعه والحصول على مصادر معلوماته والإعانة في نقلها إلى الغرب وحفظها هناك، كما مكَّن التنصير للاستشراق منِ حيث التخطيطُ له ودعمُه وتأييدُه، حتى قيل إنَّ الاستشراق كمنهج عقلي لقاح من أبوين غير شرعيين: التنصير الذي خطَّط له، والاحتلال الذي غذَّاه.[3]

---

(١) انظر: نذير حمدان. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٨.

(٢) هذه العبارة أطلقها اللورد اللنبي، انظر: صالح مسعود أبو بصير. جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن.ـ بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر.ـ ص ٦٥.

(٣) انظر: عرفان عبدالحميد. المستشرقون والإسلام: محاولة أوَّلية لتفهُّم الأسس التاريخية لطبيعة العلاقات الفكرية بين الإسلام والغرب.ـ ط ٢.ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٠م.ـ ص ٢٨.

وفي هذا يقول أحمد سمايلوفتش: «لقد ظلَّ هدف الاستشراق والاستعمار واحدًا لفترة طويلة من الزمن، وإذا كان الأوَّل يسبق الثاني ليكون طلائع جيشه وأعيُن أمنه يصيب أهدافه ويحقِّق آماله، فما عليه إلا أنْ يبدأ بالتشكيك في قيم الشعوب المغلوبة، والسخرية منها ومن دينها وشخصية نبيّها ﷺ، وهدم الإسلام فكريًا وحضاريًا، وعلى الثاني أنْ يقوم بتنفيذ ذلك الحكم واقعيًا وعمليًا، كما كان الاستشراق حريصًا على تدريب باحثين ودبلوماسيين ومهنيين يحملون جميعاً أيدلوجية الغرب وعقليَّته تجاه الشرق وحضارته، وعلى الاستعمار أن يتبنَّى هؤلاء فيساعدهم وينفِّذ خططهم. واستخدم الاستشراق الكتب والمجلات والمقالات وكراسي التدريس والمؤتمرات العلمية والمحاضرات العامَّة وغيرها من الوسائل لخدمة الاستعمار في أغلب الأحيان لا لخدمة العلم والحقيقة» .(١)

وكما مكَّن التنصير للاستشراق، فقد مكَّن الاستشراق للتنصير، فأفادت الحملات التنصيرية من الدراسات الاستشراقية، وكوَّن الاستشراق للتنصير «قاعدة المعلومات» التي مهَّدت له الطريق.(٢) وعليه فإنَّ الاستشراق والاحتلال والتنصير

---

(١) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٢٠.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين مع نماذج من المستشرقين المنصِّرين.ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.ـ ص ١٥ ـ ٤٠.

عبارة عن حلقات ثلاث متداخلة متعاونة،(١) إذا خَبَت حلقة منها برزت الأخرى، وكأنها ألوانٌ ثلاثة تمرُّ بدائرة، فيغلب على الدائرة لون واحد ثم يختلط باللون الآخر لوقت يسير، ليغلب اللون الآخر على الدائرة، ليختلط باللون الثالث لوقت يسير، فيغلب اللون الثالث، ثم يعود اللون الأول وهكذا، وربما اختلطت الألوان الثلاثة في الدائرة مشكِّلة مزيجًا أخَّاذًا في ظاهره غير أخَّاذ في مضمونه.

وقد ظهر في الآونة الأخيرة عنصر رابع أعلن تحالُفه مع الاحتلال والتنصير والاستشراق، حينما اصطبغت بعض أعمال المستشرقين وجهود المنصِّرين بالصبغة الصهيونية التي تحالفت مع العناصر الثلاثة الأولى لتحقيق الهدف الاحتلالي والعقدي في آنٍ واحد.(٢)

ويرى محمَّد بن عبود أنَّ هناك ثلاثة عناصر سيطرت على التوجيه الأيديولوجي عند المستشرقين خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي والنصف

---

(١) انظر: نذير حمدان. في الغزو الفكري: المفهوم. الوسائل. المحاولات.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٠٥.

(٢) انظر: علي عبدالحليم محمود. الغزو الفكري والتيَّارات المعادية للإسلام.ـ القسم الأول من الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.ـ من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦هـ.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٤٢.

الأول من القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي وهي التنصير (يسمّيه التبشير المسيحي) والاحتلال واليهودية.[(١)]

ويركِّز نبيه عاقل على الهدف الديني للاستشراق، ولكنه مع هذا لا يغفل الهدف الاحتلالي، حيث يقول: «ولسنا نريد القول إنَّ الهدف الوحيد للاستشراق كان الدافع الديني، ولن نستطيع أبدًا أنْ نبعد المطامع الاستعمارية عن هذه الصورة التي نرسمها لأهداف الاستشراق، لأنَّ الاستعمار في رأينا كان من بين العوامل الهامَّة التي ساعدت على تطوُّر الاستشراق، فقد رأت الدول الاستعمارية أنه لا بدَّ لها من أجل تحقيق أغراضها السياسية والاقتصادية في الدول العربية والإسلامية أنْ تستفيد من الاستشراق لتحقيق هذه الأغراض».[(٢)]

ويحقِّق نبيه عاقل أنَّ الكثير ممن نسمِّيهم بالمستشرقين «لم يكونوا علماء أو أساتذة جامعة أو رجال بعثات أثرية، بل كان بينهم العديد من الجواسيس والموظَّفين في وزارات الخارجية ووزارات المستعمرات ودوائر الاستخبارات

---

(١) انظر: محمَّد بن عبّود. الاستشراق والنخبة العربية.ـ المجلَّة التاريخية المغربية.ـ ع ٩ (٢٧ ـ ٢٨)، (١٩٨٢م).ـ ص ١٩١ ـ ٢١٥.

(٢) انظر: نبيه عاقل. المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي.ـ محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرُّف على الفكر الإسلامي.ـ م ٢.ـ الجزائر: وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية. ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.ـ ص ١٨٥ ـ ٢١٧.ـ والنصُّ في ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

وغيـــرها». [1] وعليه فإنَّ الاستشراق قد أدَّى خدماتٍ جليلةً للاحتلال وكان ـ وما يزال ـ مصدرًا مهماً من مصادر الغزو الفكري ـ وهو أسلوب من أساليب الاحتلال ـ.

ومن الخدمات الجليلة التي قدَّمها الاستشراق للاحتلال تمكين الاستشراقِ الاحتلالَ من اتِّخاذ صنائع وعملاء في البلاد الإسلامية بوساطة الجامعات والمدارس التي أقامها الغرب في بلاد المسلمين، وكان يشرف عليها ويوجِّهها منصِّرون ومستشرقون، يقول عبداللطيف الحميد: «أنشئت المدارس الأجنبية في الدولة العثمانية، وأصبحت سلاح الغزو الفكري المنظَّم إلى جانب الاستشراق. وقد اختار المنصِّرون مواقعَ ممتازة للمدارس في إستانبول (على سبيل المثال) وزوَّدوها بالمختبرات والوسائل العلمية اللازمة. وكان أكثر المدرِّسين من الرهبان الذين قاموا بدور التنصير أو التشكيك في الدين الإسلامي». [2] وافتتحوا مدارس ومعاهد للدراسـات العربية

(١) انظر: نبيه عاقل. المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي.ـ المرجع السابق.ـ ص ٢٠٠.

(٢) انظر: عبداللطيف الحميد. سقوط الدولة العثمانية: دراسة تاريخية في العوامل والأسباب.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.ـ ص ٥٣ ـ ٥٤. ويرجع في هذا إلى: سهيل صابان. المؤسَّسات الأجنبية في نهاية الخلافة العثمانية في إسطنبول.ـ رسالة ماجستير، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٩هـ.ـ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٨.

والإسلامية في أوروبا، كامتداد لتلك الخدمات الجليلة،[1] وإنْ لم تخلُ هذه المؤسَّسات التعليمية من فوائد لا تُنكر فرضتها طبيعة التعليم.

٣ ـ الهدف السياسي:

مما يرتبط بالهدف الاحتلالي ارتباطًا مباشرًا الهدف السياسي، إلى درجة أنَّ التفريق بينهما يحدث شيئًا من التكرار في المناقشة والتحليل. إلا أنَّ من نتائج الاحتلال الفعلي أنه غرس في نفوس أبناء البلاد الخاضعة للاحتلال فكرة فوقية العنصر الأوروبي، وفي المقابل دونية العناصر الأخرى، وعدم قدرتها على النموِّ والتطوُّر، بمعزل من التأثير الأوروبي المباشر. ومع أنَّ هذه النظرة تعود إلى الشعور بالتفرقة العرقية، إلا أنها ألقت بظلالها على البعد السياسي. ويناقش إدوارد سعيد هذه الفكرة في أكثر من موضع من كتابه الاستشراق، مثل قوله: «إنَّ الاستشراق في جوهره مذهب سياسي فُرِضَ فرضًا على الشرق؛ لأنَّ الشرق كان أضعف من الغرب، وأنه تجاهل اختلاف الشرق الراجع إلى ضعفه».[2]

ويقرِّر إدوارد سعيد في مقام آخر أنَّ المسألة الرئيسية بالنسبة

---

(١) انظر: حسن ضياء الدين عتر. الاستشراق: نشأته وأهدافه.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق.ـ ص ٣٢١.

إلى المستشرقين هي أنْ «القضية الرئيسية تنحصر في الحفاظ على سيطرة الرجل الأبيض على الشرق والإسلام». [1] وهذا ما اشتهر عن كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد الذي ركَّز فيه على البُعد الإمبريالي للاستشراق، الذي كان جزءًا من الظاهرة الاستشراقية، ولم يكن الاستشراق كلُّه كذلك.

وفي مجال آخر يؤكِّد إدوارد سعيد أنه يمكن اعتبار المستشرق العميلَ الخاصَّ للقوَّة الغربية في محاولتها لرسم سياساتها تجاه الشرق. [2] ويقرِّر أيضًا أنه «في الجزء الوحيد من الشرق الذي أستطيع أنْ أتحدَّث عنه بشيء من المعرفة المباشرة، يمكن اعتبار التلازُم المتبادل بين الطبقة المفكِّرة والإمبريالية الجديدة أحد الانتصارات الخاصَّة للاستشراق. فالعالم العربي اليوم كوكب فكريٌّ تابع وسياسيٌّ وثقافيٌّ يدور في فلك الولايات المتَّحدة». [3]

ولعلَّ هذه من مبالغات إدوارد سعيد التي تتردَّد على المستوى الإعلامي، فليس العالم العربي كله تابعًا تبعيَّةً تامَّةً بالضرورة للغرب.

ورغم ما في تحليل إدوارد سعيد من القرب من الحقيقة،

---

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق.ـ المرجع السابق.ـ ص ٣٩٦.
(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق.ـ المرجع السابق.ـ ص ٣٤٧.
(٣) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق.ـ المرجع السابق.ـ ص ٤٨٩.

إلا أنه يؤخذ عليه التعميم في العبارات السالفة وغيرها، فلم يكن الاستشراق كله مطيَّة للسياسة، فقد كانت هناك الأهداف الأخرى التي سعى الاستشراق إلى تحقيقها.

ولعلَّ ما ذهب إليه صاحب كتاب الاستشراق يؤكِّد أنَّ الهدف السياسي للاستشراق يمكن أنْ يكمن في الأهداف الأخرى الدينية والاحتلالية والاقتصادية التجارية، وربما العلمية أيضًا،[1] إذ يبعد ألاّ يكون هناك اتِّصال سياسي بين المستشرق ودولته أو حكومته بشكل ما من أشكال الاتِّصال التي قد تصل إلى حدِّ العمالة.

وعلى أيِّ حال فقد جاء الاستشراق الأمريكي متأخِّرًا، وأمريكا لم تحكم أيَّ بلد عربي حكمًا مباشرًا، كما كان الحال عليه إبَّان الحقبة الاحتلالية الفعلية، وإنْ سعت اليوم - بحكم أنها القوَّة الكبرى - إلى الهيمنة على العالم كله، بما فيه البلاد العربية والإسلامية، ولكن على المستوى الذي يجعل الغرب ينتصر في معارك لم يخضْها قطُّ.[2]

كما أنَّ أحمد أبو زيد ناقش فكرة «الفوقية» الذي ركَّز فيها

---

(١) انظر: نديم البيطار. حدود الهُوية القومية: نقد عامّ.ـ بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢م.ـ ص ١٧٢.

(٢) انظر: عبدالوهَّاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.ـ ط ٢.ـ ٢ مج.ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٩م.ـ ١: ١٥٦ ـ ١٥٨.

على أنَّ «المعرفة التي ترد في كتابات المستشرقين تستخدم بغير شكٍّ في توطيد أقدام الحكم الأجنبي والاستعمار. ولذا كان المستعمرون يرسمون للمجتمعات الشرقية ـ وفي ضوء تلك المعلومات ـ ليس فقط حاضرها، بل ومستقبلها أيضًا، بحسب ما يتخيَّلون أنه الأفضل لها»[١].

ويهمُّنا هنا رسم المستقبل الذي يؤكِّد قيام الهدف السياسي، فالحاضر ـ الذي يتحدَّث عنه المؤلِّف ـ يُراد به الوقت الذي يبسط الاحتلال فيه سلطته على البلاد الإسلامية، والمستقبل يراد به الوقت الذي يلي حقبة الاحتلال. يقول أحمد أبو زيد: «ومن هنا كانت الدول الاستعمارية ترفض مطالبَ تلك الشعوب بالتحرير، وتصف الوطنية والقومية بأنهما ضرب من ضيق الأفق والانغلاق والميل إلى الانعزال على ما كان كرومر يصف مطالب المصريين بالاستقلال. فالشرقيون لا يعرفون مصالحهم الحقيقية التي يعرفها الغربيون نيابة عنهم وبطريقة أفضل، ولذا نَصَبَ الغربيون من أنفسهم أوصياء على الشرقيين»[٢].

ويضيف أحمد أبو زيد القول: «وفضلاً عن ذلك فكثيرًا ماكان الشرقيون يظهرون في كتابات (المستشرقين) ـ بالمعنى

---

(١) انظر: أحمد أبو زيد. الاستشراق والمستشرقون.ـ عالم الفكر.ـ مج ١٠ ع٢ (تموز، أيلول ١٩٨٨م).ـ ص ٢٥٥ ـ ٢٧٦.

(٢) انظر: أحمد أبو زيد. الاستشراق والمستشرقون.ـ المرجع السابق.ـ ص ٢٦٢.

الواسع لهذه الكلمة ـ أناسًا خاملين متبلِّدين لا يملكون الطاقة ولا المقدرة، بل ولا الرغبة في العمل. كما أنهم عاجزون عن المبادأة والمبادرة. إنَّ الشرقيين في نظر الكثير من المستشرقين أقوام يحبُّون التملُّك، كما أنهم يفتقرون إلى الشعور والإحساس بآلام الآخرين، إنهم لا يعرفون معنى السير في الطرقات وعلى الأرصفة، لأنَّ عقولهم العاجزة الضعيفة لا تكاد تدرك مايدركه الأوروبي بسرعة وتلقائية من أنَّ الطرق والأرصفة إنما صنعت للسير عليها»[1].

ويواصل أحمد أبو زيد القول على لسان بعض المستشرقين: إنَّ الشرقيين «يميلون بطبعهم للكذب والشكِّ والارتياب في نوايا الآخرين. إنهم لا يعرفون معنى الوضوح والصراحة والاستقامة في التفكير والسلوك، وهي كلها أمور تميِّز الخُلُق البريطاني النبيل»[2].

ويعلِّق أحمد أبو زيد على هذه الافتراءات بقوله: «وهذه الأقوال والأحكام وأمثالها تتردَّد كثيرًا في كتابات كرومر وأمثاله الذين لم يكونوا يهتمُّون بالشرقيين إلا من حيث هم يؤلِّفون (العنصر) أو (المادَّة) التي يمارسون عليها عملهم، وهو الحكم.

---

(١) انظر: أحمد أبو زيد. الاستشراق والمستشرقون.ـ المرجع السابق.ـ ص ٢٦٢.

(٢) انظر: أحمد أبو زيد. الاستشراق والمستشرقون.ـ المرجع السابق.ـ ص ٢٦٢.

هذا كله إنما يؤكِّد الرأي الذي سبق أنْ أشرنا إليه من قبل في أكثر من موضع أنَّ الاستشراق يتضمن نوعًا من الاستعلاء من جانب الغرب والتخاذُل من جانب الشرق، وأنَّ الاستشراق لم يكن مجرَّد أسلوب للتعبير عن هذه التفرقة الجوهرية (في نظر الغربيين على الأقل)، ولكنه ساعد على تعميق الإحساس بها». (١)

إنَّ الحقبة التي تلت حقبة الاحتلال جعلت اهتمام بعض المستشرقين يتحوَّل من خدمة الاحتلال إلى خدمة السياسة بشكل أوسع. ووجد بعض المستشرقين أنفسَهم عملاء وصنَّاع سياسة، ولم يعد الاستشراق عند هؤلاء مجرَّد تخصُّص علمي «أكاديمي» بحت، كما كان يتوقَّع منه، أو كما أوحى البعض بذلك، وأصبح جزءٌ غيرُ يسير من المستشرقين أدواتٍ في ايدي حكوماتهم.

وعَودٌ على أحمد أبو زيد، حيث يقول: «وكان لا بدَّ لهذا التحوُّل في الموقف من أنْ ينعكس على شخصية المستشرق ذاته وبنظرته إلى نفسه، فلم يعد المستشرق في الأغلب يَعُدُّ نفسَه عالمًا ينتمي إلى طائفة أو فئة من العلماء لهم قيمهم وطقوسهم العلمية وتقاليدهم وأخلاقياتهم ومبادئهم التي تتحكَّم في

(١) انظر: أحمد أبو زيد. الاستشراق والمستشرقون.ـ المرجع السابق.ـ ص ٢٦٢. والحديث عن علاقة الاحتلال بالاستشراق سوف يبرز علاقة كرومر بالاستشراق، ليس مباشرة، وإنما من خلال الربط. على أنَّ هذا المرجع لم يوثِّق هذا الرأي فيعين الباحث على الرجوع إلى ما رجع إليه.

عملهم، وتوجِّه هذا العمل، كما ترسم لهم سلوكهم داخل نطاق هذه الطائفة أو الفئة، وإنما أصبح يَعُدُّ نفسَه «ممثلاً لثقافته الغربية ضد ثقافة الشرق، وبذلك انطوت شخصيته وعمله على نوع من الازدواجية التي تتمثَّل في نظرته إلى النشاط الذي يقوم به على أنه تعبير رمزي من الشعور أو الإحساس بالذات الغربية والمعرفة الغربية والعلم الغربي والسيطرة الغربية، والتي تمسك بتلابيب الشرق وتحاول التغلغل إلى أعماقه بقصد إخضاعه وإذلاله» .[1]

والهدف السياسي لم يكن مقتصرًا على بسط النفوذ على العالم الإسلامي فحسب، بل إنَّ المستشرقين قد دخلوا في صراع دول أوروبا على منطقة العالم الإسلامي، فكانوا أدواتٍ في أيدي حكوماتهم تعينهم على التنافُس بين الدول الأوروبية ذاتها، ولو أدَّى الأمر إلى استخدام الإسلام والعربية. ينقل عبَّاس طاشكندي عن أُلرش هارمان قوله: «كانت الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبل عام ١٩١٩م أقلَّ براءة وصفاء نيَّة، فقد كان كارل هاينرش بيكر، وهو من كبار مستشرقينا، منغمسًا في النشاطات السياسية، حتى إنه أصبح في عام ١٩١٤م شديد الحماسة لمخطَّط استخدام الإسلام في أفريقيا والهند كدرع سياسة في وجه البريطانيين. وقد أعرب في ما بعد عن أسفه لتورُّطه في هذا الموضوع، وعندما غدا وزيرًا

(١) انظر: أحمد أبو زيد. الاستشراق والمستشرقون.ـ المرجع السابق.ـ ص٢٧٣.

للثقافة في بروسيا أيام جمهورية فايمار، سعى جهده لرأب الصدع بين الأعداء السابقين». [1]

ويقصد بالأعداء السابقين المتنافسين على استخدام الإسلام، وفي الفصل الرابع من الباب الثاني من هذا الكتاب مناقشة لموقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية التي سمَّوها بالأصولية ومحاولة تسييس هذه الصحوة، بالتوكيد على دوافعها السياسية.

ومن منطلق أنَّ الهدف السياسي والهدف الاحتلالي هدفان متداخلان ظهرت هنا الصعوبة في عزل هذين الهدفين الواحد عن الآخر. ولعله لا يُفهم من هذه المناقشة أنَّ الهدف السياسي قد تلا الهدف الاحتلالي، بل ربما كان الهدف السياسي سابقًا للاحتلالي وممهِّدًا له، ثم مصاحبًا له، ثم تالياً عليه؛ ما دامت فكرة السيطرة على الشرق والهيمنة عليه قائمة تراود فكر كثيرين من زعماء الدول الأوروبية والأمريكية الشمالية، وقادتها ومفكِّريها ورجال الأعمال فيها. [2] والشرق ـ هنا ـ يشمل العالم الإسلامي وغيره.

---

(١) انظر: عبَّاس صالح طاشكندي. الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق التراث العربي المخطوط.ـ عالم الكتب.ـ مج ٥ ع ١ (رجب ١٤٠٤هـ/ إبريل١٩٨٤م).ـ ص ٥ ـ ١٤.

(٢) انظر: سعيد عدنان. تطوُّر الاستشراق في دراسة التراث العربي لعبدالجبَّار ناجي.ـ عالم الكتب.ـ مج ٥ ع ١ (رجب ١٤١٤هـ/ أبريل١٩٨٤م).ـ ص ٢١٢ ـ ٢١٥.

٤ ـ الهدف التجاري الاقتصادي:

وإذا كان من الصعوبة بمكان التفريق بين الهدفين السياسي والاحتلالي، فإن الهدف الاقتصادي التجاري يكاد يكون داخلاً ضمن الهدف الاحتلالي بشكل أكثر وضوحًا، ثم ضمن الهدف السياسي. فليس القصد من السيطرة على البلاد الإسلامية وغير البلاد الإسلامية إلا بسط النفوذ الغربي على هذه البلاد، رغبة في استغلال موارد البلاد الطبيعية والبشرية. ولعلنا لانزال نرى استغلال بريطانيا للموارد البشرية في الهند وأفريقيا في كثير من الأعمال التي ترفَّعَ عنها الرجل الأبيض، وكُفيها بهذه الملايين من البشر التي ترضى بالزهيد من مقوِّمات العيش كالعمَّال الهنود، ويدخل فيهم الباكستانيون والبنغلاديشيون في بريطانيا. وكذا الحال مع العمَّال الأتراك واليوغسلاف في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م. والعمَّال من أفريقيا وشمال أفريقيا في فرنسا.

هذا وإنْ يكنْ أثر الاستشراق هنا غير واضح، إلا أننا نستطيع أنْ نقول إنه نتيجةٌ من نتائج الاحتلال التي أسهم فيها الاستشراق، على ما سيأتي بيانه في الفصل الأول من الباب الثاني. كما أنَّ التبعية السياسية القائمة كانت نتيجة أخرى من نتائج الاحتلال، ولا يزال للاستشراق فيها أثر.

نعم لقد كان هنالك صراع باطن ثم ظاهر بين دول الاحتلال

على بقية دول العالم، حتى أصبح هذا الصراع يأخذ أشكالاً تقوم على دوافع عرقية أو حدودية أحيانًا، ولكن هذا الصراع كان خروجًا عن الغرض من الاحتلال وهو الغرض الاقتصادي التجاري بالدرجة الأولى. ولعل هذا ما دفع ببعض المهتمِّين بالاستشراق إلى أنْ يذهب إلى أنَّ الهدف الديني للاستشراق لا يخرج عن كونه استغلالاً للدين والمنصِّرين في سبيل تحقيق أهداف تجارية اقتصادية بحتة،(١) يقول صاحبا كتاب التبشير والاستعمار مصطفى الخالدي وعمر فروخ: «والمؤلِّفون عادة لا ينكرون أنَّ التبشير قد اتَّخذه الكثيرون آلة للتجارة والسياسة».(٢)

وفي جانب الموارد الطبيعية نجد أنَّ الموادَّ الخام كانت تُجلب في السابق من البلاد الإسلامية وغيرها إلى دول الاحتلال لتصنَّع وتكرَّر وتعلَّب وتعاد إلى مصدرها وغيره، فتباع لأهلها وغيرهم بأثمان غالية، في الوقت الذي كان يمكن فيه أنْ تصنَّع هذه المواد الخام في مصدرها وتباع إلى الدول الأوروبية بأثمانها الغالية. كما بدت هذه الصورة واضحة في الآونة الأخيرة عندما بدأت بوادر التحرُّر من السيطرة الأوروبية تشق طريقها إلى العالم

(١) انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ. التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي.ـ بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨٢م.ـ ص ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٢) انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ. التبشير والاستعمار.ـ المرجع السابق.ـ ص ٣٥.

(الثالث/ النامي) وبدأت الصناعات التحويلية تتوطَّن في دول المصدر بنسبة ٦٠٪.

وهذا الهدف ليس واضحًا وضوحاً تاماً لدى بعض المتابعين، حتى إنَّ بعض المستشرقين حاول استبعاده مركِّزًا على الهدف الديني، ففي مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في (ليدن ـ هولندا) سنة ١٩٣١م، قال ناظر المعارف الذي افتتح هذا المؤتمر: «إنَّ هولندا لا تذهب إلى الشرق لأجل التجارة، بل لنشر حسنات الدين المسيحي». [(١)]

وهناك جانب آخر ـ وهو جانب ضعيف ـ من جوانب الهدف الاقتصادي التجاري يتعلَّق باتِّخاذ الاستشراق مهنةً وموردًا ماديًا لدى بعض المستشرقين، يتكسَّبون من ورائه من خلال نشر مايتعلَّق بالإسلام والعربية، وتشجيع «نشر المؤلَّفات والكتب التي تدور حول الإسهامات والشرقيات. ويشرفون على نشرها لما يَرَون لها من سوق نافقة في البلاد الشرقية». [(٢)] وليس في هذا سمة سلبية، إلا أنَّ المقصود منه إثبات تكسُّب بعض المستشرقين، توكيدًا للهدف الاقتصادي التجاري. وقد مرَّ أنَّ

---

(١) انظر: بركات عبدالفتاح دوريدار. الحركة الفكرية ضدَّ الإسلام.ـ مكَّة المكرَّمة: المركز العالمي للتعليم الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ.ـ ص ١٢٣.

(٢) انظر: آرثر آربري. المستشرقون البريطانيون/ ترجمة محمَّد الدسوقي النويهي.ـ لندن: مطبعة وليام كولنز، ١٩٤٦م.ـ ص ١٤.

المردود المادِّي لهذا المجال لا يرقى إلى أنْ يصل إلى أنْ يكون هدفًا بعينه.

٥ ـ الهدف العلمي:

الهدف العلمي للاستشراق على نوعين: هدف علمي نزيه خالص وهدف علمي مشبوه. والهدف العلمي المشبوه كان امتدادًا للأهداف السابقة، ولكنه تبطَّن بالعلمية. ولم يبدُ عليه طغيان هدف آخر، ولم يبدُ على أصحابه انخراطهم المباشر في هيئات أو مؤسَّسات دينية أو احتلالية أو سياسية أو تجارية، فالتشكيك بصحَّة رسالة الرسول ﷺ، وإنكار أنْ يكون القرآن مُنْزَلاً من الله تعالى، ثم إنكار أنْ يكون الإسلام دينًا من عند الله تعالى، والتشكيك في صحَّة حديث الرسول ﷺ، والتشكيك بقيمة الفقه الإسلامي وأصالته الإسلامية،(١) والتشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة العصور والتطوُّرات العلمية، كل هذه الوسائل وغيرها،(٢) إنما هي امتداد لمحاولة إشعار المسلمين ببطلان ما هم عليه، ومن ثَمَّ البحث عن بديل يكون جاهزًا في النصرانية أو اليهودية، أو بهما معاً او بغيرهما، ينقله لهم الاحتلال وتؤيِّده السياسة.

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة.ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.ـ ٢٨٠ ص.

(٢) انظر: مصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٠ ـ ٢٣.

والجدير ذكره أنَّ هذه الأساليب ليست جديدة نظَّر لها المستشرقون. فقد تعرَّضت الدعوة الإسلامية لمثل هذه الأساليب في الطعن بالرسالة والرسول ولغيرها منذ بعثة محمَّد ﷺ،[1] ولم يكن أثر المستشرقين في هذا إلا محاولة صبغ هذه الاتِّهامات بالعلمية، والبحث في تراث المسلمين عن وقائع بعضها شاذٌّ، وبعضها مكذوب، وبعضها لايُحتجُّ به، وجعل هذه الوقائع دلائلَ على صحَّة هذه الشبهات التي تبنَّوها.

النزاهة:

أما الهدف العلمي النزيه الخالص فقد تحقَّق على يد نفر من المستشرقين، دفعهم حبُّ الاستطلاع والانبهار بالمدّ الإسلامي وبأحكام الإسلام وواقعيته إلى أنْ يبحثوا فيه، ويكتبوا عنه متجرِّدين من الهوى والأغراض. وهناك نماذجُ عدَّة من هذه الفئة في عالم الاستشراق. فمنهم من اهتدى وخرج عن هذا العالم (عالم الاستشراق)، وكتب عن الإسلام كتابات طيبة، كما كتب عن الأديان الأخرى كتابات كانت سببًا في تراجُع بعض المستشرقين عن أهدافهم المرسومة.[2] ولعلَّ هذا مما يؤيِّد

---

(١) انظر: عدنان محمَّد وزّان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٩.

(٢) انظر: محمَّد عبدالفتاح عليّان. أضواء على الاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٧.

فكرة تحوُّل المستشرق من دافع دفعه إلى هدف وصل إليه. والأسماء كثيرة في هذا المجال.

ومن المستشرقين أصحاب هذه الفئة من اهتدى وغيَّر اسمه أو لم يغيِّر اسمه. ومنهم من آمن وأخفى إيمانه. ومنهم من بقي على عقيدته، واحتفظ للإسلام وأهله بالتقدير والموضوعية والتجرُّد. ولاعتدال هؤلاء المستشرقين يجدون شيئًا من المضايقة من أترابهم ذوي الأهداف الأخرى. تتمثَّل هذه المضايقات في عدم دعوتهم للمؤتمرات والندوات، وعدم نشر أبحاثهم في الدوريات الاستشراقية، وعدم إتاحة الفرصة لهم للعمل في المراكز ومدارس الدراسات العربية والإسلامية والشرقية، وقلَّ أنْ يجدوا تقديرًا من المسلمين بما يتناسب مع هذا المنطلق.

وتجد بعض المهتمِّين من العلماء والمفكِّرين المسلمين يريد منهم أنْ يصبحوا من رجال العلم الشرعي، وألاَّ يخطئوا في مسائل يعدُّها المسلم من البدهيات في الدين. ومن جانب آخر نجد أنَّ هؤلاء ـ وفي الوقت الذي يلقون فيه المضايقات من أترابهم ـ يفتقرون إلى الدعم المادِّي الذي يعينهم على الاستمرار في هذا الطريق الذي اختاروه. يقول عمر عودة الخطيب: «على أنَّ هذا الصنف لا يوجد إلا حين يكون له من الموارد المالية الخاصة ما يمكِّنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأنَّ أبحاثهم المجرَّدة من الهوى لا تلقى رواجًا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند الكثرة المتعصِّبة

من القرّاء المسيحيين. ومن ثَمّ فهي لا تدرُّ ربحًا ولا مالاً، ولهذا ندر وجود هذه القلَّة في أوساط المستشرقين»[1].

والهدف العلمي هو المتوقَّع والمتوخَّي من طائفة كرَّسوا حياتهم لدراسة الشرق والإسلام والعربية. ولا بأس من بعض الأخطاء والهِنات إذا كان الهدف علميًا، ولا بأس من سوء الفهم ما دامت النية صادقة، لأننا نحن المسلمين «لا نطلب من كل مستشرق أنْ يغيّر معتقده ويعتقد ما نعتقد عندما يكتب عن الإسلام، ولكن هناك أوَّليات بديهية يتطلَّبها المنهج العلمي السليم، فعندما أرفض وجهة نظر معيَّنة لا بدَّ أنْ أبيِّن للقارئ أولاً وجهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها، ثم لي بعد ذلك أنْ أخالفها»[2]. كما يقول محمود حمدي زقزوق ـ مرَّةً أخرى ـ ولأننا نحن المسلمين كذلك قد نختلف في الفروع ويسيء بعضنا الفهم، فيصدر بأحكام مُجَانِبةٍ للصواب متابعةٍ للشواذِّ من الفتاوى، فيردُّ عليه الأخرون بموضوعية منتظرة، وقد رسموا سلفًا قاسمًا مشتركًا بينهم وهو سلامة النية وصدق

(١) انظر: عمر عود الخطيب. لمحات في الثقافة الإسلامية.ـ ط ١٠ .ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦/١٩٨٦م.ـ ص ١٩٧ . وانظر إلى هذا النصِّ لدى ناديا أنجيليسلكو: الاستشراق والحوار الثقافي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٠، وتنقله عن سلطان عبدالحميد سلطان في كتابه من صور الغزو الفكري للإسلام: التبشير والاستشراق والعلمانية.ـ القاهرة: ١٩٩٠م.

(٢) انظر: محمود حمدى زقزوق. الإسلام والاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢١.

المقصد ونبل الأهداف. وإذا كان الخلاف مع المستشرقين من هذا النوع فذلك لا يفسد للودِّ قضية.

ولا يكاد إنتاج عربي حول الاستشراق يخلو من التوكيد على أنَّ هناك طائفةً منصفة من المستشرقين يُذكرون أحيانًا بأسمائهم وبإسهاماتهم، ولكن الغالبية العظمى من هذا الإنتاج ـ خصوصاً منه ما أُتيح الاطِّلاع عليه ـ لم تكن مطمئنة اطمئنانًا تامًّا لأهداف المستشرقين على وجه العموم. ويندر من يغضُّ النظر عن أنَّ الهدف العلمي متحقَّق لدى بعض المستشرقين، فتراه يغفل هذا ويُنحي باللائمة على المستشرقين بعامَّتهم، لما كان لهم من آثار سلبية في الفكر المسلم الحديث، وأنهم لا يملكون شيئًا إيجابيًا أو صالحًا يمكن أنْ يقدِّموه للمسلمين في مجال الحاجة إلى وجهة نظرهم حول الإسلام والمسلمين وفي حقبة من حقبهم التي اتَّكأوا عليها في دراساتهم وأبحاثهم، يقول أنور الجندي ـ رحمه الله تعالى ـ في حكم تعميمي: «فما زالت أهواؤهم تسيطر على عطائهم، فهم يقدِّمون السموم والأساطير والآراء الضالَّة، أو على الأقلِّ يقدِّمون تجربة مجتمعاتهم الفاسدة، وليست لهم قدرة حقيقية على أنْ يستوعبوا أحوال مجتمعات المسلمين، ليقدِّموا لها شيئًا ينفع، كما أنَّ عطاءهم قليل وغير مجدٍ وغير إيجابي ويمكن الاستغناء عنه».(١)

(١) انظر: أنور الجندي. هزيمة الاستشراق في ملتقى الإسلام.ـ تونس: دار بوسلامة، (١٩٨٥م).ـ ص ٧ ـ ٨.

وهذا تعميم من الأستاذ أنور الجندي تعوَّدنا عليه منه - رحمه الله - إلا أنه تعميم لا يؤيِّده الواقع، فجهود المستشرقين في خدمة التراث ونشره، بل وحفظه قبل نشره، جانب من الجوانب التي لا بدَّ من الوقوف أمامها موقف الإعجاب والتقدير. وينبغي ألا تدفعنا محاولة النظرة السلبية لظاهرة الاستشراق عن إنكار هذه الجهود.(١)

وإسهامات المهتمِّين العرب في كشف هذه الجهود محدودة بالنظر إلى مجمل الإسهامات في مجال الاستشراق؛ إذ تغلب على الإنتاج الفكري عن الاستشراق الذي تمَّ الوصول إليه، النظرة المتوجِّسة الحذرة. وفي كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية بجزأيه مناقشات جيدة موضوعية.(٢)

وفي بحثين قيِّمين يناقش سامي الصقَّار الجوانب الإيجابية في الاستشراق البريطاني.(٣) وتبرز في هذين المرجعين النظرة

(١) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. المستشرقون ونشر التراث.- ط ٢.- الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.- ١٨٥ ص.

(٢) انظر: مكتب التربية العربي لدول الخليج والمنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية.- ٢ مج.- الرياض: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٣) انظر: سامي الصقّار. مجلَّة كليّة الآداب بجامعة الملك سعود.- مج ٩ (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).- ص ١٥٩ - ٢٢٨. والبحث الآخر نشره المؤلف تحت عنوان: دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي في مجلَّة المنهل.- مج ٥٠، العدد ٤٧١ (رمضان/ شوال ١٤٠٩هـ، إبريل/ مايو ١٩٨٩م).- ص ١٤٢ - ١٦٧. وجاء هذا العدد من المجلة كلُّه مخصَّصًا للاستشراق والمستشرقين. ويبرز فيه التفاوت في النظرة إلى الظاهرة. انظر مثلاً الصفحات من ١٩٨ - ٢٧٥.

الإيجابية والنظرة السلبية لعدد متباين من الكتّاب، إلا أنه من الحقِّ القول إنَّ من كتبوا في الجوانب الإيجابية هم من المتخصِّصين، بينما جاء من كتب في الجوانب السلبية من المهتمِّين الغيورين على دينهم وعربيتهم، ولكنهم ليسوا متخصِّصينِ في الدراسات الاستشراقية.

الباب الثاني

علاقة الاستشراق والمستشرقين بالإحتلال والتنصير واليهودية

التمهيد

سبق القول بأنَّ الاستشراق ظاهرة شملت شتَّى فروع المعرفة الإسلامية. واتَّضح شمولها هذا مؤخَّرًا، بعد أنْ تخطَّى الاستشراق مجرَّد كيل الاتِّهامات للكتاب والسنَّة والتراث العربي الإسلامي. وبسبب من شمولية الدراسات الاستشراقية في الآونة الأخيرة يستبعد الناهلون من الإنتاج الفكري للاستشراق أنْ تكون هناك علاقة بين هذه الظاهرة وظواهر أخرى تختلف مع الاستشراق في الطريقة والوسائل.(١)

ويقف بعض المتابعين موقف المتحفِّظ، عندما تكون هناك

---

(١) انظر: ساسي سالم الحاج. نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية.ـ ٢ مج.ـ بيروت: دار المدار الإسلامي.ـ ١: ٢١ ـ ٢٢، حيث يؤكِّد المؤلف في مناقشته على أنَّ الاستشراق ظاهرةٌ وليست علمًا قائمًا بذاته. ومن هنا جاء التعبير عنها بالظاهرة في العنوان الفرعي لهذا المرجع.

إشارة لقيام رابطة بين الاستشراق والاحتلال أو التنصير أو اليهودية/ الصهيونية. ويرون أنَّ مجيء المستشرقين من دول كانت لمعظمها صولات وجولات احتلالية في البلاد العربية والإسلامية، ومجيء المستشرقين من دول تدين بالنصرانية كخلفية ثقافية لم تستطع التخلُّص منها، وإنْ فضَّلت أنْ تظهر للآخرين بالمظهر العَلماني، ومجيء المستشرقين من مجتمعات نشأ فيها اليهود، وكان لهم تأثيرهم في هذه المجتمعات سلبًا أو إيجابًا، كل هذا لا يسوِّغ قيام رابطة قوية أو علاقة متينة بين هذه الخلفيات والأحداث وظاهرة الاستشراق؛ إذ إنَّ الاستشراق في مجمله كان مجرَّدًا من هذه الخلفيات والأحداث، على اعتبار أنَّ الاستشراق منهج علمي، يدرس ظواهر علمية خلَّفها سلف الأمَّة الإسلامية، ويحاول الخلف أنْ يكونوا امتدادًا لأولئك السلف.

هكذا ينظر بعض مفكِّرينا إلى ظاهرة الاستشراق، إلى الدرجة التي جعلت بعضهم «يتبنَّى» آراء المستشرقين في الكتاب والسنَّة والتراث العربي الإسلامي،[1] مصرًّا على أنه لا يخرج بهذا الطرح أو التأثُّر عن الخطِّ الإسلامي، وإنْ قال في كتاب الله

(١) لا بدَّ من التوكيد على أنَّ القرآن الكريم والسنَّة النبوية المطهَّرة لا يدخلان في اسم «التراث»؛ إذ لا ينطبق عليهما مفهوم التراث. فهما مصدر للتشريع لا يزالان يؤدِّيان ما أريد لهما أنْ يؤدِّياه في حياة المسلمين. انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. المستشرقون ونشر التراث. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٨ ـ ٢٠.

وسنَّة نبيه ﷺ ما قد يصل بالمرء إلى الخروج من الملَّة.

الطيِّب في الأمر أنَّ هؤلاء المنبهرين قلَّة، وهم يتقلَّصون مع ارتفاع نسبة الوعي الفكري بين العرب والمسلمين، وإدراك كثير من المفكِّرين أنَّ الهروب من الدين لم يُعِن الأمَّة على الوقوف على أقدامها، بقدْر ماحملها على التعثُّر أكثر مما تعثَّرت من قبل. فبحث المفكِّرون مرَّة أخرى في أسباب انحطاط المسلمين وما خسره العالم من هذا الانحطاط، فلم يكن هناك بدٌّ من الوقوف على إسهامات المستشرقين مجملة، وكونها أثرًا من آثار هذا الانحطاط، عندما تبيَّن أنَّ هؤلاء المستشرقين - في مجملهم - كانوا عونًا على الحملات الاحتلالية على البلاد العربية والإسلامية، و«قاعدة المعلومات» لحملات التنصير التي لا تزال تجتاح المجتمع العربي والإسلامي، وتبيَّن لهؤلاء أنَّ قسمًا من المستشرقين - وهم أولئك الموضوعيّون المتجرِّدون - كانوا منصِّرين، كما تبيَّن لهؤلاء أنَّ الاستشراق في بعض اتِّجاهاته مهَّد بطريق مباشر أو غير مباشر لقيام وطن قومي لليهود في فلسطين، وأنَّ الاستشراق في بعض نزعاته لا يزال يسعى إلى تسهيل مسألة قبول قيام الوطن القومي لليهود في فلسطين بين المفكِّرين الغربيين والمفكِّرين العرب على حدٍّ سواء.

ولا يكفي أنْ يقال إنَّ هناك علاقةً ضعيفةً أو قويةً بين التيَّارات المعادية للإسلام، دون اللجوء إلى إقناع المتلقِّي بوجود هذه العلاقة، مع شيء وافر من التجرُّد الذي تفتقر إليه التيَّارات.

والتجرُّد والموضوعية ديدننا، لا نستطيع الخروج عنهما مغلِّبين جوانب أخرى كالعاطفة مثلاً، وإلا خالفنا نصاً منهجيًا من نصوص القرآن الكريم. وفي التجرُّد والموضوعية عدل نحن مطالبون به حتَّى مع أولئك الذين لم يراعوا فينا هذه الجوانب التي تسمو بالإنسان وترتفع به إلى درجات الكمال الإنساني، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة).

ومع هذا فإنَّ محاولات إيجاد علاقة بين تلك التيَّارات المعادية للإسلام، بما في ذلك إدراج الاستشراق واعتباره من هذه التيَّارات، لم تخلُ في مجملها ـ وليس كلَّها ـ من تغليب العاطفة في مواقف يمكن رصدها. ولأنَّ هذه المحاولات مكتوبة قابلة للمراجعة فينتظر منها أنْ تعالج هذا الجانب الذي يمكن أنْ يفهمه ويقدِّره المتلقِّي بخلاف ما لو كان التلقِّي مشافهةً وارتجالاً. وعلى أيِّ حال فإنَّ تغليب جانب العاطفة ليس سمةً يمكن تعميمها على جميع الأعمال التي سعت إلى توكيد هذه العلاقة.

على أنَّ الأعمال العلمية التي سعت إلى توكيد العلاقة بين التيَّارات المعادية للإسلام، والتي لم تقتصر على هذه التيارات الأربعة (الاستشراق، والتنصير، والاحتلال، والصهيونية)، لم تعالج هذه القضية بتوسُّع، لأنها كانت ضمن أعمال عامَّة في

مجال الاستشراق بخاصَّة. عدا بحث في العلاقة بين الاستشراق والتنصير، نُشر في صحيفة أخبار العالم الإسلامي في حلقات، لعله يجمع ويصدر في كتيِّب واحد؛ تعميمًا للفائدة. وقد ورد ذكره في هذه المحاولة لتوكيد العلاقة بين الاستشراق والتنصير.

ولا يزال موضوع الارتباطات بحاجة إلى مزيد من البحث والغوص في حياة المستشرقين العلمية، وربَّما أوجه نشاطهم الأخرى، يستشفُّ منها الباحث دلالاتٍ مقنعةً لقوَّة العلاقة، ناهيك عن تحقيقها بين التيَّارات المختلفة.

ولا يبدو أنَّ هناك حاجةً قويةً لتحقيق وجود العلاقة، ولكن الحاجة قائمة لتوكيد مدى القوَّة في العلاقة بين مجموع هذه التيَّارات المعادية أو ضعفها. وربما بحثت العلاقة بين الاستشراق وبعض التيَّارات الأخرى التي انحرفت عن الإسلام، وهي لا تزال تُصرُّ أنها من الإسلام، كالحشَّاشين والبهائية والبابية والقاديانية، ومثلها تيَّارات حادثة.

وعلى أيِّ حال فظاهرة الاستشراق تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث، تسبر غورها، وتبتعد عن التكرار، وتتخصَّص في جوانب ضيقة من هذه الظاهرة. ولعلَّ الأقسام العلمية في الجامعات الإسلامية والعربية تسهم في مثل هذه الطريقة في البحث، وتكثِّف من اهتمامها بهذه الظاهرة، على اعتبار أنها الظاهرة الوحيدة من بين الظواهر الأخرى التي تلبَّست بالعلمية والمنهجية، وسعت بهذا اللباس إلى تحقيق أهداف احتلالية

وتنصيرية واقتصادية وعقدية وفكرية، كلها تتعارض مع الخطِّ الإسلامي على أخفِّ الأحكام.

ولعلَّ مراكز البحوث المهتمَّة بالدراسات الإسلامية تسهم في هذا المجال، فتوفِّر المادَّة العلمية للباحثين، وتعينهم على الدراسات، وتعقد المؤتمرات والندوات التي تقوِّم جهود المستشرقين وإسهاماتهم في خدمة التيارات الأخرى، كما تُبيِّن وقوف بعضهم موقف الموضِّح لهذه التيَّارات وأثرها على العلاقة بين المسلمين والغرب، وتعقّد الموازنة بين خدمتهم للإسلام والتراث، وجهودهم في خدمة هذه التيَّارات.

هذا وقد نُشرت هذه الفصول الآتية في أوقات متفاوته، مما أضفى عليها اختلافًا طفيفًا في المنهج، وكان شيء منها موجَّهًا إلى رقعة أوسع من القرَّاء، مما أضفى عليها نوعًا من العمومية.

الفصل الأوَّل

العلاقات بين الاستشراق والاحتلال[1]

التمهيد:

مع إشراقة بعثة محمَّد ﷺ ظهرت الخلافات حولها. وقد أخذت هذه الخلافات أشكالاً متعدِّدة. فعندما أحسَّ أعداء الدين أنَّ نجم الإسلام يزداد نورًا وضياءً اتَّبعوا أسلوب الحرب العقدية. فظهرت ـ كما مرَّ بيانه ـ في المجتمع المسلم الحركة السبئيّة على يد عبدالله بن سبأ من اليهود. ولا تزال هذه الحركة في مفهومها تضرب أطنابها في مجتمع المسلمين، وإنْ تغيرت أسماؤها.

وعندما أحسَّ الأعداء بضعف المسلمين غَزُوهم في عقر دارهم غزوًا حربيًا احتلاليًا. وتزعَّم هذا الاتِّجاه في البداية

(١) كان أصل هذا الفصل بحثًا بعنوان: العلاقة بين الاستشراق والاستعمار، نشرته مجلّة التوباد. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٨ ـ ٤٢.

الصليبيون. ومع الصليبيين كان هناك علماء أُريد لهم أنْ يستفيدوا من تراث المسلمين؛ قصدًا إلى إبقاء الصليبيين مدَّةً أطول. ولكنَّ الصليبيين يرحلون مهزومين، فيُعيدون الكرَّة بالعودة بأيِّ أسلوب أو بأيِّ شكل.

وتظهر عزَّة المسلمين ـ مرَّةً ثالثةً ـ في الخلافة العثمانية حينًا من الدهر، ثم يضعف العثمانيون ليخلفهم الاحتلال على تركة الخلافة من خلال معاهدة سايكس ـ بيكو، بعد أنْ أوحى للعرب وغيرهم أنَّ الحكم العثماني ما كان إلا شكلاً من أشكال الاحتلال. ثم ينتهي الاحتلال العسكري الفعلي في البلاد الإسلامية. ويرحل المحتلُّون الأجانب عن البلاد، وتبقى بقاياهم، ويكثر مندوبوهم وممثِّلوهم من أبناء الأمَّة إلى اليوم، فينفِّذون خطط المحتلِّين بأفضلَ وأقوى مما كانت تنفَّذ عليه مدَّة الاحتلال.

وفي وسط هذا كلِّه، وقبله وبعده، تبرز فكرة أو مفهوم خلاصته اهتمام الغرب بالشرق عمومًا وبالإسلام خصوصاً. وينصبُّ هذا الاهتمام على الفكر والآداب والتراث والعادات والتقاليد. ويطلق على هذا المفهوم اسم الاستشراق. ويأخذ في مجمله ـ لا فيهِ كلِّه ـ شكلاً آخر من أشكال الحرب على الإسلام وعلى العرب، لعلَّ أخطرها على الإطلاق الحرب الفكرية التي كانت ولا تزال عونًا على بقية أشكال الحروب، ولعلها كانت التمهيد لهذه الحروب.

ولست هنا بصدد التفصيل حول أشكال الحروب الموجَّهة للإسلام والمسلمين، ولكن لعلّي هنا أستطيع أنْ أركِّز على شكل واحد أو شكلين، وأحاول أنْ أربط بينهما في علاقة. الشكل الأول يتمثَّل في الاحتلال، والشكل الثاني يتمثَّل في الاستشراق. والتركيز هنا يمكن أنْ يكون في محاولة للنظر فيما إذا كانت هناك رابطة بين هذين الاتِّجاهين.

من خلال دراسة هذا الجانب يستطيع الباحث الخروج برأيين مختلفين حول الرابطة بين الاحتلال والاستشراق. أحدهما يُلخَّصُ في أنَّ الاستشراق وليد الاحتلال. والآخر يذهب إلى أنَّ الاستشراق كلَّه بمثابة التمهيد للاحتلال. وبين الرأيين فرق واضح، إلا أنَّ المرء لايستطيع الخروج برأي ثالث يوحي بأنَّ لا علاقة بين الظاهرتين، وأنَّ كلاّ منهما كان يعمل على شاكلته.

وهذا يعني أنَّ هناك رابطةً قائمةً بين هاتين الظاهرتين، بغضِّ النظر عن أسلوب العلاقة ومداها وقوَّتها. فهناك تحالُف بين فريق من المستشرقين والاحتلال الذي أذلَّ العالم الإسلامي وغير الإسلامي من منطقة ما يسمَّى بالعالم الثالث حينًا من الدهر في العصر الحديث.(١)

---

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٤.

وينقل محمود حمدي زقزوق عن المستشرق المعاصر شتيفان فيلد،[1] أنَّ هناك جماعةً «يسمُّون أنفسهم مستشرقين سخَّروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين. وهذا واقع مؤلم لا بُدَّ أنْ يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة».[2] ولا يبيِّن فيلد هنا صراحة رسالة المستشرقين التي يريد الاستشراقَ لها وهي اتِّباع المنهج العلمي في دراسة الشرق ـ كما هو معلوم من مواقف اصطفان فيلد. ولذلك نراه يؤيِّد الفكرة التي ترى أنَّ الاستشراق جاء تمهيدًا للاحتلال، أو على أقلِّ تقدير كان جزءٌ من الاستشراق مصاحبًا للاحتلال.

ويؤيد فكرة التمهيد هذه الأستاذ مالك بن نبي ـ رحمه الله ـ (١٣٢٣ ـ ١٣٩٣هـ/ ١٩٠٥ ـ ١٩٧٣م) حينما يؤكِّد أنَّ الاستشراق مرَّ بمرحلتين في اكتشاف الفكر الإسلامي؛ الأولى كانت من أجل إثراء ثقافة أوروبا، والمرحلة الثانية «العصرية» من أجل تعديل سياسي لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه

(١) أو اصطفان فيلد، من مجموعة المستشرقين الألمان المهتمِّين بتحقيق التراث الإسلامي. بدأ سنة ١٩٣٧م في إنشاء وصف للمخطوطات العربية في صنعاء. انظر: رودي بارت. الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية / ترجمة مصطفى ماهر.ـ القاهرة: دار الكتاب العربي.ـ ص ٧٧.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الإسلام والاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٤.

الأوضاع في البلاد الإسلامية لتسيطر على الشعوب الخاضعة فيها لسلطانها.[١]

ويذهب محمَّد البهي موافقًا مالكَ بن نبي - رحمه الله - إلى أنَّ الاستشراق يمكن أنْ يُنظر إليه على أنه صورة من صور حماية الاحتلال، قام لتمكين الاحتلال الغربي في البلاد الإسلامية.[٢] ويوافقهما أنور الجندي - رحمه الله - إذ يرى أنَّ الاستشراق في مفهومه - وليس في تعريفه - العلم في خدمة السياسة والاحتلال.[٣] وهناك مواقف متعدِّدة حول النظر إلى مفهوم الاستشراق على أنه علم له أصوله ومناهجه وأهدافه وغاياته.[٤]

ويرى عبدالرحمن حسن حَبَنَّكة أنه بعد هزيمة أوروبا في الحروب الصليبية اتَّجهت إلى دراسة البلاد الإسلامية من نواحٍ شتَّى، فكرية وعقدية واجتماعية وجغرافية وتاريخية؛ رغبةً في

(١) انظر: مالك بن نبي. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث.- بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.- ص ٩ و ٢٣.

(٢) انظر: محمَّد البهي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.- مرجع سابق.- ص ٢٣ - ٥٦.

(٣) انظر: أنور الجندي. شبهات التغريب في الفكر الإسلامي.- مرجع سابق.- ص ٨٧ - ٩٥.

(٤) يذهب بعض المهتمِّين إلى أنَّ الاستشراق علم قائم بذاته. ويرى آخرون أنه ظاهرة مثله في ذلك مثل الاحتلال والتنصير.

إضعاف «المقاومة» الروحية[1] والمعنوية في نفوس المسلمين، وبثِّ الوهن والارتباك في التفكير.[2] ورأي عبدالرحمن حسن حَبَنَّكة هذا يتَّفق مع الرأي الذاهب إلى أنَّ الاحتلال جاء وليدًا للاستشراق، وأنَّ الاستشراق كان ممهِّدًا للاحتلال. ويتَّفق معه كذلك محمود عبدالحكيم عثمان عندما يذكر أنَّ الاستشراق ـ في مجمله ـ قام تمكينًا لنفوذ الاحتلال الغربي، وليمهِّد نفوس المسلمين لقبول الاحتلال،[3] ويؤيِّد هذا المذهب كلٌّ من الشيخ أحمد بشير،[4] والتهامي نقرة.[5]

في الجانب الآخر من نوع الرابطة يرى عرفان عبدالحميد أنَّ الاستشراق كمنهج عقلي «لقاح من أبوين غير شرعيين:

---

(١) المقصود بالمقاومة الروحية هنا الجهاد. وجهود المستشرقين والمحتلِّين في القضاء على الجهاد بين المسلمين وتشويهه معلومة، بحيث يظهر منهم من يتبنَّى أولاً أنه ـ في جانبه القتالي ـ دفاع عن النفس، ثم يظهر بعد ذلك من يدعو إلى بطلانه وأنه كان من مستلزمات انتشار الإسلام في أيامه الأولى.

(٢) انظر: عبدالرحمن حسن حَبَنَّكة الميداني. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٣) انظر: محمود عبدالحكيم عثمان. جهود المفكِّرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيَّار الإلحادي.ـ الرياض: مكتبة المعارف. ١٤٠١هـ.ـ ص ٤٨ ـ ٦٧.

(٤) انظر: الشيخ: أحمد بشير. الغزو الفكري والتيَّارات المعادية للإسلام.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٧٠.

(٥) انظر: التهامي نقرة. القرآن والمستشرقون.ـ في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية.ـ ٢ مج.ـ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ.ـ ١: ٢٥.

التبشير[1] الذي خطَّط له، والاستعمار الذي غذَّاه».[2] ويتَّفق معه في هذا مصطفى الشكعة، حيث يصف هذين الأبوين اللذين يسمِّيهما (الصليبية التبشيرية والاستعمار) بأنهما معاديان للإسلام،[3] ولا بدَّ من الموافقة على هذا الاتِّجاه.

وإذا كان لا بدَّ من التغليب هنا فلعل الرأي القائل بأنَّ الاستشراق في بعض اتِّجاهاته جاء تمهيدًا للاحتلال هو الرأي المرجَّح هنا، وذلك لأسباب عدَّة منها:

أولاً: أنَّ الاستشراق قد سبق الاحتلال في النشأة وفي تحديد الأهداف، مع الإحجام عن سرد الآراء الواردة حول بداية الاستشراق وتاريخه التي ورد نقاشها في الفصل الثاني من هذا الكتاب، ولو أخذنا بآخرها من حيث البدءُ لوجدنا أنَّ الاستشراق بدأ رسميًا عام ٧٠٢هـ/ ١٣١٢م بصدور قرار مجمع فييِنّا الكنسي بإنشاء عدد من الكراسي العربية في الجامعات الأوروبية ـ كما مرَّ ذكره ــ. وقبل ذلك كانت هناك حركات تشير إلى بدايات غير رسمية في السنوات ١١٣٠م،

---

(١) سبق القول إنَّ أفضل بديل عربي إسلامي لمصطلح «التبشير» المصطلح «التنصير» لمناسبته الفكرة.

(٢) انظر: عرفان عبدالحميد. المستشرقون والإسلام.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٣) انظر: مصطفى الشكعة. مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس.ـ في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٢٨٧.

١١٤٣م، ١٢٢٠م، ١٢٢٩م،[١] بينما كانت بدايات الاحتلال الفعلية في أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وبدايات القرن الثاني عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.[٢]

ثانيًا: من أسباب تغليب سَبْق الاستشراق على الاحتلال وكونه تمهيدًا له أنَّ الاستشراق عالج الفكر الإسلامي من خلال إضعافه للقيم والمُثُل الإسلامية، وفي المقابل تمجيده بطريق غير مباشر وغير واضح للقيم والمُثُل الغربية المسيحية (النصرانية)،[٣] ومن خلال التشكيك في التراث، ومن قبله التشكيك في القرآن الكريم والسنَّة الشريفة، في سبيل إحلال مفهومات جديدة، أو إعادة مفهومات جاهلية كالقومية والعرقية والشعوبية وهجر اللغة العربية الجامعة للأمَّة بالدعوة إلى تبنِّي

---

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق. الإسلام والاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤ ـ ٧.

(٢) عند مناقشة نشأة الاستشراق في الفصل الثاني من الباب الأول كان هناك ميل إلى أنَّ الاستشراق نشأ مع عودة المبعوثين النصارى من الأندلس وازدهار حركة الترجمة والنقل من العربية في أوروبا.

(٣) يقول عمر فروخ: «يجب التفريق بين النصرانية والمسيحية. النصرانية هي الدين السماوي الذي أوحي إلى المسيح بن مريم (عليه السلام) وهو دين قائم على التوحيد وعلى أنَّ المسيح عيسى بن مريم نبيّ. أمَّا المسيحية فهي مجموع التعاليم التي وضعها بولس (ت ٦٧م) والتي بُنيت على التثليث الهندي ثم نُسبت إلى (المسيح) الذي جُعل إلهًا». انظر: عمر فروخ. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة في: الإسلام والمستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٢٥.

اللهجات المحلية العامِّية،[1] وتبنِّي دعوى عجز اللغة العربية عن مسايرة التقدُّم العلمي. ومن خلال العمل على التشكيك في مفهوم الجهاد وتشويه مفهومه بأيدي بعض المستشرقين، كما بأيدي بعض المنتمين إلى بعض الحركات الإسلامية، والركون إلى التصوُّف، على اعتبار أنَّ هناك ادِّعاءً بأنَّ التصوُّف يهمل الجهاد في سبيل الله في جانبه القتالي. وإنما الذي سعى إلى إهمال الجهاد وإبطاله تلك الملل والنحل التي صنعها الاحتلال، ولم يكن التصوُّف منها، إذ إنَّ التصوف قديم، وهو درجات،[2] ومن خلال السعي إلى إلغاء تحكيم الشريعة الإسلامية في مجالات المعاملات خصوصاً، وفي مجال الزكاة والحجِّ والصيام في العبادات.[3]

ثالثًا: أنَّ بعض المستشرقين كانوا ساعدًا قويًا في حركة الاحتلال، فمع الجيوش الحربية الاحتلالية كان هناك «جيش

---

(١) انظر: مصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم.- مرجع سابق.- ص ١٧ ـ ١٨. وانظر أيضًا: نفوسة زكريا سعيد. تاريخ الدعوة إلى العاميّة وآثارها في مصر.- الإسكندرية: دار نشر الثقافة، ١٩٦٤م. وانظر كذلك: نوال عبدالهادي. لغة الضاد بين التشكيك والتحديث.- المجلة العربية.- ع ١٣٤ (٣/١٤٠٩هـ - ١٠/١٩٨٨م).- ص ٩٢ ـ ٩٣.

(٢) انظر: نذير حمدان. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ١٢٠.

(٣) انظر: محمَّد مصطفى الأعظمي. المستشرق شاخت والسنَّة النبوية.- في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية.- مرجع سابق.- ١: ٦٦ ـ ٦٧.

المستشرقين الذي رافق الجيوش الاستعمارية وعمل كجناح فكري لها يساعدها على التخطيط الإستراتيجي الخاص بفرض السيادة الغربية واستمرارها في بلاد الشرق». [١] وقد استخدمتهم الحكومات المحتلَّة مستشارين لها في وزارات الاستعمار ووزارات الخارجية:

أ - فيُذكر أنَّ أنتوني إيدن[٢] وزير خارجية إنجلترا كان لا يتَّخذ قرارًا ذا علاقة بالشرق الإسلامي حتى يدعو مجموعة من المستشرقين، ويعرض عليهم المسألة، ويستعين بآرائهم في اتِّخاذ قراره. [٣]

ب - ولويس ما سينيون[٤] المستشرق الفرنسي المعروف الذي

---

(١) انظر: محمَّد خليفة حسن. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر.- مرجع سابق.- ص ٣٢ - ٣٣.

(٢) أنطوني إيدن (١٨٩٧ - ١٩٧٧م) عمل وزيرًا سنة ١٩٣٤م. ثم وزيرًا للخارجية (١٩٣٥ - ١٩٣٨م) ثم (١٩٤٠ - ١٩٤٥م) ثم رئيسًا للوزارة سنة ١٩٥٥م. كان المحرِّك الأكبر لتحالُف بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في عدوانها الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م. انظر: المنجد في الأعلام.- ط ٢.- بيروت: دار المشرق، ١٩٦٩م.- ص ٦٥.

(٣) انظر: محمَّد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم: عرض موجز لمواقف وآراء وفتاوى بشأن ترجمة القرآن الكريم مع نماذج لترجمة تفسير معاني الفاتحة في ستٍّ وثلاثين لغةً شرقية وغربية.- ط ٢.- بيروت: دار الآفاق الحديثة، ١٤٠٣هـ.- ص ٩١.

(٤) لويس ماسينيون (١٨٨٣ - ١٩٦٢م) مستشرق فرنسي طاف البلاد الإسلامية، له أكثر من ٦٥٠ أثرًا مطبوعًا. ركَّز كثيرًا على التصوُّف حتى عُدَّ مرجعه في الغرب. كما ركَّز على الفرق كالشيعة والإسماعيلية والقرامطة والنصيرية. انظر: نجيب العقيقي المستشرقون.- مرجع سابق.- ١: ٢٦٣ - ٢٦٨.

زار بلاد الإسلام، كان مستشارًا في وزارة المستعمرات الفرنسية لشمال أفريقيا.[١]

ج ـ ومثله المستشرق الفرنسي دي ساسي[٢] كان يشغل منصب المستشرق المقيم بوزارة الخارجية الفرنسية منذ عام ١٨٠٥م. وعندما غزا الفرنسيون الجزائر سنة ١٨٣٠م كان دي ساسي هو الذي ترجم البيان الموجَّه للجزائريين. وكان يُستشار بانتظام في كثير من المسائل المتعلِّقة بالشرق من قبل وزارة الخارجية ووزارة الحربية.

د ـ والمستشرق الفرنسي إرنست رينان[٣] كان يعمل مخطِّطًا للاحتلال الفرنسي.[٤]

---

(١) انظر: محمَّد عابد الجابري. الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الإسلامية: طبيعتها ومكوِّناتها الأيديولوجية والمنهجية.ـ في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية.ـ مرجع سابق.ـ ١: ٢٣٢.

(٢) البارون دي ساسي (١٧٥٨ ـ ١٨٣٨م) انتُخب رئيسًا للجمعية الآسيوية سنة ١٨٢٢م. ألَّف في الدروز وعُني بهم. لقِّب بالبارون سنة ١٨١٣م جزاءً لجهوده وخدماته. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١: ١٦٢ ـ ١٦٥.

(٣) إرنست رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢م) تخرَّج في المدارس اللاهوتيه. ركَّز على الآثار غير العربية وحاول ربط العلوم العربية بها. له أعمال في الساميّة. يعدُّ من الفلاسفة. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ المرجع السابق. . ـ ١: ١٩١.

(٤) انظر إلى إشارات حول هذا عند إدوارد سعيد. الاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ص ٩٥ و١٠١.

هـ ـ والمستشرق الفرنسي أيضًا هانوتو[1] يكشف بوضوح عن مقترحاته لتوجيه سياسة فرنسا في مستعمراتها الأفريقية الإسلامية، وما تهدف إليه هذه المقترحات من إضعاف المسلمين في عقيدتهم حتى يسهل قيادهم.

و ـ وفي بريطانيا كان اللورد كرزون[2] في أوائل القرن الميلادي المنصرم من المتحمِّسين جدًّا لفكرة إنشاء مدرسة للدراسات الشرقية، باعتبار أنها تُعدُّ جزءًا ضروريًا من تأثيث الإمبراطورية، وتحافظ على الموقع الذي نالته بريطانيا في الشرق. وقد تحوَّلت هذه المدرسة المذكورة إلى جامعة لندن للدراسات الشرقية والأفريقية.

ز ـ وفي روسيا نجد المستشرق بارتولد[3] مؤسِّس مجلَّة مير

---

(١) ج. هانوتو (١٨٥٣ ـ ١٩٤٤م) كان عضوًا في المَجْمَع اللغوي الفرنسي، وزيرًا مؤرِّخًا من الطبقة الأولى. أشرف على وضع تاريخ الأمَّة المصرية. انظر: نجيب العقيقي.ـ المستشرقون.ـ المرجع السابق.ـ ١: ٢٧٠ الهامش.

(٢) جورج ناثائيل كرزون (١٨٥٩ ـ ١٩٢٥م) سياسي بريطاني، عُيِّن وكيلاً لوزارة الهند. ثم وكيلاً لوزارة الخارجية. طاف بأقطار الشرقين الأوسط والأقصى وكتب عنها كتباً عدّة. ثم عُيِّن حاكماً عاماً للهند. ثم مديرًا لجامعة أكسفورد ثم وزيرًا للخارجية. انظر: الموسوعة العربية الميسَّرة.ـ ص ١٢٥٦.

(٣) ف. ف. بارتولد (١٨٦٩ ـ ١٩٣٠م) أصبح أستاذًا لتاريخ الشرق الإسلامي وله أكثر من ٤٠٠ مؤلَّف، ورئيسًا دائمًا للجنة المستشرقين في هذا المجمَّع حتى وفاته. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٣: ٧٩ ـ ٨٠.

إسلام. وقد تمَّ تكليفه عن طريق الحكومة الروسية بالقيام بإجراء بحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في آسيا الصغرى.

ح ـ وفي ألمانيا نجد المستشرق كارل هينرش بيكر[1] صاحب مجلَّة دير إسلام (الإسلام) يقوم بدراسات تخدم الأهداف الاحتلالية الألمانية في أفريقيا، منذ سنة ١٨٨٥ ـ ١٨٨٦م، في مستعمرات تضمُّ مناطقَ بعضُ سكَّانها من المسلمين، وظلَّت تحت السيطرة حتى سنة ١٩١٨م. وكان له أثر بارز في تأسيس معهد اللغات الشرقية في برلين سنة ١٨٨٧م.[2]

ط ـ وفي هولندا هناك المستشرق سنوك هورغرونيه[3] عالم

---

(١) كارل هنرش بيكر (١٨٦٧ ـ ١٩٣٣م)، أشتهر بدراسته لأثر العوامل الاقتصادية والتفاصيل التاريخية والعناصر الإغريقية والنصرانية في الحضارة الإسلامية. وأنشأ مجلَّة الإسلام سنة (١٩١٠م). كتب في موضوعات شتى قديمة وحديثة، له اهتمام واضح بشمال أفريقيا. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ المرجع السابق.ـ ٢: ٤١٨ ـ ٤١٩.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٤:

(٣) كريستيان هورغرونيه (١٨٥٧ ـ ١٩٣٦م)، ولد لأبٍ قسِّيس ودرس اللاهوت على أستاذ التوراة كوتن. رحل إلى جاوة وأقام فيها سبع عشرة سنة في خدمة حكومتها. وحثَّ الحكومة على (استبعاد) إقليم «أتشي»، لأنَّ احتلاله سوف يزيد في الوسط الإسلامي كراهية كل شيء غير إسلامي. ومن ثَمَّ فإنَّ سكَّانه سوف يقبلون ما يملى عليهم من المفاهيم الأوروبية التي ترفع من شأنهم لأنَّ العقيدة الإسلامية تحثُّ على كراهية الكافر لتعصُّبها. انظر: قاسم السامرّائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.ـ مرجع سابق.ـ ص ١١٠ ـ ١١٣.ـ وفي صفحة ١١٤ يناقش المؤلِّف فكرة إسلام هورغرونيه إلى صفحة ١٣٧ فيرجع إليه لمن أراد الاستزاده.

الإسلاميات الهولندي. وكانت لديه الاستعدادات للعمل في خدمة الاحتلال. وكان قد توجَّه إلى مكَّة المكرَّمة سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م بعد أنْ انتحل اسمًا إسلاميًا هو عبدالغفّار. وأقام بمكَّة المكرَّمة ما يقرب من ستة أشهر، لم يكن منها شهر ذي الحجَّة.[١] وكان يجيد اللغة العربية، فكان له أثر مهمٌّ في تشكيل السياسة الثقافية والاحتلالية في المناطق الهولندية في الهند الشرقية. وكان قد شغل مناصب قيادية في السلطة الاحتلالية الهولندية في إندونيسيا.[٢]

ي ـ وفي دراسات ليفي بروفنسال[٣] عن الأندلس تبرز الروح

---

(١) انظر: ك. سنوك هورغرونيه. صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ نقله إلى العربية محمَّد بن محمود السرياني ومعراج بن نوَّاب مرزا.ـ مكَّة المكرَّمة: النادي الثقافي الأدبي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.ـ ٢: ١٢ ـ ١٧. وانظر طبعة دارة الملك عبدالعزيز. نقلها إلى العربية علي عودة الشيخ، وأعاد صياغتها وعلَّق عليها محمَّد بن محمود السرياني ومعراج بن نوَّاب مرزا.ـ ٢ مج.ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.ـ ٧٢٧ ص. (سلسلة مكتبة الدارة المئوية).

(٢) انظر: قاسم السامرَّائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.ـ مرجع سابق.ـ ص ١١٠ -١٣٧.

(٣) ليفي بروفنسال (١٨٩٤ ـ ١٩٥٦م) مستشرق فرنسي ولد في الجزائر. عمل ضابطًا في الشؤون الإسلامية في المغرب. أنجز الدكتوراه في لغة جبلة شمالي المغرب. وجُنِّد سنة ١٩٣٩م في القيادة العليا لشمال أفريقيا. بعدها (١٩٤٣ ـ ١٩٤٤م) كلَّفته حكومته «مهامَّ خطيرةً» بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق. له آثار كثيرة تركَّزت في مجملها على الأندلس. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١: ٢٩٣ ـ ٣٠٠.

الاحتلالية وبخاصة في مجال الصراع القبلي بين العرب والبربر.[1]

رابعًا: السبب الرابع في أنَّ الاستشراق جاء تمهيدًا للاحتلال أنَّ الاستشراق استُخدمه المحتلُّون في التسويغ للسيادة الاحتلالية قبل حدوث الاحتلال على الشرق. أي قبل حدوث سيطرة الاحتلال وربَّما «صناعة» القابلية للاحتلال، فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة دليل للاحتلال في شعاب الشرق وأوديته،[2] من أجل فرض السيطرة على الشرق وإخضاع شعوبه وإذلالها.[3]

ولا يزال هذا الدليل قائمًا مع انقشاع سحابة الاحتلال الحسِّي وبقاء أصناف أخرى من الاحتلال أخذت مفهوم الهيمنة، حيث لا يزال الرؤساء والوزارات المعنية (كالخارجية والحربية أو الدفاع) ومراكز البحوث التي تخدم هذا الغرض تستعين بلجان من المستشرقين في تسويغ المواقف المعادية لمنطقة الشرق الإسلامي. ولا تزال هذه اللجان ترصد تحرُّكات

(١) انظر: محمَّد بن عبود. منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي.ـ في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية.ـ مرجع سابق.ـ ١: ٣٦٥.

(٢) انظر: محمَّد حسن خليفة. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر.ـ مرجع سابق.ـ ص: ٣٢٨ ـ ٣٣٣.

(٣) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ص ٩٢ ـ ٩٥.

المسلمين في المنطقة، وتكتب عنها التقارير التي ترسل إلى الوزراء والرؤساء ليتَّخذوا من خلالها قراراتهم، كما كان يفعل إيدن من قبل.

بل إنَّ الزيارات والرحلات لا تزال تتوالى إلى المنطقة من قبل المستشرقين والعاملين في المعاهد الشرقية، من أجل متابعة الصحوة أو الإحيائية الإسلامية التي عمَّت المسلمين، وأفرزت بعض الحركات التي بان عليها الغلو والتطرُّف؛ بفعل أيدٍ أرادت لها ذلك، ومن أجل الخروج من هذه الزيارات باستراتيجية ترمي إلى القضاء عليها من خلال إلصاق بعض النعوت بها، وتخويف بعض الحكومات منها، وتشويه هذه الظاهرة بصورتها المشرقة من حيث المنطلقاتُ والأهدافُ والغاياتُ، وبروز مفهوم جديد يخوِّف من الإسلام باسم الإسلاموفوبيا.[1] والفصل الرابع من هذا الباب الخاص بموضوع الصحوة يناقش هذه الناحية.

إنْ يكن القصد من هذا البحث إثبات قيام رابطة بين الاستشراق والاحتلال، إلا أنه من الأَولى التوكيد على سَبْق الاستشراق الاحتلالَ، واستعماله ممهِّدًا له في الوصول إلى ما وصل إليه، وإنْ يكن الاستشراق لا يزال قائمًا بينما الاحتلال قد انتهى، فإنَّ التوكيد على الأثر التمهيدي للاستشراق يقوِّي الرابطة

---

(١) انظر: فنسان جيسير. الإسلاموفوبيا: المخاوف الجديدة من الإسلام في فرنسا.ـ مرجع سابق.ـ ١٩٢ ص. وانظر أيضًا: شمس إسماعيل حسن. هذا العالم لمن: زيف الإسلاموفوبيا.ـ مرجع سابق.ـ ٢١٤ ص.

ولا يجعل الاستشراق أثرًا من مؤثِّرات الاحتلال، بل ربَّما قيل إنَّ الاستشراق كان ـ ولا يزال ـ ركيزةً من ركائز التخطيط للاحتلال قد تفوق الركائز الأخرى، كالقوَّة العسكرية والاستخبارية والإمكانات المادية الأخرى.

وإنْ يكن الاحتلال قد أعان الاستشراق في أشياءَ فإنه أعانه في أشياءَ للاحتلال منها مردود. فقد أوحى الاحتلال للحكومات الغربية أنْ تكثِّف من قيام المدارس والمعاهد ومراكز البحوث التي تُعنى باللغات والعلوم الشرقية، والإسلامية منها بخاصَّة.[1] ومن ثَمَّ شجَّعت الحكومات الغربية حركة الاستشراق من خلال:

- الدعم المالي السخيّ بصورة مشروعات ومنح علمية وبحثية، وتحمُّل تكاليف مشاركاتهم العلمية والفكرية في المؤتمرات والندوات الدولية.
- حضور مسؤولين كبارٍ في الحكومات، مؤتمرات المستشرقين ومحاضراتهم وندواتهم ورعايتها والمشاركة في انطلاقاتها.
- اشتراك الحكومات في دوريات المستشرقين واقتناء منشوراتهم وإنتاجهم العلمي والفكري.
- تخصيص جوائز الدولة التقديرية لهم.

---

(١) انظر: محمَّد صالح البنداق. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم.ـ مرجع سابق.ـ ص ٩٠.

وما إلى ذلك من عوامل التشجيع لهذه الحركة، ليس لأنها تخدم الشرق وتعرِّف به لدى الغرب، وإلا لكان التشجيع واردًا من حكومات الشرق. وليس حبًّا في الثقافة والفكر والتراث الشرقي، وإلاّ لكانت المعاهد والمدارس نفسها في الشرق هي المحفِّزة لذلك. ولكن قصدًا إلى التعرُّف المباشر على المجتمع الشرقي بكل مقوِّماته؛ سعيًا وراء السيطرة عليه بأيٍّ شكل من أشكال الهيمنة.[١]

لا بدَّ من التوكيد هنا على أنَّ موقف المستشرقين هذا لم يكن موقفًا شائعًا بينهم، ولكنه كان موقف فريق منهم، سواء أكان هذا الفريق كثير العدد أم لم يكن كذلك. ومن الأمانة العلمية، وتحقيقًا لمنهج ربَّاني يتكرَّر ذكره هنا ـ كما ورد في الآية الثامنة من سورة المائدة السابق ذكرها ـ أنْ يُقال إنَّ هناك فريقًا منهم كان بعيدًا عن السياسة بُعدًا مباشرًا، ولم يكن بحال متعاونًا مع الحكومات بقطاعاتها المختلفة، بما في ذلك القطاعات الاستخبارية، وإنما كان يسعى إلى تحقيق الأهداف العامة للاستشراق من خلال تركيزه على هدف واحد أو جزء من هدف.[٢] وهذه الفئة الأخيرة هي

---

(١) انظر: خليل أحمد النظامي. عهود متعدِّدة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم.ـ في: الإسلام والمستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٠٦ ـ ١١١.

(٢) وجدت من تخصَّص في دراسة طريقة تحديد المسلمين القبلة للصلاة من مختلف الاتجاهات ومن خلال حسابات رياضية دقيقة. ووجدت من تخصَّص في إسهامات البيروني في مجالات شتَّى. ووجدت من تخصَّص في إسهامات ابن الهيثم كذلك.

التي ينظر إليها على أنَّ منها من هم المنصفون الذين خدموا تراث المسلمين؛ قصدًا إلى خدمة هذا التراث ونتيجةً للإعجاب بهذا التراث،[1] فانتهى الأمر ببعض منهم إلى الهداية.[2]

والخلاصة أنه كانت هناك رابطة قوية بين الاستشراق والاحتلال. وأنَّ الاحتلال قد استفاد فأفاد كثيرًا من الاستشراق، كما أنَّ الاستشراق قد استفاد فأفاد من الاحتلال. وأنَّ هذه الرابطة قد أخذت ثلاثة أوجه:

الوجه الأوَّل: أنَّ الاستشراق عمل على تمهيد الطريق أمام الاحتلال.

الوجه الثاني: أنَّ الاستشراق كان وليد الاحتلال والتنصير.

الوجه الثالث: أنَّ الاستشراق قد زامن الاحتلال، وعمل معه جنباً إلى جنب.

---

(١) موقف الإنصاف من بعض المستنشرقين تجاه التراث الإسلامي لم يعفِ كثيرًا منهم من الوقوع في الزلل غير المقصود. إما لأنهم رووا عمن سبقهم من المستشرقين ولم يتنبهوا إلى الإساءات التي غرسها سابقوهم، وإما لأنهم أرادوا أنْ يتعلموا اللغة العربية ولم يتمكَّنوا منها، بحيث يستطيعون فهم النصوص فهمًا دقيقًا، أو أحيانًا فهم الجمل والعبارات الفهم المتوقَّع منها فوقعوا في أخطاء كان من الأولى عدم الوقوع فيها، لو استشاروا علماء اللغة وعلماء التخصُّصات التي خاضوا فيها من أبناء المسلمين وعلمائهم. وأخطاؤهم هذه تردُّ عليهم ولا تخلّ في النظرة إليهم على أنهم كانوا من المنصفين.

(٢) انظر: آرثر آربري. المستشرقون البريطانيون. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٤.

ولا يظهر تعارُضٌ بين الأوَّل والثالث. أمَّا الوجه الثاني فينفيه عدم تقارُب الاحتلال والتنصير في الزمن، فالتنصير قديم جدًّا بدأ قبل الإسلام،[1] والاحتلال تأخَّر عنه. فهو وليد القرون الثلاثة المتأخرة.

واستمرار حركة الاستشراق بعد أفول نجم الاحتلال لا يعدُّ وجها رابعًا؛ لأنَّ مهمة الاستشراق لا تزال قائمة، وفكرة الاحتلال لاتزال مستمرَّة، وإنْ أخذ كلٌّ من الاتِّجاهين وجهةً تناسب العصر والناس الذين يعيشون هذا العصر، مما يؤدِّي إلى الخروج بنتيجة مؤدَّاها أنَّ استمرار الاستشراق إنما هو استمرار للوجه الثالث الذي زامن فيه الاستشراقُ الاحتلالَ.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. التنصير. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٩ ـ ٦٦.

الفصل الثاني

العلاقة بين الاستشراق والمستشرقين والتنصير والمنصِّرين

التمهيد:

يقيم الإسلام حواجزَ ضخمةً أمام المدِّ التنصيري في كل مكان حلَّ فيه دعاته وعلماؤه، على ما لهذا الجهد من تواضُع. وقد أظهر واقع الأحداث التي عاشها المنصِّرون خطأ ما ذهب إليه القدماء من أنَّ الإسلام يُعدُّ بالنسبة للشعوب الابتدائية خطوة أولى ممهِّدة لاعتناق النصرانية، فاعتناق الإسلام يقود الإنسان إلى الإيمان بوحدانية لها من القوَّة على النفوس ما يمكِّنها من تحصينها ضدَّ الدخول في أي نِحْلة لا تجعل من التوحيد منطلقًا لها، بعد أنْ يصير المرء مسلمًا.[1]

وقد أبان الحديث عن نشأة الاستشراق ودوافع الاستشراق

---

(١) انظر: محمَّد شامة. الإسلام في الفكر الأوروبي.ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.ـ ص ٢٢٢.

وأهدافه عن قيام علاقة قوية بين الاستشراق والتنصير. والتنصير كان دافعًا وهدفًا من جملة الدوافع والأهداف الدينية للاستشراق. وعشرون من تسعة وعشرين من طلائع المستشرقين كانوا منصِّرين أو رهبانًا أو عاملين في الأديرة.(١) بل إنَّ أول المستشرقين في نظر نجيب العقيقي، وهو جربر دي أورالياك (٩٣٨هـ - ١٠٠٣م) كان من الرهبانية البندكتية.

ومع أنَّ الاستشراق قد بدا عليه التحرُّر من سيطرة المنصِّرين ونفوذهم، إلا أنَّ فكرة التنصير لا تزال عالقةً في أذهان بعض المستشرقين،(٢) على اعتبار أنها كانت هي المنطلق الأول لهذا الاتِّجاه الفكري. وانشغال المستشرقين بالرهبنة قد لا يوحي للبعض بانشغالهم بالضرورة بالتنصير، وقد يصدق هذا على غير المستشرقين من المنشغلين بالرهبنة والأديرة والكنائس، ولكنه يبعد أنْ يصدق على مستشرق وجَّه جهوده العلمية إلى مواقع للتنصير فيها مطامعُ قديمةٌ متجدِّدة.(٣)

ويفرد نجيب العقيقي في الجزء الثالث من كتابه (المستشرقون) فصلاً كاملاً عن المستشرقين الرهبان (الفصل الرابع عشر ٢٤٩ - ٣١٦). وهم موزَّعون على النحو الآتي:

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ١: ١١٠ - ١٢٥.

(٢) انظر: بركات عبدالفتاح دويدار. الحركة الفكرية ضدَّ الإسلام.- مرجع سابق.- ص ١٠١.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. المستشرقون والتنصير.- مرجع سابق.- ص ١٥ - ٤٠.

- الرهبان البندكتيون.
- الرهبان الفرنسيسكان.
- الرهبان الكبّوشيون.
- الرهبان الكرمليّون.
- الرهبان الدومنيكيون.
- الرهبان البيض.
- الرهبان اليسوعيون.

وقد أوصل عدد المستشرقين الرهبان إلى مئة واثنين وثلاثين (١٣٢) مستشرقًا راهبًا، ٧٥٪ منهم عاشوا في القرن العشرين المنصرم.[١]

أمَّا الفصل الخامس عشر من الجزء نفسه من الكتاب (المستشرفون) فقد خصَّصه المؤلف للمستشرقين اللبنانيين، وركَّز فيه على المدرسة المارونية، وأوصل عدد مستشرقيها إلى ثمانية وثلاثين مستشرقًا مارونيًا جعل نفسَه آخرَهم.[٢] أكثر من ٢٥٪ منهم عاشوا في القرن العشرين المنصرم.

وإذا كنا قد وصلنا إلى أنَّ الاستشراق في نشأته قد انطلق من الأندلس، وعلى يد تلامذة المسلمين من النصارى، فإنَّ التنصير قد انطلق أصلاً مع الحروب الصليبية بشكل أوضح من وفد نجران

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٣: ٢٤٩ ـ ٣١٦.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٣: ٣١٧ ـ ٣٣٨.

الذي قدِم على الرسول ﷺ، فلا يبدو أنَّ وفد نجران كان يسعى إلى تنصير محمَّد ﷺ،[1] وإنما جاء ليستجلي حقيقة الرسالة. ويمكن أنْ يُعدَّ خطوةً أولى في تحدِّي الإسلام بالنصرانية، تبعتها خطوات، حتى اتَّضحت الصورة مع الحروب الصليبية.

ويأتي الاستشراق «ليصقل» التنصير ويكون له قاعدة المعلومات التي تمدُّه بما يحتاج إليه من معلومات من وجهة نظر استشراقية، قبل أنْ يقدم على مجرَّد التخطيط. والسموأل «صاموئيل» زويمر ١٨٦٧ ـ ١٩٥٢م، وهو منصِّر ومستشرق بالهواية في آنٍ واحد، يصدر دورية كاملة يستعين بها المنصِّرون على أداء مهمَّاتهم في العالم الإسلامي، الذي بدت عليه الاستحالة في التحوُّل إلى النصرانية، فيعلنها زويمر نفسه أنه ليس الغرض من حملات التنصير في العالم الإسلامي أنْ يتحوَّل المسلمون إلى نصارى، فقد أثبتت التجارُب استحالة هـذا، ولكن مهمَّة التنصير في هذا القسم من العالم هو التحوُّل عن الإسلام وكفى.[2] وقد صرَّح بهذا في مؤتمر القدس التنصيري المنعقد عام ١٩٣٥م.

---

(١) انظر: نذير حمدان. في الغزو الفكري: المفهوم، الوسائل، المحاولات.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٠١.

(٢) انظر: علَّال الفاسي. التبشير أخطر أسلحة الاستعمار.ـ الهلال.ـ ع ١ (أكتوبر ١٩٧٣م/ رمضان ١٣٩٣هـ).ـ ص ٦٠ ـ ٧٠، وزويمر قد اتَّخذ من التنصير عملاً ومن الاستشراق هواية، ويبرز الاستشراق في أعماله من خلال الدورية والكتب أو الإنتاج العلمي الذي صدر عنه. وطغيان التنصير عليه لا يُغفل إسهاماته في مجال الاستشراق، وقد ترجم له نجيب العقيقي في المستشرقون على أنه مستشرق ورئيس المنصِّرين في الشرق الأوسط. انظر: نجيب العقيق. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٣: ١٣٨.

كما يأتي المستشرقون ـ كما يقول محمود محمَّد شاكر ـ رحمه الله ـ في صياغة له راقية ـ ليصبحوا جنود النصرانية الشمالية «الذين وهبوا أنفسهم للجهاد الأكبر، ورضوا لأنفسهم أنْ يظلُّوا مغمورين في حياة بدأت تموج بالحركة والغنى والصيت الذائع، وحبسوا أنفسهم بين الجدران المختفية وراء أكداس من الكتب مكتوبة بلسان غير لسان أممهم التي ينتمون إليها، وفي قلوبهم كل اللهيب الممضّ الذي في قلب أوروبة، والذي أحدثته فجيعة سقوط القسطنطينية في حوزة الإسلام، ولكن لا همَّ لهم ليلاً ولا نهارًا إلا حيازة كنوز علم دار الإسلام بكل سبيل، تتوهَّج أفئدتهم نارًا أعتى من كلِّ مافي قلوب رهبان الكنيسة، ولكنهم كانوا يملكون من القدرة الخارقة أنْ يخالطوا أهل الإسلام في ديارهم، وعلى وجوههم سيمياء البراءة واللين والتواضُع وسلامة الطوية والبِشْر»[(١)].

ويفيض محمود محمَّد شاكر في هذا الجانب فيقول: «وبفضل هؤلاء المتبتِّلين المنقطعين عن زخرف الحياة الجديدة، وبفضلهم وحدهم وبفضل ملاحظاتهم التي جمعوها من السياحة في دار الإسلام ومن الكتب، وبذلوها لملوك المسيحية الشمالية نشأت طبقة الساسة الذين يُعدُّون ما استطاعوا من عدَّة لردِّ غائلة الإسلام ثم قهره في عقر داره، ولتحقيق الأحلام والأشواق التي

(١) انظر: محمود محمَّد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا.ـ القاهرة: دار الهلال، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.ـ ص ٣ ـ ٧٥.ـ (سلسلة كتاب الهلال؛ ٤٢٢).

كانت تخامر قلب كلِّ أوروبي أنْ يظفر بكنوز الدنيا المدفونة في دار الإسلام وما وراء دار الإسلام. وهم الذين عُرفوا فيما بعد باسم رجال «الاستعمار». وبفضلهم وحدهم أيضًا، وبفضل ملاحظاتهم التي زوَّدوا بها رهبان الكنيسة ثارت حَمِيَّة الرهبان ونشأت الطائفة التي نذرت نفسها للجهاد في سبيل المسيحية، وللدخول في قلب العالم الإسلامي لكي تحوِّل من تستطيع تحويله عن دينه إلى الملَّة المسيحية، وأنْ ينتهي الأمر إلى قهر الإسلام في عقر داره ـ هكذا ظنوا يومئذ ـ وهذه الطائفة هي التي عرفت فيما بعد باسم رجال «التبشير». فهذه ثلاثة متعاونة متآزرة متظاهرة، وجميعهم يد واحدة لأنهم إخوة أعيان، أبوهم واحد، وأمُّهم واحدة، ودينهم واحد، وأهدافهم واحدة ووسائلهم واحدة»[(١)].

ويصعب جدًا أنْ تقوم حركة تنصير في بيئة ما دون معرفة هذه البيئة معرفة ثقافية ودينية وسياسية وتاريخية واجتماعية شاملة. وتتأتَّى هذه المعرفة عن طريق الاستشراق، حتى إنَّ أحد الكاتبين أراد أنْ يقسِّم التنصير إلى نوعين. التنصير الصريح والتنصير المختفي. والتنصير الصريح يكون علميًا نقاشيًا، أو سفسطائيًا تشكيكيًا، ويكون أيضًا بالعنف، فالتنصير العلمي هو

---

(١) انظر: محمود محمَّد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا.ـ المرجع السابق.ـ ص ٣ ـ ٧٥.

ما جاء عن طريق المستشرقين. أما التنصير بالعنف فهو ماجاء عن طريق الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش واختطاف الأطفال، ثم تلاه الاحتلال.[1]

والتنصير الخفي أو المختفي هو ما يأتي عن طريق الإرساليات الطبِّية والتعليمية المهنية والفنية والجمعيات الخيرية الاجتماعية وغيرها.[2] ويلاحظ أنَّ جزءًا من العالم الإسلامي لا يزال يسمِّي الممرِّضة إلى اليوم «سيستر» (sister)، وهي الأخت في عالم الرهبنة، بينما أوروبا وأمريكا لا تسميها إلا الممرضة (nurse).

وهناك بعثات تنصيرية توغَّلت في مجتمعات المسلمين واكتسبت شهرة عالمية وتعاطُفًا لم يسلم منه بعض أبناء المسلمين، مثل بعثة الأمّ الراحلة تيريزا في الهند (١٩١٠ - ١٩٩٧م)، التي لم تعلن يومًا أنها جاءت إلى شبه القارة رغبة في بسط تعاليم المسيح، ولكنها تُظهر دائمًا رغبتها في احتضان المشكلات الصحِّية والطبِّية وعلاجها، والقضاء على الأوبئة والأمراض المُعْدية، يعمل معها فريق من الممرِّضات الهنديات ذوات التأثير الفعَّال في مجتمعهن. ولا تبرز في عمل الأمّ تيريزا

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. - التنصير. - مرجع سابق. - ص ٦٧ - ٧٥.

(٢) انظر: عثمان الكعّاك. صفحات سوداء من تاريخ المبشِّرين. - الهلال. - س ٨١ ع ١٠ (أكتوبر ١٩٧٣م/ رمضان ١٣٩٣هـ). - ص ٣٨ - ٤٩.

العلاقة الواضحة بينها وبين الاستشراق، ولا يمكن للمتعاطفين معها أنْ يربطوا بينها وبين المستشرقين، كما أنَّ العلاقة تضعف هنا إذا أدركنا أنها توجِّه جهودها نحو الهندوس ابتداءً ثم إلى المسلمين الهنود، وإنْ لم تكن هناك علاقة قوية فلا شكَّ أنَّ منطلقها كان عن طريق هؤلاء المستشرقين الذين أعانوها على التعرُّف على البيئة التي تعمل بها. وقد حازت على جائزة نوبل للأعمال الإنسانية سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.[(١)]

وأمثال الأمّ تيريزا كثير في آسيا وأفريقيا تحاول، بقدْر الإمكان الابتعاد عن الأضواء خشية الالتفات إلى الأغراض الحقيقية لهذه الأعمال التي تختفي وراء مفهوم «الإنسانية». كما تحاول الابتعاد عن إبراز وجود علاقة بين العلم ـ الآتي عن طريق المستشرقين ـ والدين الذي تتبنَّاه، على ما شاع من العداوة بين العلم والدين في العقيدة النصرانية المتأخِّرة، فإذا برزت هذه العلاقة ظهر التناقُض وخفَّت حدَّة التأثير على المستهدفين.

ومن المعلوم أنَّ تهيئة المنصِّرين إنما قامت على أيدي المستشرقين، سواء أكان هؤلاء المستشرقون من الرهابنة والقساوسة أم كانوا بعيدين عن الألقاب الدينية. يقول محمَّد عبدالفتاح عليّان: «لم يكن عمل المستشرقين منفصلاً عن عمل

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة .ـ التنصير .ـ مرجع سابق .ـ ص ١٠١ ـ ١٠٣.

المبشِّرين، فالاستشراق في نشأته ما هو إلا أداة التبشير ـ ثم استُغلَّ في مرحلة لاحقة ـ لتحقيق مطامع الدول الاستعمارية. وقد نزل كثير من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية إلى ميدان الاستشراق بقصد التبشير وتدريب المبشِّرين على العمل في بلاد الشرق». [1] فتعلَّموا العربية ودرسوا الإسلام واهتمُّوا بالنقل والترجمة وأقاموا المطابع العربية.

وقد سبقت الإشارة إلى القول بأنَّ الاستشراق قد وُلد من أبوين غير شرعيين، هما الاحتلال والتنصير. فالاستشراق في مجمله لا يزال يعمل من أجل هذا الغرض الذي وجد من أجله، وإنما تتغيَّر الأساليب والطرق والوسائل ملاءمةً للزمان والمكان. ويجد المرء أهداف المنصِّرين واردةً في أعمال بعض المستشرقين التي وجدت رواجًا بين المنصِّرين في معاهدهم وإرسالياتهم ومؤتمراتهم، بل وجامعاتهم المقامة في العالم الإسلامي على شكل مناهج ودراسات في مجال الإنسانيات. [2]

ولا بدَّ من الالتفات من قِبل المنصِّرين إلى المجتمع الغربي نفسه، فالتنصيرلم يكن موجَّهًا إلى آسيا وأفريقيا فحسب، ولكن

(١) انظر: محمَّد عبدالفتاح عليَّان. أضواء على الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٤.

(٢) انظر: أنور الجندي. الإسلام في وجه التغريب: مخطَّطات التبشير والاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

أوروبا وأمريكا حظيتا بنصيب وافر أيضًا من حملات التنصير التي أرادت توكيد قوَّة الكنيسة، لا سيَّما بعد أنْ بدأت المعلومات عن الإسلام تتسرَّب إلى المجتمعات الأوروبية، وبخاصّة منها المفهومات الصحيحة عن الإسلام، «فاستعان التنصير هنا بالاستشراق في الافتراء والتشنيع على الإسلام وتشويه أحكامه الإلهية العادلة»،(١) قصدًا إلى الحدِّ من انتشار الإسلام في أوروبا نفسها، في الوقت الذي تتَّجه فيه الأنظار إلى تنصير معاقل الإسلام. ومعلوم أنَّ الطريق إلى تحقيق غايات التنصير يبدأ قطعًا بتجريد الأمَّة من انتماءاتها العقدية أولاً. يقول وليم جيفرد بالغراف: «متى توارى القرآن ومدينة مكَّة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أنْ نرى العربي يتدرَّج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمَّد وكتابه»(٢) وقد صدق بالغراف إذا قصد أنَّ محمَّداً ﷺ وكتاب الله تعالى قد أبعدا المسلمين عن وثنية الحضارة.

ومحاولة ربط علاقةٍ بين الاستشراق والتنصير على وجه العموم تصطدم بوجود مجموعة من المستشرقين الموصوفين

---

(١) انظر: علي جريشة ومحمَّد شريف الزيبق. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٠.

(٢) انظر: أ. ل. شاتليه. الغارة على العالم الإسلامي/ لخَّصها ونقلها إلى اللغة العربية مساعد اليافي ومحبُّ الدين الخطيب.ـ ط ٢.ـ جَدَّة: منشورات العصر الحديث.،- ص ٩٣ ـ ٩٤.

بالعلمانيين واليهود الذين لا يُتصوَّر منهم أنْ يكونوا مدفوعين بخدمة التنصير، أو أنْ تكون من أهدافهم خدمة الكنيسة. فهذه الفئة من المستشرقين تتناقض في منطلقاتها مع الكنيسة. وعليه فلا بدَّ هنا من الاحتراز من خلال الابتعاد عن التعميم الذي قد يفهم عند الحديث عن الروابط بين الاستشراق والتنصير.

ولا بأس في هذا، إلا أنه لا بدَّ من التنويه إلى أمرين أساسيين في محاولة إيجاد علاقة بين الاستشراق والتنصير على وجه العموم:

أولاً: أنَّ العَلمانيين من المستشرقين لم يستطيعوا بحال أنْ يتخلَّوا عن ميولهم الكنسية، لا سيَّما فيما يتعلَّق بإنتاجهم العلمي حول العالم الإسلامي، وإنْ كانوا يعلنون رسميًا وفي أكثر من مجال أنهم عَلمانيون يرفضون التقيُّد بدين معيَّن، فهذا قد ينطبق على ممارستهم في حياتهم الخاصَّة، ويصعب عليهم عمليًا تطبيق عَلمانيتهم على إنتاجهم الفكري.

ثانيًا: أنَّ التنصير استفاد من المستشرقين اليهود فائدة جليلة، وإنْ تكن فائدة غير مباشـرة. وترجع هذه الفائدة إلى الارتباط الوثيق بين الصهيونية واليهودية ـ كما سيأتي بحثه ـ والارتباط الوثيق بين الصهيونية وكثير من رجال الدين النصراني، وعليه نشأت العلاقة الوثيقة بين النصرانية واليهودية، وإنْ لم تبدُ هذه العلاقة بارزةً معلنًا عنها في

السابق، أما اليوم فقد أُعلنت الرابطة بين طائفةٍ من النصارى والصهيونية.[1]

ويكفي أنْ نعلم أنَّ زعيمًا من زعماء المنصِّرين ـ وهو مستشرق بالهواية ـ «السموأل» صموئيل زويمر ـ كان في الأصل يهوديًا وأنه قد استدعى أحد الحاخامات عند احتضاره، لعله أراد أنْ يلقِّنه الطقوس اليهودية عند الموت.[2] إلا أنَّ محمَّد بن فارس الجميل يعتب على الذين يرجعون زويمر إلى اليهودية، ولايرى من خلال نظرته لليهودية مسوِّغًا لذلك.[3] والقاعدة أنَّ المثبِت أولى من النافي.

ولم يكن زويمر بِدْعًا في قومه، فقد ادَّعى النصرانية جمعٌ منهم وانخرطوا في الرتب الكهنوتية، مما مكَّنهم من فرض آرائهم على الكنيسة، وتوجيهها الوجهة التي يريدون. واستطاعوا بمساعدة الجمعيات السرِّية كالماسونية وأنديتها

(١) انظر: القسّ إكرام لمعي. الاختراق الصهيوني للمسيحية.ـ القاهرة: دار الشروق، ٢١٦ ص. وانظر أيضًا: محمد عبدالحليم عبدالفتَّاح. كلام في الممنوع: الاختراق اليهودي للفاتيكان، الموساد ـ الفاتيكان ـ وتنصير العالم؛ ملفٌّ قاتم وتقارير سوداء.ـ القاهرة: المؤلِّف، ٢٠٠٥م.ـ ٢٤٢ ص.

(٢) انظر: عبدالله التلّ. جذور البلاء.ـ ط ٢.ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.ـ ص ٢٢٨. وربما ناقش أحدهم هذه الفكرة ولم يقبل أنَّ أصله يهودي بحجَّة الاحتفاء به وإقامة معهد تنصيري باسمه في لوس أنجلوس بالولايات المتَّحدة الأمريكية، وتحميل اليهودية أخطاءه فقط.

(٣) انظر: محمَّد بن فارس الجميل. النبي ﷺ ويهود المدينة.ـ مرجع سابق.ـ.

كالروتاري والليونز،[1] وغيرها أنْ يهدموا قوَّة الكنيسة في أوروبا وأمريكا، وأنْ يوجِّهوها ويوجِّهوا الحكومات إلى المبادئ الصهيونية، ثم اتَّجهوا إلى الإسلام طمعًا في هدم القوَّة الروحية فيه وتوجيه أهله إلى المادَّة.

وبذلك يضمنون عدم معارضة خططهم الهادفة إلى الهيمنة على بلاد المسلمين هيمنةً مباشرة أو غير مباشرة.[2] وهذا واضح جلي في مواقف القسس الأوروبيين والأمريكيين من اليهودية ومن الإسلام، لا سيَّما منهم أولئك الذين يحتلُّون أماكن مرموقة في الإعلام الأمريكي عن طريق الإذاعة والتلفزيون والصحافة، بل ويفرح الإعلام عند ظهور أي إساءة للإسلام والمسلمين، مثلما حصل مع ذلك القسِّيس الذي أشاع أنه سيحرق نسخًا من المصحف الشريف مع حلول الذكرى التاسعة من حادثة يوم الثلاثاء ٢٢/ ٦/ ١٤٢٢هـ الموافق ١١/ ٩/ ٢٠٠١م، الأمر الذي كان سيُحدث ردود فعل غير عادية في المجتمعات المسلمة.

إنْ لم يكن المنصِّرون يهودًا وكان المستشرقون يهودًا فإنَّ المنصِّرين قد أفادوا كثيرًا من نتاج المستشرقين اليهود في

---

(١) انظر: أحمد شلبي.ـ الاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٨٨ ـ ١٩٥.

(٢) انظر: أحمد الزغيبي. الفكر الصهيوني وأهدافه في المجتمع الإسلامي.ـ بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية. قسم الثقافة الإسلامية، كليّة الشريعة بالرياض، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية.ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.ـ ٣: ١٠٤٦. ٣ مج.

مدارسهم وأديرتهم وكنائسهم ومعاهدهم وجامعاتهم، كما استفادوا أيضًا من نتاج المستشرقين العَلمانيين الذين استطاعوا أنْ يبرزوا انفصالهم عن الكنيسة، ولكنهم لم يستطيعوا طرْق أبواب الإنصاف والنزاهة، فكانوا أدواتٍ في أيدي حكوماتهم المحتلَّة أفادت منهم وأفاد منهم التنصير، فأضحى الاستشراق في شطريه «عاملاً مع الكنيسة أو عاملاً مع وزارات الاستعمار لا يستطيع أنْ يخلص إلى الحق، وإنما هو يؤدِّي دوره في إثارة الشبهات وتقديم الزاد الكافي لدراسات التبشير ومعاهد الإرساليات لخلق ظاهرة من انتقاص العرب والمسلمين وفكرهم ولغتهم وعقائدهم». (١)

الفرق بينهما:

لأنَّ الاستشراق يعمل كـ «قاعدة معلومات» للتنصير كان لا بدَّ أنْ تكون هناك فروق في المنطلقات بين الاستشراق والتنصير، وإنْ اتَّفقت الغايات العليا لهاتين الوجهتين: فالمنصِّر «داعية» للدين النصراني المسيحي، أو هو داعية لخروج المسلم عن دينه فحسب، أمَّا المستشرق فهو باحث في تراث المسلمين وقيمهم ومفاهيمهم وأخلاقياتهم يبثُّ نتائجه في دراساته وبحوثه وكتبه ومحاضراته، كل هذا عن طريق المنهج العلمي.

---

(١) انظر: أنور الجندي. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٩١.

والمنصِّر منطلق رحَّالة يجوب البلاد قراها وريفها، يعظ أو يعالج أو يعلِّم أو يدرِّب أو يفلح الأرض، أمَّا المستشرق فقابع في مكتبته ومركز بحوثه وجامعته لا يكاد يبرح بلاده إلا إذا دعته ضرورة البحث إلى «رحلة علمية» يجوب فيها البلاد التي يدرسها أو يقف منها على مكان بعينه.

والمنصِّر صريح ـ نسبيًا ـ في دعوته واضح فيها، وإنْ حاول إخفاءها تحت ستار خدمة الإنسانية. ولكنه لايتردَّد في أنْ يعلِّق الصليب على صدره، أو في مكتبه أو عيادته أو معمله أو مدرسته، وربما أفرد فيها مكانًا أو زاوية للنشريات التي يعمل لها وبها، أما المستشرق فباطني ـ في الغالب ـ يتظاهر بالعلمية والمنهجية والتجرُّد والموضوعية، وإنْ كان من القساوسة أو الرهبان، ويحاول الوصول إلى أغراضه الباطنة ممتطيًا صهوة العلم والتجرُّد، وكأني به ممتطيًا صهوة حصان من خشب، مشعرًا الآخرين أنَّ هذا الحصان ذو صهيل تطرب له الآذان «وتشنف» له الأسماع، وقد وفِّق بعضهم ـ دون شكٍّ ـ في إشعار بعض «الآخرين» بهذا، فانقاد له بعضهم، وتنبَّه له الآخرون، فأخذوا منه وردُّوا، وكان ماردُّوه عليه أكثر مما أخذوه منه.

والمنصِّر ينطلق من مؤسَّسات ومعاهد ومدارس وجامعات ومستشفيات ومراكز تدريب في البلاد التي يعمل بها، أو في مركز في قارَّة يعمل بها، كما يتَّخذ من بعض عواصم العالم العربي مركزًا له في الانطلاقة إلى أدغال أفريقيا، وبعض عواصم

الشرق الأقصى في الانطلاقة إلى جبال آسيا وسهولها. ولا يكاد يحلُّ في بلد له فيها شأن إلا ويقيم فيها مركزًا دائمًا له على شكل كنيسة أو مدرسة أو عيادة أو نحوها، بينما تكون علاقة المستشرق بالبلاد التي يباشر أعماله فيها مقصورة على زيارة خاطفة، يلقي خلالها محاضرة أو يحضر اجتماعًا لمجمع هو عضو فيه، أو يلبِّي دعوة من رئيس جامعة أو مؤسَّسة علمية؛ قصدًا إلى الاستشارة وإبداء الرأي. ولا تربطة بهذه البلاد روابط قوية، وقد تنتهي حياته وهولم يقم بزيارة سريعة لبلاد كثُر حولها إنتاجه النظري، حتى بات يعرف طرقها ومسالكها وقديمها وحديثها.

يقول نذير حمدان بعد محاولة إيجاد الفروق في الوسائل بين المستشرقين والمنصِّرين: «ويبدو لي من خلال تتبُّع تراجم كثيرة للمستشرقين والمنصِّرين أنَّ الدافع الكنسي (المخطَّط) نظَّم فئة على البحث والفكر فكان (المستشرقون)، وجماعة قادرة على الأسلوب الدعوي الإعلامي فكان (المنصِّرون)، ثم التحمت الفئتان والجماعتان وكوَّنت (الاستشراق التنصيري)». [1]

ويبدو الاستشراق التنصيري واضحًا عندما تبرز فكرة أنَّ

---

(١) انظر: نذير حمدان. في الغزو الفكري.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٨٦ ـ ١٨٨.
وانظر أيضًا: محمَّد ياسين عريبي. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي.ـ مرجع سابق.ـ ص.

كثيرًا ممن احترفوا الاستشراق وبرزوا فيه «بدأوا حياتهم العملية بدراسة اللاهوت قبل التفرُّغ لميدان الدراسات الاستشراقية، وكأنهم أرادوا أنْ يتسلَّحوا بمعرفة كافية بالعقيدة المسيحية، قبل الخوض في غمار الحرب المبطَّنة التي أرادوا شنَّها على الإسلام. وظلَّ الكثير منهم يتولَّى وظائف دينية وتبشيرية، وله مكانة كنسية مرموقة. ورغم محاولات بعضهم نفي هذه التهم والإعلان عن حيادهم وأنهم إنما يقصدون من دراساتهم وجه العلم والحقيقة، فقد لازم التعصُّبُ الديني أكثرَهم، وبدا بين سطور مايكتبون، وإنْ لم يعلنوا عنه صراحة وجهارًا» .(١)

قد ينصبُّ الذهن على الاتِّجاه إلى أنَّ هؤلاء الذين بدأوا حياتهم العملية بدراسة اللاهوت هم جملة من طلائع المستشرقين الذين يتحدَّث عنهم نجيب العقيقي في الجزء الأوَّل، في الصفحات من ١١٠ إلى ١٢٥. ولا بدَّ من التوكيد هنا على أنَّ هذه الظاهرة امتدَّت في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/ التاسع عشر والعشرين الميلاديين. ولعلَّ من أبرز هؤلاء المستشرقين المنصِّرين «الأب هنري لامانس ١٨٦٢ ـ ١٩٣٧م ودنكن بلاك ماكدونالد ١٨٦٣ ـ ١٩٤٣م والأب آسين بلاثيوس ١٨٧١ ـ ١٩٤٤م، وشارل دوفوكول(؟)، وسنوك هورغرونيه ١٨٥٧ ـ ١٩٣٦م. والملحوظ أنَّ هؤلاء المستشرقين

---

(١) انظر: نبيه عاقل. المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٩٨.

المنصِّرين قدِموا من أوروبا وأمريكا وبلجيكا وفرنسا وبريطانيا وهولندا». [1]

ويقدِّم المستشرق الفرنسي اليهودي مكسيم رودنسون المولود عام ١٩١٥م، تسويغًا لانشغال المنصِّرين بالاستشراق/ أو انشغال المستشرقين بالتنصير بقوله: «لقد أدَّت الوضعية الحقيرة التي وجد العالم الإسلامي نفسه فيها إلى تشجيع المبشِّرين المسيحيين، حيث وجدوا مجالاً واسعًا للعمل، وبذلوا مجهودات في اتِّخاذ موقف الهجوم والتبشير، وتضايقوا من العراقيل التي وضعها أمامهم كلٌّ من الفقه الإسلامي والإداريين الاستعماريين أنفسهم، حيث خشي هؤلاء من ردود مختلفة لأعمال مكشوفة أكثر من اللازم. وفي نطاق الاتِّجاهات الإنسانية العادية وبمؤازرة مع الأفكار العامَّة للعلوم في وقتهم كانوا يربطون نجاح الدول الأوروبية بدينهم المسيحي، كما كانوا يربطون تقهقر العالم الإسلامي بالإسلام. وهكذا اعتبروا المسيحية مؤيِّدة بطبيعتها للتطوُّر، واعتبروا الإسلام مؤيِّدًا للركود والتأخُّر الثقافي، فاتَّخذ الهجوم على الإسلام أعنف الصفات، وشرع المجدِّدون في تزيين الحجج والبراهين الشائعة خلال القرون الوسطى واتَّخذوا مظاهر تجديدية». [2] عبارة مهمة تنسخ في موضع سابق.

---

(١) انظر: محمَّد بن عبّود. الاستشراق والنخبة العربية.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٩٩ ـ ٢١٥. (يتأكد من النص).

(٢) انظر: محمَّد بن عبّود. الاستشراق والنخبة العربية.ـ المرجع السابق.ـ ص ٢٠٢.

ولم يستطع كثير من المستشرقين ـ على العموم ـ التجرُّد من هذه النظرة الفوقيه للإسلام، ومن الشعور بتفوُّق النصرانية عليه، وكان لهذا أثره في نظرتهم للإسلام من خلال مرآة نصرانية، حيث طبَّقوا عليه القيم النصرانية وأفكارهم المسبقة. فالمسيح ـ عليه السلام ـ في نظر النصارى هو أساس العقيدة، ولذا تنسب الديانه إليه، والنصرانية شبه مهملة لفظًا ومعنى. وحاول المستشرقون تطبيق ذلك على الإسلام، فمحمَّد ﷺ ينبغي أنْ يكون عند المسلمين كالمسيح عند النصارى، ولهذا يطلقون على الإسلام «المحمَّدية»، أو «المذهب المحمَّدي» وعلى الشخص المسلم «محمَّدي»، فيغفل الإسلام لفظًا ومعنًى، ويبقى المذهب بشريًا صاغه ذلك المصلح العبقري محمَّد في مكَّة والمدينة.

ويخرج النصارى إلى بشرية الإسلام وإلهية النصرانية على اعتبار أنَّ المسيح لديهم هو ابن الله.(١) أو ربما عند البعض هو الإله، الذي لم يتزوَّج ولم يحارب ولم يقُد أمَّة، بخلاف محمَّد المزواج ـ زعموا ـ المحارب السياسي القائد رجل الدولة المستفيد من الحضارات والثقافات التي سبقته أو عاصرها، جمع منها جميعًا مجموعة من الطقوس والأحكام والسلوكيات، وحاول أنْ يظهر منها بدين جديد يسمِّيه الإسلام:

---

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق. الإسلام والاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٢.

ـ فيأخذ من الجاهلية صلاة الجمعة، وصوم عاشوراء، وتطييب البيت الحرام، وحظ الذكر في الميراث وكونه مثل حظ الأنثيين، والتكبير، والأشهر الحرم، والحج والعمرة، ونتف الإبط، وحلق العانة، والوضوء والاغتسال، والختان وتقليم الأظافر.

ـ ويأخذ من الصابئة الصلوات الخمس، والصلاة على الميِّت وصيام شهر رمضان والقبلة وتعظيم مكَّة وتحريم الميتة ولحم الخنزير، وتحريم الزواج من المحارم.

ـ ويأخذ من الهندية والفارسية قصَّة المعراج، والجنَّة وما فيها من الولدان والحور العِين، والصراط المستقيم.

ـ ويأخذ من اليهودية قصة قابيل وهابيل، وقصَّة إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وقصَّة ملكة سبأ، وقصَّة يوسف الصدِّيق ـ عليه السلام ـ.(1)

ـ ويأخذ من النصرانية قصَّة أهل الكهف وقصَّة مريم العذراء، وقصَّة طفولة عيسى ـ عليه السلام ـ.

وليس المقصود هنا دحض هذه الشبهات والتصدِّي لها، فقد قام بهذا التصدِّي علماء مسلمون أجلَّاء، ولكنها هنا

---

(1) انظر: إبراهيم خليل أحمد. الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية.ـ القاهرة: مكتبة الوعي العربي. ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.ـ ص ٦٧ ـ ٦٨.

محاولة لإثبات قوَّة الرابطة بين التنصير والاستشراق، وأنَّ الاستشراق قد عمل على توصية السموأل زويمر في إخراج المسلمين من دينهم، دون النظر إلى إدخالهم في النصرانية من خلال تشويه الإسلام وإضعاف قيمته، وتصويره للرأي العام الأوروبي والأمريكي بصورة مزرية بعيدة عن المستوى الحضاري في عصرنا الحاضر،[1] ومن خلال معاونة المستشرقين على تثبيت هذه الاتِّهامات وتوكيدها وتوديعهم فيها، وتخصَّص كل فريق منهم في بعضها يروِّجونها في مؤلَّفاتهم ودراساتهم، مع إدراكهم «أنها لا تعدو أنْ تكون دسائسَ مغرضةً وإشاعاتٍ ملفَّقةً لمحاربة الإسلام وتشويه مفاهيمه. فالاستشراق والتبشير عدوٌّ واحد له هدف واحد يسعى ليدركه، وهو تشويه الإسلام، ليصل من وراء ذلك إلى تمزيق المسلمين وإشاعة البلبلة في أفكارهم وبين صفوفهم لئلا يلتقوا فيراجعوا من عزّتهم ما كان».[2]

ولعل هذا يكون مسوِّغًا واحدًا من مجموعة من المسوِّغات التي تفسِّر بداية الاستشراق وانطلاقه من الكنيسة بإنشاء أوَّل مركز لتعليم اللغة العربية في الفاتيكان، لتُخرِّج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين وعلماءهم ومفكريهم، ويقتضي ذلك

(١) انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ. التبشير والاستعمار في البلاد العربية.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٦.

(٢) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٢٧.

رحيل الرهبان إلى المشرق والمغرب الإسلاميين لتعلُّم اللغة العربية وعلوم الإسلام للغاية نفسها.(١)

على أنَّ بعض الباحثين في الاستشراق والمستشرقين يحاول من خلال الاستقراء أنْ يصنِّفهم حسب قوَّة اندفاعهم لتحقيق أغراض التنصير. فالكاثوليك مثلاً أعتى من غيرهم. والفرنسيون أشدُّ تعصُّبًا ضدَّ الإسلام ورسوله. فمن النادر أنْ نقرأ لمستشرق فرنسي شيئًا طيبًا عن حياة الرسول ﷺ، كما يشير حسين مؤنس.(٢)

وهناك من يرى أنَّ المستشرقين الألمان هم أكثر المستشرقين نزاهةً، لأنَّ دوافع التنصير والاحتلال لم تكن بارزة فيهم، إذ لم تحتلّ ألمانيا بلدًا مسلمًا، ولم تهتمّ بنشر الدين النصراني في الشرق.(٣) ومع هذا لم يخلُ الاستشراق الألماني من آراء خاطئة تمامًا أو «لا توافق العرب والمسلمين» أو نقصٍ أو غلطٍ، ولكنها ـ على رأي صلاح الدين المنجِّد ـ رحمه الله

---

(١) انظر: أحمد عبدالرحيم السايح. العلاقة بين الاستشراق والتنصير.ـ أخبار العالم الإسلامي.ـ مج ٢٤ ع ١١١٠(ومابعده) (١٤رجب ١٤٠٩هـ، / ٢٠ فبراير ١٩٨٨م).ـ وانظر: العدد ١١١٢.ـ ص ١٠ و١٤.

(٢) انظر: محمَّد أحمد مشهور الحدَّاد. الاستشراق والمستشرقون.ـ أخبار العالم الإسلامي.ـ مج ٢٣ ع ١٠٧٤.ـ ص ١.

(٣) انظر: صلاح الدين المنجِّد. الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله.ـ الهلال.ـ مج ٨٢ ع ١١ (شوال ١٣٩٤هـ/ نوفمبر ١٩٧٤م).ـ ص ٢٢ ـ ٢٧.

تعالى ـ غير قابلة للتعميم.[1] ولا ينبغي أنْ نتعوَّد التعميم في إصدار الأحكام العلمية الموضوعية المجرَّدة.

ويسعى المنصفون من المحلِّلين لحركتي الاستشراق والتنصير إلى عزل فئة من المستشرقين عن هذه العلاقة الحميمة، في الوقت الذي يقرُّون فيه وقوع المستشرقين في أخطاء مقصودة أو غير مقصودة، أفاد منها التنصير. يقول محمَّد حسين علي الصغيِّر: «إننا لا نستطيع أنْ ننفي هذه التهم التنصيرية جملة وتفصيلاً، فلهذه التهم أصل من الصحَّة، ولا يمكننا أنْ نزيِّف جميع الجهود الاستشراقية ونصمها بالتبشير، ففي هذا بعض الغلوِّ والتطرُّف، ولكننا نستطيع أنْ ننزِّه قسمًا ونتَّهم قسمًا آخر، فالمستشرقون بشر، والبشر فيه الموضوعي وفيه السطحي، والمستشرقون مجتهدون، وقد يخطئ المجتهد وقد يصيب».[2]

أمَّا صفتهم بالبشرية فواردة، وأمَّا وصفهم بمجرَّد الاجتهاد فأمر يحتاج إلى نظر، لا سيَّما إذا كان المقصود الاجتهاد الخالص في علوم المسلمين، إذ إنَّ من مقومات الاجتهاد في

---

(١) انظر: صلاح الدين المنجِّد. المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية.ـ ط ٢.ـ ج ١.ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م.ـ ص ٧ ـ ١٣.

(٢) انظر: محمَّد حسين علي الصغير. المستشرقون والدراسات القرآنية.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٦.

ذلك الإخلاص والصواب، وليس من الإنصاف للمستشرقين أنْ نرقى بهم إلى هذه الدرجات، فإنْ تحقَّق الإخلاص لم يتحقَّق الصواب، وإنْ تحقَّق الصواب ـ فرضًا ـ لم يتحقَّق الإخلاص.

ومع هذا فعلينا ألا نغفل العلاقة القوية بين الاستشراق والتنصير والصلة الوثيقة بينهما، وأنَّ تاريخ التنصير مرتبط ارتباطًا وثيقًا بتاريخ الاستشراق، وهما لا ينفصلان عن تاريخ الاحتلال السياسي والفكري والأخلاقي.(١) وأنَّ الآراء الاستشراقية كانت ولا تزال «تُنشر في المؤسَّسات التي أنشأها التبشير كالمستشفى، والمدرسة والجامعة، والمخيَّم والنوادي الاجتماعية، وكذلك كانت الآراء الاستشراقية تُنشر في أكبر وسيلة عبر الكلمة المكتوبة من كتب ودوريات ومجلات ومحاضرات وندوات ومؤتمرات».(٢)

ولا بأس من أنْ نختم هذا الفصل في تثبيت العلاقة بين الاستشراق والتنصير بعبارة أوردها قاسم السامرّائي للسموأل «صموئيل» زويمر مع الإحجام عن التعليق، يقول السموأل زويمر: «إنَّ من جملة المطالب في الجزيرة العربية بل وأولها: الحقَّ التاريخي؛ لأننا نعرف أنَّ أصقاعًا واسعةً في الشرق الأدنى

---

(١) انظر: قاسم السامرَّائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥١.

(٢) انظر: عدنان محمَّد وزَّان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر.ـ مرجع سابق.ـ ص ٦١.

كانت نصرانية، والآن إسلامية، وأنَّ المطالبة بشمال أفريقيا وسورية وإيران وفلسطين والجزيرة العربية وآسيا الوسطى حقٌّ للنصرانية في استعادتها ... يجب أنْ نعيد كسب الجزيرة العربية لدين المسيح من أجل كرامة الكنيسة ومن أجل كرامة اسم المسيح ومن أجل شهداء نجران الذين ذكرهم القرآن. إنَّ الجزيرة العربية هي مهد الإسلام. وإنّ المحمَّديين في حاجة إلى بشارة الإنجيل بنفس الحاجة التي يحتاجها الآخرون (من غير النصارى)، إنَّ الإسلام ليس هرطقةً نصرانية، بل إنه كذلك ليس دينًا غير نصراني - إنَّ الإسلام عدوٌّ للنصرانية في أصولها وأخلاقها وتاريخها وحياتها».[1]

* * *

(١) انظر: قاسم السامرَّائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥٠ ـ ٥١.

الفصل الثالث

الاستشراق في خدمة اليهود واليهودية

التمهيد :

إذا كان المستشرقون بمجملهم قد عملوا على تحقيق أهداف عدَّة، على رأسها الأهداف الدينية ثم الاحتلالية والسياسية والتجارية والعلمية، مدفوعين بدوافع متشابهة، فإنَّ هذه الأهداف ـ عدا العلمية ـ إلى اليهود ألصق منها بغيرهم من المستشرقين، رغم ماتركته الحروب الصليبية من إصرار النصارى على العودة إلى «الديار المقدسة» بأيِّ شكل من أشكال العودة. واليهود أكثر إصرارًا على العودة بعد أنْ أجلاهم الرسول محمَّد ﷺ من المدينة المنورة،[1] ومن الجزيرة العربية وعلى يد

(١) انظر: محمَّد بن فارس الجميل. النبي ﷺ ويهود المدينة .ـ مرجع سابق .ـ ص ١٦١ ـ ١٧٦ . والكتاب برمَّته يتحدَّث عن إجلاء اليهودية من المدينة. وانظر أيضاً: محمد بن فارس الجميل. إجلاء النبي ﷺ لليهود عن المدينة (٢ ـ ٥هـ/ ٦٤٢ ـ ٦٤٥م). في: السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية العاشر المنعقد في المدينة المنوَّرة ١٢ ـ ١٤/ ٥/ ١٤٢٨هـ ـ ٢٩ ـ ٣١/ ٥/ ٢٠٠٧م .ـ الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٣١هـ .ـ ص ٢٢٣ ـ ٢٦٦ .

الخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عندما أدرك «أنَّ الدولة الإسلامية لايمكن أنْ ترسخ في شبه جزيرة العرب مادام اليهود فيها يثيرون أهلها على الدولة ويفقرونها بالربا الفاحش»[1].

ليس الباحث بصدد التوسُّع في سرد تاريخ اليهود وعلاقتهم بالمسلمين، منذ البعثة المحمَّدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ، ولكن يكفي أنْ يتقرَّر هنا أنَّ دخول اليهود مضمار الاستشراق إنما تدفعه بواعث عرقية قديمة، لم تكن وليدة القرون المتأخِّرة. وأنَّ اليهود يتطلَّعون إلى العودة إلى خيبر والمدينة المنوَّرة «يثرب» عن طريق القدس والخليل. فعندما احتلَّ اليهود القدس سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م دخلها وزير الدفاع آنذاك موشى ديان مع الحاخام الأكبر شلومو غورين، وبعد أنَّ أدَّى صلاة الشكر عند حائط البراق الشريف قال: «اليوم فتحت الطريق إلى بابل ويثرب». وتقول رئيسة الوزراء السابقة غولدا مائير وهي في إيلات: «إني أشمُّ رائحة أجدادي في خيبر». ويقول: هرتزوع لامرأة مسلمة ضيَّق عليها اليهود الخناق حتى هدموا دارها بالجرَّافات فآثرت الرحيل إلى المملكة العربية السعودية حيث أبناؤها: «إذا رأيت الملك فيصل فقولي له إننا قادمون إليه، فإنَّ لنا أملاكًا عنده، إنَّ جدَّنا إبراهيم هو الذي بنى

(١) انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ. التبشير والاستعمار الغربي.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٨٠.

الكعبة وإنها ملكنا، وسنسترجعها بالتأكيد». [1] هذه أقوال من أقوال قادة يهود يملكون ـ نوعًا ما ـ القرار السياسي والعسكري.

ومن هذا المنطلق يسعى اليهود إلى الوصول إلى هذه الأهداف مستخدمين وسائل شتَّى، من ضمنها الاستشراق بالمفهوم الذي يناقَش فيه هنا، ولذا لم تغفل الجامعات اليهودية الدراسات الإسلامية والعربية فأنشأت أقسامًا مستقلَّة لها، بل هي الآن وبحكم قربها من العالم العربي والإسلامي أكثر تأثيرًا من بعض مراكز الدراسات العربية والإسلامية ومعاهدها في البلاد الأخرى، وتُتاح لها من الظروف والإمكانات مالا يتاح لتلك المراكز والمعاهد، حيث العناية بالبحث العلمي والحرص على دعمه والإنفاق عليه، وحيث تبلغ نسبة المخصَّص للبحث العلمي في الدولة اليهودية في فلسطين المحتلَّة ٢٦٪، وذلك مقارنة بما تُـنفقه أمريكا ٣,٦٪ والسويد ٣,٨٪ وسويسرا واليابان ٢,٧٪ وفرنسا والدنمرك ٢٪، بينما لا تتجاوز هذه النسبة في البلاد العربية مجتمعةً ٢٪. [2]

وقد حاول المستشرقون اليهود في البدايات الأولى للاستشراق التكتُّم على انتمائهم اليهودي، ونظروا إلى أنفسهم،

---

(١) انظر: إسماعيل الكيلاني. لماذا يزيِّفون التاريخ ويعبثون بالحقائق؟!.ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.ـ ص ٣١.

(٢) انظر المقارنات على الموقع: http:www.swissinfo.ch/ara/front.html .(22/11/1430h-10/11/2009g)

وأرادوا من الآخرين أنْ ينظروا إليهم، على أنهم مستشرقون فحسب، وقلَّ منهم من صرَّح بيهوديته.[(١)]

ويأتي اتِّجاه اليهود نحو الاستشراق إلى الشعور بانتمائهم للساميّة، وأنهم والعرب ـ منشأ الإسلام ـ يعودون إلى أصول واحدة. فدرسوا العبرانية في البداية، وجرَّتهم دراسة اليهودية إلى دراسة الإسلام، عندما أرادوا أنْ يُبرزوا الأثر اليهودي في الإسلام، كما أراد المستشرقون النصارى إبراز الأثر النصراني في الإسلام.

وما الاستشراق اليهودي إلا امتداد لموقف اليهود عمومًا من العرب والمسلمين، ذلك الموقف الذي لم يكن وليد القرون المتأخِّرة، بل صاحَب الإسلام منذ أيامه الأولى في المدينة المنوَّرة. ولذا نجد أنَّ جانب الإنصاف والنزاهة بين المستشرقين اليهود يقلُّ كثيرًا عنه بين المستشرقين النصارى أو الملحدين من غير اليهود. وهذا ردُّ فعل طبيعي أملته الجذور التاريخية للعلاقة بين المسلمين واليهود.

وهناك عوامل عدَّة تعيق التعرُّف على المستشرقين اليهود، منها ما له علاقة بالموضوع، وهو أنهم قد تغلغلوا ـ تقريبًا ـ في شتَّى وجوه نشاط المستشرقين وأسهموا فيها، ودخلوا في

(١) انظر: محمد جلاء إدريس. الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة.ـ القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.ـ ص ٧٧ ـ ٨٦.

التصنيفات التي أعطيت للمستشرقين، من حيث اهتماماتُهم وميولُهم وموضوعيتُهم وفئاتُهم ومدارسُهم وتحيُّزهم ونحو ذلك.

ومع هذا فهناك محاولات للتعرُّف عليهم من خلال بعض الظواهر ذات الدلالة، أو من خلال تقسيم المستشرقين إلى فئات يكون اليهود منهم غالبًا في إحدى هذه الفئات.

لذا نجد صعوبة في تحديد حقيقة المستشرقين من حيث الخلفية العرقية، ويرصد نجيب العقيقي تسعة وعشرين مستشرقًا عاشوا بين القرنين الرابع والعاشر الهجريين/ العاشر والسادس عشر الميلاديين، ويعدُّهم طلائع المستشرقين، فلا نجد منهم يهودًا إلا اثنين تنصَّرا هما يوحنا بن داود الإسباني، ويوحنا الإشبيلي، اللذان عاشا في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي.[1] وتنصُّرهما قد يؤيِّد الرأي القائل بأنَّ المستشرقين اليهود تعمَّدوا إخفاء حقيقتهم.

وقد أورد محمَّد بن عبُّود مجموعة من الأسماء اللامعة في عالم الاستشراق اليهودي لعلَّ من المناسب إثباتها هنا.[2] مع الاستعانة بنجيب العقيقي في كتابه المستشرقون وعبدالرحمن

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١ : ١١٢.

(٢) انظر: محمَّد بن عبّود. الاستشراق والنخبة العربية.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

بدوي في موسوعة المستشرقين ويحيى مراد في معجم أسماء المستشرقين للتعرُّف عليهم. ومنهم من لم يذكره محمَّد بن عبّود، ومنهم من لم يترجم له نجيب العقيقي أو عبدالرحمن بدوي أو يحيى مراد، وجاء ترتيبهم هنا حسب تاريخ وفاة كل منهم.

١ ـ ولعلَّ أبرز المستشرقين اليهود إيناس جولدتسيهر ١٨٥٠ ـ ١٩٢١م، وهو مستشرق مجري (هنجاري)، اتَّجه إلى دراسة العبرانية، وتخرَّج باللغات الساميّة، ثم اهتمَّ بالعربية والإسلام، ونشر أبحاثه بالألمانية والفرنسية والإنجليزية.[١] ويعدُّ من الذين أسهموا في تغيير الدراسات العربية الإسلامية تغييرًا جذريًا، إذ وضع خطَّة عامَّة اتَّبعها مستشرقون بارزون بعده، واعترفوا له بأنه أعطى الدراسات العربية والإسلامية في الغرب قالبًا جديدًا.[٢]

٢ ـ ومن أبرز المستشرقين اليهود غوستاف فون غرونباوم ١٩٠٩ ـ ١٩٧٢م، وهو نمساوي الأصل، تخرَّج في جامعة فيينّا وبرلين، وانتقل إلى الولايات المتَّحدة

(١) انظر: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ ط ٤.ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م.ـ ص ١٩٧ ـ ٢٠٣.

(٢) انظر: محمَّد بن عبّود. الاستشراق والنخبة العربية.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٠٧. وربما كُتب اسم «جولدتسيهر» الأوَّل بالجيم «إجناز»، و«إجناس»، وانظر أيضًا: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٣: ٤٠ ـ ٤٢.

الأمريكية يتنقَّل بين جامعاتها، ويغلب على إنتاجه اهتمامه بالأدب العربي.(١)

٣ ـ ومستشرق آخر فرنسي معاصر وهو كلود كاهين، (١٩٠٩م ـ ١٩٩١م)، تخرَّج باللغات الشرقية في السوربون ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة المعلِّمين العليا، وحاضر في مدرسة اللغات الشرقية، وعُيِّن أستاذًا لتاريخ الإسلام في كلية الآداب بجامعة ستراسبورج ثم جامعة باريس. ويغلب على أعماله التركيز على التاريخ.(٢)

٤ ـ سليمان مونك ١٨٠٥ ـ ١٨٦٧م، وهو ألماني الأصل فرنسي النشأة والوفاة، يتكلَّم الألمانية والفرنسية والعربية والعبرية والفارسية والسنسكريتية، وأكثر آثاره دراسات ضمَّنها شهريات المجلات الفرنسية.(٣)

٥ ـ كارل بول كازباري ١٨١٤ ـ ١٨٩٢م، مستشرق ألماني،

---

(١) انظر: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٨٢ ـ ١٨٣، وانظر أيضًا: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٣: ١٧٠ ـ ١٧٣.

(٢) انظر: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٦٠ ـ ٤٦١، وانظر أيضًا: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٣: ٣٤٢ ـ ٣٤٦.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١: ١٨١ ـ ١٨٢، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥٧١ ـ ٥٧٣.

تحوَّل إلى النصرانية معتنقًا الكاثولوكية، واشتهر بتفسير التوراة، له القواعد العربية باللاتينية، وقد أشرف على نشر كتاب تعليم المتعلِّم للزرنوجي وطبعه.(١)

٦ - جيمس دارمشتيتر ١٨٤٩ - ١٨٩٤م، مستشرق فرنسي، من أساتذة معهد فرنسا، تتبَّع المهدي منذ نشأة الإسلام إلى ١٨٨٥م، وركَّز على آثار فارسية وزرادشتية.(٢)

٧ - جوزيف ديرنبورغ ١٨١١ - ١٨٩٥م، من مستشرقي فرنسا، عُني عناية تامَّة بالتلمود، وأصبح من كبار علماء العبرية والعربية، وتوفِّي بباريس، غلبت على تصانيفه اللغة والأدب.(٣)

٨ - مورتر شتانشنايدر ١٨١٦ - ١٩٠٧م، مستشرق ألماني، تعلَّم العربية في النمسا، وعمل في المكتبة البودلية، وفي مكتبة برلين الوطنية. يغلب على إنتاجه الضبط الوراقي

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢: ٣٧٠، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ٥٥١.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ١: ٢٠٨، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ١: ١٨٥ - ١٨٦، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ٢٤١، ويسمِّيه «جوزف دانبور»، وانظر كذلك: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

(الببليوجرافي) للمخطوطات العربية والترجمات. وبرز اهتمامه باليهودية من خلال آثاره.[1]

٩ - هارتفغ ديرنبورغ ١٨٤٤ - ١٩٠٨م، أو «هرتوغ ديرنبورغ»، وعن نجيب العقيقي «أنه ابن جوزيف ديرنبورغ» السالف ذكره، وعن محمَّد بن عبّود أنه أخوه. وهو من مستشرقي فرنسا، ولادته بباريس، ودرس العربية بألمانيا، وعُيِّن أستاذًا للغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس، ثم في مدرسة الدراسات العليا، ثم بقسم المخطوطات بمكتبة باريس الوطنية، وكانت له صولات وجولات مع المخطوطات في الأسكوريال ومدريد وغرناطة. له آثار عدَّة في اللغة والأدب.[2]

١٠- إدوارد جلازر ١٨٥٥ - ١٩٠٨م من المستشرقين النمساويين، وكانت وفاته بميونخ - ألمانيا، عيِّن مساعد أستاذ للغة العربية بجامعة فيينّا، طاف في بلاد العرب في آسيا وأفريقيا، خرج منها بألف واثنين وثلاثين من الكتابات

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢: ٣٧٢، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ٤٧٤ - ٤٧٥.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ١: ٢٠٣ - ٢٠٤، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ٢٤٢، ويسمِّيه «هرتفج دارنبور».

القديمة على الأحجار، ومئتين وخمسين من مخطوطات الزيديين في اليمن، ونشر كتابات حِمْيرية.[١]

١١ـ سيجموند كرانكيل ١٨٥٥ ـ ١٩٠٩م.[٢]

١٢ـ ديفيد إبراهاموفيش شورسون ١٨١٨ ـ ١٩١١م، مستشرق روسي، تحوَّل إلى النصرانية معتنقًا اللوثرية، كان متخصِّصًا باللغة العربية، ويتقنها، ويُعَدُّ من مؤسِّسي المدرسة الروسية للدراسات الإسلامية.[٣]

١٣ـ يوليوس ليبرت ١٨٦٦ ـ ١٩١١م، مستشرق ألماني، ركَّز على الطبِّ عند المسلمين، لا سيَّما طبّ العيون، وله فيه آثار، منها أطبَّاء العيون عند العرب في مجلَّدين، عاونه فيه هيرشبرغ وميتفوخ.[٤]

١٤ـ ويلهلم باكر ١٨٥٠ ـ ١٩١٣م، من المستشرقين الألمان، ركَّز جُلَّ اهتماماته على فارس.[٥]

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٢٨١، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٨٦ ـ ١٨٧،

(٢) انظر: محمَّد بن عبّود. الاستشراق والنخبة العربية.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٣) انظر: محمَّد بن عبّود. الاستشراق والنخبة العربية.ـ المرجع السابق.ـ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٤) انظر: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٦٢٨.

(٥) انظر: محمَّد بن عبّود. الاستشراق والنخبة العربية.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

١٥ـ جوزف هاليفي ١٨٣٧ ـ ١٩١٧م، مستشرق تركي الأصل فرنسي النشأة، يعدُّ من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بالسوربون، تقمَّص شخصية متسوِّل يهودي وجال بجنوبي بلاد العرب، ووصل إلى نجران، وعاد معه بستٍّ مئة وستَّة وثمانين نقشًا من كتابات قديمة، وركَّز في بحوثه على الساميّة وما يتعلَّق بها.[١]

١٦ـ هيرمان ريكندروف ١٨٦٣ ـ ١٩٢٤م من المستشرقين الألمان، انصرف لدراسة اللغات الساميّة والمصرية والسنسكريتية والصينية. عيِّن أستاذًا للعربية في فرايبورغ. ركَّز في دراساته على النحو العربي مع دراسات في الأدب.[٢]

١٧ـ يوليوس هيرشبرغ ١٨٤٣ ـ ١٩٢٥م مستشرق بولوني، طبيب عيون، متخصِّص بتاريخ اليهود في الجزيرة العربية، كتب عن السموأل وديوانه، وله آثار ركَّز فيها على اليهود في المجتمع الإسلامي.[٣]

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١: ١٩٩ ـ ٢٠٠، وانظر أيضًا: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٦٠١ ـ ٦٠٢،

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٤١١، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤١٧.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٣٨٥، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٧١٤.

١٨ـ ديفيد سانتيلانا ١٨٥٥ ـ ١٩٣١م من مستشرقي إيطاليا، ومن مواليد تونس. درس القانون واشتهر بالفقه الإسلامي. وضع القانون المدني والتجاري لتونس بدعوة من المقيم الفرنسي فيها، وقد أخذ كثيرًا من الشريعة الإسلامية، درس بمصر الفلسفة الإسلامية واليونانية والسريانية، آثاره يغلب عليها الفقه والقانون والفلسفة.(١)

١٩ـ جوزيف هورفتش ١٨٧٤ ـ ١٩٣١م من المستشرقين الألمان، درس العربية في جامعة عليكرة بالهند، وتخصَّص بالإسلام في الهند، انتقل إلى ألمانيا ودرَّس بجامعة فرانكفورت، وعُدَّ من أشهر أساتذتها، له مصنَّفات وآثار في معارف كثيرة.(٢)

٢٠ـ ماكس سوبر هايم ١٨٧٢ ـ ١٩٣٢م.(٣)

٢١ـ ج. برجشتراسر ١٨٨٦ ـ ١٩٣٣م من المستشرقين الألمان، درس الفلسفة واللغات السامية والعلوم

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١: ٤٢٨، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٤١ ـ ٣٤٤،

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٤٣٢ ـ ٤٣٣، وانظر أيضًا: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٦٢١ ـ ٦٢٢،

(٣) انظر: محمَّد بن عبّود. الاستشراق والنخبة العربية.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

الإسلامية، ودرَّس اللهجات العامية. زار تركيا ومصر وعمل فيهما. سقط على أحد جبال الألب فمات. له آثار عدَّة عن القرآن الكريم والفقه الإسلامي.[1]

٢٢ـ هرتفج هيرشفيلد ١٨٥٤ ـ ١٩٣٤م مستشرق ألماني، عُنيَ بالدراسات الساميّة. وكتب عن السموأل وشعره والشعر المنسوب له، كما كتب عن حسَّان بن ثابت، وله دراسات في اليهودية والإسلام.[2]

٢٣ـ ريتشارد جوتهيل ١٨٦٢ ـ ١٩٣٦م من المستشرقين الأمريكيين، تخرَّج في جامعات ألمانيا. أتقن العربية على يد شيخ من مشايخ الأزهر. درَّس في كولومبيا. تنوَّعت آثاره من حيث الفنون التي طرقها.[3]

٢٤ـ أ. ي. فنسك (ونسنك) ١٨٨٣ ـ ١٩٣٩م مستشرق هولندي، أتقن اللغات الساميّة، وتخصَّص في أديان الشرق،

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٤٥٠ ـ ٤٥١، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٨٥ ـ ٨٧.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٤٠٠، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٧١٤.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٣: ١٣٥ ـ ١٣٦، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٨٠.

وعُني بالحديث الشريف، ووضع مع مجموعة من المستشرقين المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ولم يتمَّه، وتولَّى دائرة المعارف الإسلامية، اهتمَّ بموقف الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ من اليهود. وله آثار أخرى.[١]

٢٥ـ ديفيد السموأل «صموئيل» مورغليوث ١٨٥٨ ـ ١٩٤٠م مستشرق إنجليزي، دخل سلك الرهبنة، ويعدُّ من أئمة المستشرقين، كتب بالعربية بسلاسة، وهو صاحب نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي، له آثار ومباحث وتحقيقات عدَّة.[٢]

٢٦ـ أوجيست ميتفوخ ١٨٦٧ ـ ١٩٤٢م مستشرق ألماني، تخصَّص في فقه اللغات الساميّة، وركَّز على فقه اللغة الحبشية والسبئية وتاريخ جنوب الجزيرة العربية. شارك في نشر كتاب أطبَّاء العيون عند العرب مع ليبرت وهيرشبورغ السالفي الذكر. وحاول ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمهرية.[٣]

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٣١٩ ـ ٣٢٠، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤١٧ ـ ٤١٨.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٧٧ ـ ٧٩، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥٤٦،

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٤٢٠ ـ ٤٢١،

٢٧ـ بول كراوس ١٩٠٤ ـ ١٩٤٤م مستشرق نمساوي من مواليد براغ، تقلَّد مناصب تعليمية عدَّة في ألمانيا وفرنسا ومصر. شهد له أعلام المستشرقين بالعمق والشمول والتفرُّد، وكان يتوقَّع له مستقبل باهر. إلا أنه أنهى حياته بنفسه. ركَّز على إسهامات المسلمين العلمية.(١)

٢٨ـ ماكس مايرهوف ١٨٧٤ ـ ١٩٤٥م من المستشرقين الألمان، تخرَّج طبيبًا وزاول الطبَّ في مصر، تعلَّم اللغات في القاهرة، لا سيَّما اللهجات التي تتحدَّثها القاهرة، وعالج فقراءها مجَّانًا ودرس الطبَّ العربي، وكتب عنه كتابات مرجعية، وله فيه آثار عدَّة.(٢)

٢٩ـ أ. شاده ١٨٨٣ ـ ١٩٥٢م مستشرق ألماني، تخرَّج باللغات الشرقية، ودرَّس في هامبورج وفي مصر، عُني بكتابته عن بعض الأدباء المعاصرين. ترجم ونشر مجموعة من الدراسات والشروح.(٣)

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٤٧٢ ـ ٤٧٣، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٦٤ ـ ٤٦٧،

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٤٣٣ ـ ٤٣٦، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥٤٠ ـ ٥٤٣،

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٤٤٨ ـ ٤٤٩، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩.

٣٠- كارل بروكلمان ١٨٦٨ ـ ١٩٥٦م مستشرق ألماني، تخرَّج باللغات السامية، واشتهر بلغته العربية والتاريخ الإسلامي والأدب العربي، ودرّسها في جامعات شتَّى. واشتهاره بالأدب العربي لم يقتصر على المفهوم الشائع للأدب العربي، بل إنَّ مؤلَّفاته تشير إلى تضلُّعه من إسهامات المسلمين في شتَّى مجالات المعرفة. وقد برز اطَّلاعه في كتابه تاريخ الأدب العربي وكتابه تاريخ الشعوب الإسلامية. وآثاره غير يسيرة. وترجم لمجموعة كبيرة من أعلام المسلمين في دائرة المعارف الإسلامية.[١]

٣١- ايفارست ليفي - بروفنسال ١٨٩٤ ـ ١٩٥٦م من مستشرقي فرنسا، ولد بالجزائر، ودرس بها، ثم درس بالمغرب العربي، وركَّز على لغة جبلة شمالي المغرب. أمضى معظم وقته في الشمال الأفريقي يدرِّس ويبحث، تخصَّص كثيرًا في الأندلس وعُدَّ مرجعًا فيه، وله فيه باع طويل من البحوث والدراسات. ووجد في سماحة الإسلام نحو اليهود في الأندلس ما ينقض العنصرية والاضطهاد اللذين عانى منهما اليهود في حياته، ولذا برز حنينه إلى الأندلس وأهلها.[٢]

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٤٢٤ ـ ٤٣٠، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٩٨ ـ ١٠٥،

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١: ٢٩٣ ـ ٣٠٠، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥٢٠ ـ ٥٢٢،

٣٢ـ ليو أريه ماير ١٨٩٥ ـ ١٩٥٩م من المستشرقين النمساويين، اختير رئيسًا لمعهد العلوم الشرقية في القدس. وأصدر حولية في الآثار والفنون الإسلامية بلغات عدة، ركَّز على فلسطين في آثاره.(١)

٣٣ـ لويس ماسينيون ١٨٨٣ ـ ١٩٦٢م مستشرق فرنسي، تتلمذ على مشاهير المستشرقين، وكانت له صولات وجولات علمية وعسكرية في الشرق، واهتمَّ بالتصوُّف، وكتب عنه بدائرة المعارف الإسلامية، وحضر دروس علماء الأزهر وتزيَّا بالزيِّ الأزهري. له من الآثار مايربو على ستٍّ مئة وخمسين بين مصنَّف ومحقَّق ومترجم ومقالة ومحاضرة وتقرير ونقد. له أياد «بيضاء» على الحركة الاحتلالية في العالم العربي.(٢)

٣٤ـ وليام بوبير ١٨٧٤ ـ ١٩٦٣م مستشرق أمريكي، ومن أعلام المستشرقين في أمريكا، تنقَّل بين البدو وأخذ عنهم لهجاتهم وقصصهم، وعاد إلى الولايات المتَّحدة ودرَّس بجامعة كاليفورنيا. وواصل جهود سابقيه في نشر كتاب النجوم الزاهرة لابن تَغري بردي.(٣)

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٢: ٢٨٦ ـ ٢٨٧، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥٣٨،

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١: ٢٦٣ ـ ٢٨٦، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥٢٩ ـ ٥٣٥.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١: ١٣٩ ـ ١٤٠.

٣٥- روبين ليفي ١٨٩١ - ١٩٦٦م مستشرق بريطاني، تعلَّم في جامعات نورث ولسون وينجور وأكسفورد. عمل في العراق، وأقام في أمريكا، وعاد إلى بريطانيا، له آثار في فارس والعراق وغيرهما.[١]

٣٦- جورجيو ليفي دلا فيدا ١٨٨٦ - ١٩٦٧م من المستشرقين الإيطاليين، أستاذ العربية واللغات الساميّة المقارنة بجامعة روما، ومن كبار الباحثين في تاريخ الدين الإسلامي، وغلب على آثاره اهتمامه بالشعر والشعراء.[٢]

٣٧- يوسف شاخت ١٩٠٢ - ١٩٦٩م مستشرق ألماني، تقلَّد مناصب تعليمية عدَّة في ألمانيا ومصر وبريطانيا والجزائر وهولندا، وقد اشتهر بدراسة التشريع الإسلامي وبيان نشأته وتطوُّره وتأثُّره وأثره. له آثار عدَّة، ناقشه الشيخ يوسف القرضاوي حول فقه الزكاة.[٣] وهو من محرِّري دائرة المعارف الإسلامية.[٤]

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢: ١٢٥ - ١٢٦، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ٣٩١ - ٣٩٢.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ١: ٤٤٠ - ٤٤١، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ٢٤٦ - ٢٤٩.

(٣) انظر: يوسف القرضاوي. فقه الزكاة.

(٤) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢: ٤٦٩ - ٤٧١، وانظر أيضًا: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ٣٦٦ - ٣٦٨.

٣٨ـ هانز لدفيج جوتشالك ١٩٠٤ ـ ١٩٨١م، مستشرق ألماني، تخصَّص في تاريخ المصريين في عهد الأيوبيين، أسهم في وضع فهرس للمخطوطات الشرقية، وكان أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة فييّنا.[(١)]

٣٩ـ مارسل كوهين ١٨٨٤ ـ ١٩٧٤م، مستشرق فرنسي، وعالم لغوي، من أساتذة مدرسة اللغات الشرقية ومدرسة الدراسات العليا بباريس. له بحوث وآثار يركِّز فيها على اللغات الساميّة.[(٢)]

٤٠ـ مكسيم رودنسون ١٩١٥ ـ ٢٠٠٤م، مستشرق فرنسي، ماركسي، درس في باريس في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية والمدرسة العلمية للدراسات العليا. درس في صيدا، وعمل في بيروت ودمشق أمين مكتبة، له آثاركثيرة غلب عليها اهتمامه بالاقتصاد الرأسمالي والماركسي، كما غلبت كتاباته في الوضع العربي الراهن. عرف عنه معارضته للصهيونية.[(٣)]

---

(١) انظر: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٩٣،

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١: ٢٧١ ـ ٢٧٢، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٦٠٠ ـ ٦٠١.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١: ٣٥٩ ـ ٣٦١، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٦.

٤١ـ برنارد لويس ١٩١٦م مستشرق بريطاني تركيّ الأصول، درَّس في لندن وباريس، ودرَّس في الولايات المتَّحدة الأمريكية بجامعة برنستون وغيرها من جامعات الولايات المتَّحدة بالإضافة إلى تدريسه في جامعات بريطانيا. ركَّز في دراساته على التاريخ عمومًا، وعلى تاريخ الإسماعيلية بخاصَّة، ويتابع النشاط الإسلامي في أوروبا وأمريكا. لايتورَّع عن التوكيد على صهيونيته وإعلانها.(١) خصَّص مازن بن صلاح مطبقاني أطروحته للدكتوراه عن مناقشة آرائه.(٢)

٤٢ـ ديفيد كوهين، مستشرق معاصر وعالم لغوي، عُني باللغات الحاميّة والساميّة، وله آثار لغوية عدة في الساميّة.(٣)

٤٣ـ إسرائيل ولفنسون، معاصر، ويكنَّى بأبي ذؤيب. درس اللغة السامية بدار العلوم ثم بالجامعة المصرية. له تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام بالعربية، وقدَّم له طه حسين، وتاريخ اللغات الساميّة

---

(١) انظر: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.ـ المرجع السابق.ـ ص ٦٢٢ ـ ٦٢٤.

(٢) انظر: مازن بن صلاح المطبَّقاني. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس.ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.ـ ٦١٤ ص.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ١: ٣٧٦، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٦٠٠.

بالعربية، وموسى بن ميمون. وكعب الأحبار بالألمانية. ونشر كتاب المصائد والمطارد لأبي الفتح كشاجم. ويعدُّ من المستشرقين الألمان. وغير هؤلاء من مشاهير المستشرقين اليهود.[1]

وذكرهم هنا بحسب انتمائهم العرقي لا يعني بالضرورة النظرة السلبية لهم جميعًا بحكم هذا الانتماء، فمن بينهم مستشرقون منصفون، ومن بينهم من تحمَّسوا للتراث العربي الإسلامي وأحبُّوه مثل ليفي بروفنسال السالف ذكره، وليس من العدل أنْ يكونوا سواءً في الحكم عليهم إيجابًا أو سلبًا.

ومن الصعب جدًّا حصر الأسماء اليهودية في عالم الاستشراق للأسباب السالفة الذكر، ما لم يكن الباحث عالمًا بطريق غير مباشر بحقيقة المستشرق، إلا أنه يغلب على المستشرقين اليهود اهتمامهم المباشر بالساميّة وتعلُّقهم بها، حتى لا يكاد مستشرق يهودي يطرق أبواب الاستشراق من دون أنْ يمرَّ على اللغات الساميّة أو يتقن العبرية. ولعلهم بهذا يقتفون أثر إمامهم إيناس جولدتسيهر، الذي بدأ رحلته الاستشراقية بالاهتمام بالعبرانية، ثم اتَّجه منها إلى الإسلام والعربية.

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٣: ١٥٢ ـ ١٥٣، وانظر أيضًا: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٧٢٥.

تزداد الصعوبة في الوقت الراهن عندما ندرك أنَّ اليهود عملوا على السيطرة على مراكز الدراسات والبحوث الإسلامية والعربية والشرق أوسطية ومعاهدها، فوجَّهوها الوجهة التي تُعِيْن على تثبيت أقدام اليهود في فلسطين المحتلَّة. وهذا يقلق كثيرًا من المستشرقين من غير اليهود ومن بعض اليهود المناوئين للصهيونية، ممن يمكن أنْ يوصفوا بالنزاهة والتجرُّد. وقد صرَّح لي بهذا الأستاذ الدكتور رالف برابنتي أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة دوك بولاية نورث كارولاينا بالولايات المتَّحدة الأمريكية. وموقف هذا الأستاذ يؤكِّد وجود مستشرقين نزيهين.[1]

لا تقتصر السيطرة على إدارة هذه المراكز والمعاهد فحسب، وإنما شملت أيضًا التحكُّم فيما يقال عن المنطقة في المؤتمرات والندوات التي تعقد في الجامعات والمؤسَّسات العلمية والتعليمية. ومن أبرز النشطاء في هذا المجال دانييل بايبس الذي يقود حملة مراقبة الجامعات باسم campus watch.

وإذا لم تُتحْ لهم فيها فرصة المشاركة الفعلية تراهم يرسلون إليها مندوبين يرصدون ما يقال في هذه اللقاءات، ويكتبون عنها التقارير لمكتب الملحقية الثقافية اليهودية، وهذا المكتب بدوره يكتب لهذه المؤسسات طالبًا عدم التعرُّض لليهود ولدولتهم في فلسطين بشيء من السلبية. هذا بالإضافة إلى رصد المعلومات

---

(١) انظر: مصطفى عبدالغني. المستشرقون الجدد: دراسة في مراكز الأبحاث الغربية.ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧م.ـ ١٧٤ ص.

عن هذه الأنشطة ومعرفة توجُّهها ومحاولة الإسهام فيها، وقد عايشت هذه الحال عندما طُلِب مني إلقاء محاضرات عن الإسلام على طلبة الثانوية في الولايات الشرقية من الولايات المتَّحدة الأمريكية، فقد ذُكر لي أنَّ من بين الحضور مندوبين للملحقية الثقافية اليهودية يسجِّلون ما أقول. ومن ذلك مشروع دانيال بايبس في مراقبة الجامعات. وهو مشروع مشهور معروف.

لذا لا يستبعد المرء أنْ تستفحل حركة الاستشراق الصهيوني، وأنْ تكون السمة الطاغية على الاستشراق في مدَّة تأتي قد تطول، إذا ما استمرَّت السيطرة الصهيونية على مرافق الحياة العلمية والاقتصادية والسياسية والإعلامية في المجتمع الغربي عمومًا، وفي مجتمع الولايات المتَّحدة الأمريكية بخاصَّة، بعد تسلُّمها زمام الحضارة الغربية من أوروبا، مما أتاح للمستشرقين وغيرهم من اليهود أنْ يصبُّوا جامَ غضبهم، بسبب ما حصل لهم من اضطهاد في أوروبا، على يد بعض الحركات السياسية والعرقية فيها، ويكون هذا الغضب بصورة أوسع وأشمل وأوضح على طرف ثالث هو العرب والمسلمون، الذين لم يكن لهم ذنب في ما حصل لليهود في أوروبا، بل ربَّما كانوا جزءًا من المأساة.[١]

---

(١) انظر: غِرهرد هُب. العرب في المحرقة النازية: ضحايا منسيّون/ ترجمة محمد حديد، مراجعة زياد مدني.ـ دمشق: قَدمُس، ٢٠٠٦م.ـ ١٥٣ ص.

وقد برزت ردود الفعل هذه «بوضوح، خصوصًا بعد الحرب العالمية الثانية في كتابات المستشرقين الصهاينة، وعلى رأسهم بارنارد لويس. إنَّ بذور الصهيونية قد غرست خلال القرن التاسع عشر (الميلادي)، ولكن الشجرة الصهيونية قد ازدادت نموًّا خلال القرن العشرين (الميلادي)، فكان الهدف الأصلي لهذه الحركة من وراء اهتمامها بالإسلاميات الحصول على المعلومات الكافية عن الفلسطينيين الذين سيتركون بلادهم لتؤسَّس فيه الدولة الصهيونية مستقبلاً. كما أولى الصهاينة اهتمامًا كبيرًا للدول المجاورة لفلسطين لمنع احتمال ردود فعل ضدَّ تأسيس دولة إسرائيل. وكان الصهاينة ـ شأنهم في ذلك شأن أسلافهم المستعمرين ـ مهتمِّين بالدراسات العربية والإسلامية أساسًا كوسيلة لتحقيق أهداف سياسية».[1] وإذا كان يتردَّد أنَّ تأثير الاحتلال قد انتهى، فلا يزال للصهيونية تأثيرها في الدراسات العربية والإسلامية، لا سيَّما في الولايات المتَّحدة ـ كما سبق التنويه بذلك ـ.

ساعد التنصير على ترسيخ فكرة الاستشراق الصهيوني من خلال تشجيع دراسة اليهود للعرب والمسلمين، مما ساعد على استغلال التنصير لليهود في سبيل تحقيق أهداف التنصير الدينية والسياسية، وقد اقتنع المنصِّرون أنَّ جمع اليهود في فلسطين

(١) انظر: محمَّد بن عبّود. الاستشراق والنخبة العربية.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢١١.

يسهِّل لهم مهمَّتهم في الوصول إلى المسلمين.(١) ولا تزال بعض الجمعيات التنصيرية تنطلق من فلسطين المحتلَّة رغم سيطرة اليهودية على البلاد. ولا بأس في نظام القوم من أنْ تتضافر الجهود في سبيل الحدِّ من «خطر» الإسلام على الأمم الأخرى،(٢) والتقليل من الخوف من الإسلام على العالم.(٣)

ولا بأس في نظام القوم أيضًا من ممارسة «الإرهاب الفكري» ضدَّ الإسلام والمسلمين، سعيًا وراء توطيد الأقدام في فلسطين المحتلَّة، إلى درجة محاولة تحريف القرآن الكريم، وتوزيع نسخ مزوَّرة منه على المسلمين، مثلما حدث في إندونيسيا وغيرها من بلاد المسلمين، التي كان يُظنُّ أنها لجهلها بالعربية لن تتنبَّه لهذه النسخ المزوَّرة. ومثلما حدث من طباعة «موجزة» للقرآن الكريم صدرت عن «دار ديفز للنشر»، وهي دار يهودية مركزها شيكاغو بولاية إلينوي بالولايات المتَّحدة الأمريكية، وسمَّت هذه الطبعة الموجزة بالقرآن القصير،(٤) كما

---

(١) انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ. التبشير والاستعمار في البلاد العربية.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٨١.

(٢) انظر: فنسان جيسير. الإسلاموفوبيا: المخاوف الجديدة من الإسلام في فرنسا.ـ مرجع سابق.ـ ص ١١٢.

(٣) انظر: مصطفى الدبّاغ. الإسلام فوبيا Islamophobia: عقدة الخوف من الإسلام.ـ ط ٢.ـ عمَّان: دار الفرقان، ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ.ـ ص ١١ ـ ١٢.

(٤) انظر: أحمد بن عبدالله الزغيبي. الفكر الصهيوني وأهدافه في المجتمع الإسلامي.ـ مرجع سابق.ـ ٣: ١٠٥٢.

فعلوا بالقواميس والمعاجم، يصدرون منها طبعات موجزة للرجوع السريع.

لا يبدو أنَّ مثل هذه الأساليب ستجدي في تحقيق الأهداف. فهي أعمال يغلب عليها جانب السطحية في المحاولة، إذا ماقورنت بما أدخله اليهود على الفكر الإسلامي منذ البدايات الأولى للإسلام، وكانوا من الأسباب الرئيسية في اختلاف الأمَّة وتفرُّقها ودخول مبدأ البدعة فيها، والرجوع إلى العقلانية على حساب النقل في النظر للتشريع،[1] وتغليب العقل على النقل أحيانًا، ولو ثبت صحَّة النقل من قبل كبار المحقِّقين والمخرِّجين.

وحين تنبَّه المسلمون إلى هذه الجوانب وردُّوا النظريات التي شكَّكت في صحَّة الحديث والآثار المروية عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لجأ اليهود إلى أساليب جديدة في إدخال الإسرائيليات الحديثة على الفكر الإسلامي، وكلَّما استُنفدت وسيلة لجأوا إلى أخرى.

وليس في هذا غرابة أو عجب، فقد «تعوَّد» المسلمون مثل هذه الأساليب وكانوا ـ ولا يزالون ـ موفَّقين في ردِّها والردِّ عليها. هذا بالإضافة إلى المعلومة المسبقة عن اليهود، مما

---

(١) انظر: أنور الجندي. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٢ ـ ٤٤.

يجعل المستشرقين اليهود يتفانَون في إخفاء كنههم ولو أدَّى ذلك إلى تنصُّرهم، بل ربما إلى إسلامهم وصلاتهم مع المسلمين وحضورهم لقاءاتهم واجتماعاتهم وأوجه نشاطهم الأخرى. وانظر ـ إنْ شئت ـ إلى قصة فريد عبدالرحمن أو ألفرد دي يونغ، كما يرويها قاسم السامرّائي.[1] ولعلَّ هذا ـ أيضًا ـ مما يؤيِّد صعوبة التعرُّف عليهم بطرق علمية مجرَّدة.

أما الذي لم يمتطِ صهوة التنصُّر أو الإسلام فقد اكتفى بأنْ يصنَّف من المستشرقين العَلمانيين الذين اشتدَّ أزرهم في أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي،[2] وقويت شوكتهم في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، لا سيما مع قيام دولة إسرائيل في فلسطين المحتلة عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، وما صحب هذا من نقلة في اهتمامات المستشرقين عمومًا، والعَلمانيين بشكل خاصّ، واليهود منهم على وجه أخصّ، إذ برزت نغمة تعميق الوجود اليهودي في منطقة الشرق الأوسط، وكثُر التأليف والكتابة عن هذا الموضوع؛ سعيًا إلى ترسيخ فكرة حقِّ اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين. وإنْ لم تكن الفكرة وليدة القرن السابق أو

---

(١) انظر: قاسم السامرَّائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٢٢.

(٢) انظر: نذير حمدان. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٨.

القرون الثلاثة الماضية المقرونة بدعوة الحاخام ليفا ١٥٢٠ ـ ١٦٠٩م لقيام وطن قومي لليهود،[١] فمما لا شكَّ فيه أنها استشرت مع إعلان دولة إسرائيل.

واتَّجه إلى الاستشراق اليهودي أعضاء جدد لم يكونوا يفكِّرون في طَرْق أبوابه من قبل، حتى إنه دخل في هذا المفهوم الكتَّاب الصحفيون والمعلِّقون السياسيون والمهتمُّون بالمنطقة، مما أعطى فكرة الاستشراق شيئًا من السطحية لم تكن تتَّسم بها من قبل.

وأصبحت هذه المقالات والتعليقات كُتبًا تباع في المكتبات على أنها مراجعُ عن المنطقة، وأصبح كاتبوها ممن يُرجع إليهم في تحليل مايقع أو تفسيره في المنطقة من أحداث، وترك هؤلاء لأهوائهم وميولهم العِنان في الانطلاق في التحليل والتعليق، الذي يناسب الوجهة التي يعملون لها، مع قدْر محدود من توافر الوجهة الأخرى، وشبه انعدام للخلفية التاريخية للصراع القائم اليوم. ولسطحية هؤلاء لا يصدق عليهم مفهوم الاستشراق الأعمق من مجرَّد الإسهام في الكتابة عن المنطقة كتابة سريعة، بل ربَّما عُدُّوا من مستشرقي الصحافة، أو من ذوي الاستشراق الصحافي.[٢]

---

(١) انظر: علي جريشة. الاتجاهات الفكرية المعاصرة.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٤١.

(٢) انظر: حسن عزوزي. ظاهرة الاستشراق الصحفي.ـ الوعي الإسلامي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥٨ ـ ٥٩.

ولا شكَّ أنَّ هذا الاتِّجاه له أثره في حركة الاستشراق عمومًا، وفي الاستشراق الصهيوني على الأخصِّ، لا سيَّما أنَّ التضخُّم الاقتصادي وانتشار البطالة قد أسهما في التقليل من الصرف على مراكز الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية ومعاهدها، فنقصت نسبة الطلبة نظرًا لزيادة رسوم الدراسة، وأُلغيت بعض الأقسام أو قُلِّص من نشاطها، مما ينبئ عن تحوُّل في النشاط الاستشراقي.[1]

تتمُّ في هذه البيئة لليهود السيطرة على مسار الاستشراق، فيتصرَّفون في المؤتمرات والندوات والنشرات التي تصدر عن الجمعيات والمراكز الاستشراقية، مما قد يهدِّد بخطر أكثر عتوًّا من المرحلة التي كان اليهود المستشرقون فيها منخرطين بين المستشرقين مخفين حقيقتهم.

وربما برزت في الأفق دعوى أحقِّية اليهود في الاستشراق، على اعتبار أنهم قريبون من المنطقة، وأنهم جنس سامٍ يدرك ظروف المنطقة، بحكم قيام دولة لهم فيها، إضافة إلى إتقانهم لغة أعرابية تسهِّل عليهم كثيرًا إتقان اللغة العربية، وهم في الأصل شرقيون، مما يعينهم على إدراك المشكلات الشرقية، ويسكنون في الغرب فيدركون حاجات الدول الغربية من

(١) انظر: عدنان محمَّد وزَّان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٣٩ ـ ١٥٧.

المنطقة.[1] وهكذا يسوِّغون نزعتهم إلى السيطرة على زمام الاستشراق، فلا يُدخلون فيه معهم إلا من يحوم في فلكهم.

ربَّما طغى الهدف السياسي للمستشرقين عمومًا، واليهود بخاصة، على الهدف الديني على اعتبار أنَّ اليهود ينظرون إلى دولتهم المقامة في فلسطين المحتلة على أنها موطن الجنس اليهودي، وليس الديانة اليهودية بالضرورة. وعليه فإنَّ الهدف الديني غير وارد بالقوَّة التي يخدمون بها الهدف السياسي في ترسيخ استمرار الدولة وشرعيتها في البقاء، في الوقت الذي تضعف فيه الحركات التي تصمِّم على إعادة الأرض إلى أهلها بأيِّ شكل من أشكال الإعادة. وهكذا يخدمون الصهيونية فكرةً أولاً ودولةً ثانيًا. والظروف العامة والظواهر المترادفة في كتابات المستشرقين من هذه الفئة تعزِّز وجهة النظر هذه، وتخلع عليها بعض خصائص الإنتاج العلمي.[2]

مع هذه الجهود المضنية في السيطرة على مسيرة الاستشراق وتوجيهها الوجهة التي تتَّفق وأهداف الاستشراق اليهودي وتطلُّعاته، هل من الممكن اعتبار مدارسَ للاستشراق، تكون

---

(١) انظر: عمر فرُّوخ. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة.ـ ص ١٢٥ ـ ١٤٣.ـ في: الإسلام والمستشرقون.ـ مرجع سابق.ـ ٥١١ ص.

(٢) انظر: محمَّد البهي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٣١.

المدرسة اليهودية واحدة منها؟ هناك من صنَّف الاستشراق إلى أربع مدارس:

- المدارس النصرانية الرئيسية ـ الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذوكسية.
- المدرسة اليهودية.
- المدرسة الإلحادية العامَّة.
- المدرسة الإلحادية الشيوعية.[١]

وهناك ما يَتميَّز به المستشرقون اليهود، من حيث تركيزُهم على اللغات الساميّة، وسعيهم إلى إعادة اللغة العبرية، وإصرارهم على اعتماد الإسلام على اليهودية، وإقحامهم الإسرائيليات في التاريخ الإسلامي، وتوكيدهم على وضع اليهود في الجزيرة العربية بعد ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر على المستوى العربي عمومًا،[٢] بل على المستوى العالمي. وهذه كلها لا ترقى إلى أنْ يكون هناك مدرسة استشراقية يهودية، فلقد جرَّ المستشرقون اليهود غيرهم من الملحدين والنصارى إلى تبنِّي ما ذهبوا إليه، واتَّفق المستشرقون اليهود مع غيرهم من

---

(١) انظر: عبدالرحمن حسن حبنَّكة الميداني. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٢٤.

(٢) انظر: أنور الجندي. الإسلام في وجه التغريب.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٠٩ ـ ٣٢٨.

المستشرقين على مواقفهم من القرآن الكريم وسيرة الرسول ﷺ وسنَّته والشريعة والتاريخ الإسلامي والسِّيَرِ وغيرها، فلا تكاد تميِّز بينهم في مواقفهم هذه.

وانخرط المستشرقون «الآخرون» في النظرة المعاصرة للمنطقة، فأصبحتَ تجد صعوبة في التعرُّف على كُنْه المستشرق وهو يتحدَّث عن المنطقة، ولا تستطيع الحكم عليه باليهودية لمجرَّد حماسه لدولة إسرائيل. فلقد وُجد مستشرقون غير يهود تحمَّسوا لقيام دولة إسرائيل في فلسطين المحتلة أكثر من تحمُّس بعض المستشرقين اليهود لها، وذلك لانخراطهم في خدمة الصهيونية العالمية بشكل مباشر أو غير مباشر. بمعنى أنه ليس بالضرورة أنَّ كلَّ مستشرق ذي خلفية يهودية يتَّفق مع ما يدور في فلسطين المحتلَّة سياسيًّا واجتماعيًّا وفكريًّا. على أنَّ هناك من المستشرقين اليهود من لم يكن متحمِّسًا لقيام دولة إسرائيل في فلسطين المحتلَّة ابتداءً. ولعلَّ هذه النظرية تحتاج إلى متابعة بالبرهان والمثال.

هذا مع التشكيك جملة وتفصيلاً في أنَّ الاستشراق عمومًا قد وصل إلى مستوى أنْ يقسَّم إلى مدارس، لما لمصطلح مدرسة من عمق في التفكير وجديد في الإضافة والتميُّز الملحوظ، الأمر الذي لم يتحقَّق بوضوح في مسألة الاستشراق في نظر بعض من يريدون التهوين من الاستشراق، إلى درجة أنه لا يصل إلى أنْ يُسمَّىٰ عِلْماً له أصوله ومناهجه ونظرياته التي

ينطلق منها، بل ربَّما صحَّ أنه ظاهرة مثله في هذا مثل التنصير والاحتلال،[1] من دون إغفال أنَّ التنصير أضحى علمًا يدرَّس في المدارس اللاهوتية والكلِّيات والجامعات المتخصِّصة. وهذه وجهة ربَّما وجدت من التوسُّع مايبرِّرها ويؤيِّدها.

وما كان التركيز في هذه الجولة إلا على التوكيد على أنَّ الاستشراق ـ دون التعميم ـ قد خدم اليهودية والصهيونية، وأنَّ هناك علاقة بين الاستشراق واليهودية بدت واضحة من خلال المستشرقين عموماً، بغضِّ النظر عن خلفياتهم التي انطلقوا منها.

---

(١) سبقت الإشارة إلى شيء من هذا في الفصل الأول من هذا الباب عند الحديث عن العلاقة بين الاستشراق والاحتلال.

الفصل الرابع

الاستشراق والمستشرقون والإحيائيــة الإسلاميـــة

التمهيد:

مفهوم الأصولية:

من أبرز ما طغى على التوجُّه الجديد للاستشراق الذي غلب عليه الاهتمام بالحاضر الإسلامي، اهتمامه بما يمرُّ على العالم الإسلامي من تحوّلات اصطلحنا على تسميتها بالصحوة أو الإحيائية الإسلامية، واصطلح غير المسلمين من شرقيين وغربيين، ومن سياسيّين ومستشرقين ومفكِّرين ومثقَّفين وإعلاميين ومتابعين من المهتمِّين بالمنطقة العربية الإسلامية، على تسميتها بالأصولية، بالمفهوم الغربي للأصولية، لا المفهوم الإسلامي لهذا المصطلح.[1] ولهذا المفهوم دلالاته النصِّية في

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. إشكالية المصطلح في الفكر العربي المعاصر.ـ مرجع سابق.ـ ص ٧٠ ـ ٧٥.

كلٍّ من الثقافتين. ولعلَّ أبرز ما في هاتين الدلالتين أنها مفهوم سلبي في الثقافة الغربية، وهي في الوقت ذاته لها مفهوم إيجابي في الثقافة الإسلامية.(١)

ولم يكن هذا التوجُّه مقصورًا على المسلمين، بل إنه عمَّ الأديان السماوية الباقية.(٢) ولم تخلُ منه بعض الملل والنحل الأخرى.(٣) يقول مراد هوفمان: «على أنَّ المصطلح الغربي (الأصولية، وهو بالألمانية: Fundamentalismus، وبالإنجليزية Fundamentalism) ليس له مطابق في العربية، لأنه مصطلح منحوت من أصل غربي، لكي يطلق على ظاهرة غربية معيَّنة: وبمعنى أدقَّ، فإنَّ هذا المصطلح الأصولية ـ أدبيًّا ـ استُعمل أوَّل الأمر لتمييز الأمريكيين البروتستانت في القرن التاسع عشر الذين أكَّدوا على عصمة الإنجيل، وبخاصّة في قصة الخلق، حيث رفضوا النظرية الفجَّة التي تطوَّرت عن نظرية داروين في النشوء والارتقاء».(٤)

---

(١) اختلفت المصطلحات التي تحدثت عن الصحوة الإسلامية، وراوحت بين المصطلحات الآتية: (Fundemetalism) (resurgence) (reviavalism) (awakening)، وإنْ اختلف النقاش حولها.

(٢) انظر: ديفيد لانداو. الأصولية اليهودية: العقيدة والقوة/ ترجمة مجدى عبدالكريم.ـ القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.ـ ص ٤١٦.

(٣) انظر: جيل كيبل: يوم الله: الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث/ ترجمة نصير مروّة.ـ ليما صول (قبرص): دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث.ـ ص ٢٢٢.

(٤) انظر: مراد هوفمان. الإسلام كبديل/ تعريب غريب محمد غريب.ـ الكويت: مجلَّة النور الكويتية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.ـ ص ١٠٧.

ولا يختلف تعريف برنارد لويس للأصولية عن هذا المفهوم، إلا أنه ـ بعد أنْ يقارن بين المفهومين السلبي الغربي والإيجابي الإسلامي ـ يسعى إلى إضفاء السلبية على المفهوم الإسلامي، بعد تردُّدٍ واضحٍ، جاعلاً الأصولية مصطلحًا ينطبق على عدد من الجماعات المتطرِّفة «الراديكالية» والعسكرية. ويرى استقرار المصطلح، ووجوب تبنِّيه واستخدامه، رغم اللبس الذي يكتنفه، ومن ذلك زعمه أنَّ الأصوليين «لا هدف لهم إلا إلغاء كلِّ مجموعات القوانين والمبادئ الاجتماعية المستوردة والعصرية، وإحلال التطبيق الكامل لعظمة الشريعة محلَّها بقواعدها وحدودها وفقهها وكتاباتها عن الحكم»،[1] مما جعل جون إسبوزيتو ينتقده في هذا التوجُّه، ويتَّهمه بأنه يصوِّر تلك القوالب البسيطة والفجّة التي تصوِّر الإسلام بأنه ضدَّ الغرب، وأنه صراع الإسلام مع التقدُّم، أو الغضبة الإسلامية، والتطرُّف والتشدُّد والإرهاب.

ومن خلال عرض إسهامات برنارد لويس تظهر اتِّهامات صريحة وقوية وتحليلية للصحوة الإسلامية (الأصولية) وموقفها من الغرب، وقف معها مازن بن صلاح مطبَّقاني وقفة طويلة.[2]

---

(١) انظر: برنارد لويس. لغة السياسة في الإسلام/ ترجمة إبراهيم شتا.ـ قبرص: دار قرطبة، ١٩٩٣م.، .ـ ص ١٢، وهو في الأصل:

Bernard Lewis. The Political Language of Islam. Chicago: the University of Chicago Press, 1988. P117 - 118 P.

(٢) انظر: مازن بن صلاح مطبَّقاني. الاستشراق والاتِّجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥٣١.

ولعل هذه الاتِّهامات هي التي حدت ببعض مفكِّري الغرب إلى إثارة الصدام بين الغرب والإسلام، وعدم إمكان التلاقي الفكري بينهما، بل إنَّ الصراع سيمتدُّ في مواجهات قادمة. ومع هذا فإنَّ جمعًا من المستشرقين يرفض مصطلح إطلاق الأصولية على الإحيائية أو الصحوة، لما يدركه من مفهوم غربي للأصولية.(١)

وهذا هو المستشرق الفرنسي المشهور جاك بيرك يعلن هذا الرفض بقوله: «أنا أرفض تعبير الأصولية؛ لأنه آتٍ من النزاعات داخل الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية. هناك مسلمون (العامَّة)، وهناك الإسلاميون، الذين يشدِّدون على قدرة الإسلام على إيجاد حلول مناسبة لمشكلات الحياة اليومية، وقدرته على بناء دولة ومؤسَّسات. وهؤلاء لا يقفون عند الطبيعة الدينية للإسلام فقط. هذه أطروحة من نسمِّيهم الإسلاميين، إنها حركات تسعى إلى تقريب العالم العربي من منابعه، ولديهم خطابات تجعلهم مختلفين بعضهم عن بعض، لكنهم يلتقون في الدعوة إلى الرجوع إلى الأصول، وبخاصَّة القرآن، ويدعون إلى إعادة

---

(١) انظر: صمويل بي. هانتينجتون. الإسلام والغرب: آفاق الصدام/ ترجمة مجدي شرشر.ـ القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.ـ ص ٢٦.
ويتَّكئ المؤلِّف على أطروحات برنارد لويس في هذا التوجُّه. وينقل عنه في مقالة له بعنوان:

The Roots of Muslim Rage -. Atlantic Monthly -. vo. 266 (9 - 12 - 1990) -. p 60.

تأصيل القرآن باعتباره قادرًا على تقديم الحلول للمشكلات التي يطرحها العالم المعاصر، يطرحون ذلك في مواجهة المجتمعات التي وضعت نفسها منذ مئة سنة في مدرسة الغرب، ولم تحقِّق النجاحات المطلوبة».[1] ويتَّفق مع جاك بيرك في رفض إطلاق مصطلح الأصولية، المقحم بقوَّة «القصف الإعلامي» على الصحوة عددٌ من المستشرقين من أمثال المستشرق الأمريكي روجر أوين، والمستشرقة الإسبانية كارمن رويث، والمستشرق الروسي فيتالي ناعومكين والمستشرق الإنجليزي روبن أوستل.[2]

الأصولية:

والأصولية بالمفهوم الإيجابي هي ما يمكن أنْ يعبَّر عنه بالتوجُّه نحو التديُّن، بالرجوع إلى أصل الدين من الكتاب والسنَّة، ونبذ ما سواه من الشركيات والبدع والخرافات والشعوذة، التي طغت على عدد من المجتمعات الإسلامية، ومن ثَمَّ تطبيق هذا المفهوم على جميع مناحي الحياة.[3] وهي

(١) انظر: محمَّد عمارة. الأصولية بين الغرب والإسلام.ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.ـ ص ١٥.

(٢) انظر: محمَّد عمارة. الأصولية بين الغرب والإسلام.ـ المرجع السابق.ـ ص ١٦ ـ ١٧.

(٣) انظر: عجيل النشمي. صحوة التديُّن والواقع المعاصر.ـ ط ٣.ـ دبي: جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي، د. ت.ـ ص ٦.

بهذا المفهوم تعود إلى القرن الثاني عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي عندما انطلقت حركات الإصلاح، مثل حركة الشيخ محمَّد بن عبدالوهاب التجديدية، والحركة السنوسية، والمهدية، وحركة عثمان بن فودي، وغيرها.[١]

وقد خضعت هذه الحركات الإصلاحية للدراسة والبحث من المستشرقين، على أنها حركات أصولية،[٢] ومن المسلمين على أنها حركات إصلاحية، ولا تقع هذه الحركات الإصلاحية في الحدود الزمانية لهذه الدراسة.

ولا بدَّ من الاعتراف بأنَّ الصحوة قد مرّت، ولا تزال تمرُّ، بتحوُّلات متوقَّعة في ظلِّ ضعف التوجيه والإرشاد، في كثير من الأحوال، وليس فيها كلها.[٣] وفي ظلِّ الغياب الجزئي للفقه في الدين.[٤] إذ إنَّ التوجه إلى الدين لا يستقيم من دون العلم

---

(١) انظر: يفان هيربيك. الانبعاث الإسلامي المعاصر من منظار تاريخي: أفكار حول الأزمة والنهوض في الإسلام.ـ ص ١٢٣ ـ ١٣٤.ـ في: الاستشراق والإسلام/ ترجمة وإعداد فالح عبد الجبّار.ـ دمشق: دار المدى، ٢٠٠٦م.ـ ١٦٧ص.

(٢) انظر: Malise Ruthven. Islam in the World.-Middliesex: Penguin Books, 1984 -. 400 p.

(٣) انظر: ناصر بن عبدالكريم العقل. من قضايا الصحوة: حاجة الصحوة إلي الفقه في الدين، العلماء هم الدعاة، وظواهر وسمات يجب تجنُّبها.ـ الرياض: دار المسلم، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٤) انظر: ناصر بن عبدالكريم العقل. من قضايا الصحوة.ـ المرجع السابق.

بالدين على اعتبار أنَّ هذا الدين علمٌ، ولا يكفي له الحماس والعواطف الجياشة التي قد تضرُّ ولا تنفع، ويمكن أنْ يقال إنَّ بعض المظاهر التي صحبت مسيرة الصحوة أوجدت مجالاً رحبًا للدراسة والتحليل، وذلك حينما عمد بعض شباب الصحوة إلى التميُّز في المظهر والسلوك تميُّزًا قد يكون مقصودًا لدى فئة قليلة منهم لشدِّ الانتباه وتسجيل المواقف وفرض نمط من الشكل والسلوك على المجتمع المسلم بعامته، ويسمَّى عند علماء الشريعة بالشهرة، وهو سلوك غير محمود إذا كان المراد منه ذلك. وهذا ما جعل بعض المستشرقين ينظر إلى المظهر على أنه دليل حيٌّ على وسم هذه الصحوة بالغلوِّ الذي تعارف الإعلاميون على تسميته بالتطرُّف.[1]

يقول الأمير تشارلز، ولي عهد بريطانيا: «علينا في الوقت نفسه أنْ لا ننساق وراء الاعتقاد بأن التطرُّف هو سمة المسلم وجوهره؛ فالتطرُّف ليس حكرًا على الإسلام، بل ينسحب على ديانات أخرى بما فيها الديانة المسيحية. والغالبية العظمى من المسلمين يتَّسمون بالاعتدال من الناحية السياسية، وإنْ كانوا شخصيا أتقياء، ودينهم هو دين «الاعتدال»، والنبي محمَّد ﷺ نفسه كان يمقت التطرُّف دائمًا ويخشاه. ولعل الخوف من الصحوة الإسلامية الذي ميَّز الثمانينات أخذ يتحوَّل الآن في

---

(١) انظر: مجدي محمَّد فتح الباب. موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية.ـ القاهرة: دار الروضة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.ـ ص ٥٠ ـ ٦٨.

الغرب إلى تفهُّم للقوى الروحية الحقيقية الكامنة وراء هذا المدِّ، ولكن إذا كان لنا أنْ نفهم هذه الحركة الهامَّة علينا أنْ نتعلّم التمييز بشكل واضح بين ما تؤمن به الغالبية العظمى من المسلمين وبين أعمال العنف المروِّعة التي تقوم بها أقلية صغيرة بينهم، والتي يتعيَّن على الناس المتحضِّرين في كل مكان أنْ يدينوها».[1]

وعلى أيِّ حال فالحديث هنا ليس عن الصحوة وتقويمها، والبحث فيها من نواحيها المختلفة.[2] وليست هذه الوقفة تنبري للدفاع عن الإحيائية الإسلامية في وجه الهجوم عليها من مستشرقين وعرب، فمن العرب من لم يرحِّب بالإحيائية الإسلامية، وعدّها شكلاً من أشكال التعصُّب والرجعية واجترار الماضي (الماضوية)، وأنها شكل من أشكال الظلامية والتخلُّف عن ركب الحضارة، وعائقًا من عوائق الانطلاق نحو المستقبل، بما يحمله من تقارُب بين الأمم والثقافات (العولمة)،[3] بل لقد قيل إنها صناعة

---

(١) انظر: الإسلام والغرب. محاضرة صاحب السمو الملكي الأمير تشارلز.ـ أكسفورد: مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، ١٩٩٣م.ـ ص ١٧.

(٢) انظر: عدنان علي رضا النحوي. الصحوة الإسلامية إلي أين؟.ـ ط ٢.ـ الرياض: دار النحوي، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.ـ ص ٢٤٦.

(٣) انظر مثلاً: فؤاد زكريا. الصحوة الإسلامية في ميزان العقل.ـ القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.ـ ٢٠٨ ص. وانظر كذلك: محمَّد الشرفي. الإسلام والحرية: الالتباس التاريخي.ـ ط ٢.ـ تونس: دار الجنوب للنشر، ٢٠٠٢م.ـ ص ٢٣ ـ ٥٠.ـ (بعنوان: الأصولية الإسلامية).

استخبارية أمريكية استُغلَّت لوقف الزحف الشيوعي على مناطق النفط.[١]

وقد انبرى للرَّدِّ على أولئك المستشرقين وهؤلاء العرب المعترضين على الانبعاث الإسلامي التلقائي، على اعتبار أنه حلقة في سلسلة العودة إلى الفضيلة الموجودة في الأديان، والخروج من الفراغ الروحي الذي طغى على جيل بكامله، انبرى لذلك أئمة الأمَّـة ومفكِّروها،[٢] وعلماؤها،[٣] سواء أكانت الردود باللغـة العربية أم باللغـات الأخرى.[٤]

سوف ينصبُّ التركيز على نظرة المستشرقين إلى هذه الإحيائية،[٥] ودراستهم لها دراساتٍ أضحت مصدرًا من مصادر

---

(١) انظر: بشارة منسّى. العروبة والأصولية الدينية.ـ بيروت: رياض الريِّس، ٢٠٠٧م.ـ ص ٢٥ ـ ٣٩.

(٢) انظر: يوسف القرضاوي. الصحوة بين الجحود والتطرُّف.ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٢هـ.ـ (سلسلة كتاب الأمَّة؛ ٢). وانظر له أيضًا: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرُّق المذموم: دراسة في فقه الاختلاف في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية.ـ ط ٢.ـ القاهرة: دار الصحوة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.ـ ص ٢٦٧.

(٣) انظر: محمَّد عمارة. الصحوة الإسلامية والتحدِّي الحضاري.ـ القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٥م.ـ ١٨٤ص.

(٤) انظر: Karam Akhtar and Ahmad H. Sakr. Islamic) Fundamentalism -. n. p.: the Authors, 1982 -. 151 p. and Shamim A. Siddiqi. the Revival of the Muslim Ummah -. Flushing, NY: the Forum for Islamic Work, 1996 -. 100 p

(٥) انظر: رضوان السيِّد. الصراع على الإسلام: الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.ـ ص ٢٦١.

المعلومات عن العالم الإسلامي المعاصر، يعتمد عليها بعض المفكِّرين العرب والمسلمين أنفسهم في تحديد موقف فكري وسياسي من «حركة» الصحوة هذه، بشيء من التأثُّر الواضح في هذا الاعتماد، مما يؤخذ على أنه شكلٌ من أشكال التبعية الفكرية للاستشراق، وبالتالي للغرب.(١)

دراسة الإحيائية:

ولا بدَّ من الاعتراف بأن الإحيائية الإسلامية، بغضِّ النظر عن ضوابطها وتوجُّهاتها، قد استرعت الانتباه الجادَّ لدى كل من يهتمُّ بهذه المجتمعات التي برزت فيها بوادر هذا الانبعاث، ذلك أنها أحدثت تغيُّرًا واضحًا في هذه المجتمعات، يدرسه علماء الاجتماع دراسة متأنِّية في مجال واسع من علم الاجتماع هو «التغيُّر الاجتماعي»، ويدرسون دوافع هذا التغيُّر ومظاهره.(٢)

وكان لهذا التغيُّر آثاره على مختلف الصُّعُد، وعلى رأسها الصعيد السياسي ثم الاقتصادي، إذ إنَّ الإحيائية أو «الأصولية» بالتعبير الاستشراقي والغربي، تسعى إلى الاستقلالية السياسية عن الغرب بتطبيق السياسة الشرعية على المجتمعات المسلمة،

---

(١) انظر: أبو الحسن علي الحسني الندوي. المسلمون تجاه الحضارة الغربية.ـ جدَّة: دار المجتمع، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.ـ ص ٤٣ ـ ٤٦.

(٢) انظر: نورة بنت خالد السعد. التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي: دراسة في بناء النظرية الاجتماعية.ـ جدَّة: المؤلِّفة، ١٤١٨هـ.ـ ٣٢٠ ص.

بما في ذلك الدعوة القوية إلى تطبيق أحكام الشريعة في المجتمعات التي لا تطبَّق فيها الشريعة تطبيقاً شاملاً. كما تدعو إلى الاستقلالية الاقتصادية في مسألة إدارة الأموال إدارةً إسلاميةً بعيدة عن مظانِّ الربا والضيم. وتدعو إلى الاستقلالية في السلوك الاجتماعي في الملبس والمأكل والعادات التي تتَّفق والإسلام، ولا تتعارض معه على أقلِّ تقدير.

وتدعو كذلك إلى الاستقلالية في الفكر، بالعودة إلى أصول هذا الفكر المستمدِّ من القرآن الكريم والسنَّة النبوية الشريفة. وقد أثَّر هذا التوجُّه الفكري على مسيرة الاستشراق.(١) علمًا أنَّ المطالب للإحيائية تتَّفق في عمومها مع النمط الإنساني. ويبدو هذا واضحًا في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والتربوية.

ومن المهمِّ التنبُّه إلى أنَّ دراسة الإحيائية من قِبَل المستشرقين المهتمِّين بها قد تخضع للتوجُّه الإقليمي، بحيث يدرس المستشرق هذه الظاهرة في مجتمع صغير من المجتمع المسلم المعاصر الكبير، ثم يعمد إلى تعميم النتائج التي يخرج بها من دراسته الضيقة على الإسلام، وليس على المسلمين أنفسهم، ناهيك أنْ يعمِّم نتائجه على ذاك المجتمع الصغير الذي ركَّز عليه في دراسته. ومن ذلك، على سبيل المثال السريع،

---

(١) انظر: صحوة العالم الإسلامي ومواجهة الاستشراق والتنصير. ـ في: محمَّد حسن خليفة. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٢ ـ ٤٦.

قول ف. س ينبول: «إنَّ المبادئ الأساسية في الإسلام تفتقر إلى المضمون الفكري، ولذلك لا بد أنْ ينهار».[1] أي ينهار الإسلام. وعندما بحث إدوارد سعيد عن مبعث هذه العبارة القوية وجد أنَّ الكاتب يقصد حركة سياسية دينية قامت في منطقة من مناطق المسلمين، أي في إقليم بعينه.[2]

وقد تخضع دراسة المستشرق للإحيائية للتوجُّه الحزبي أو التنظيمي لفئة من المسلمين كوَّنت تنظيمًا، وأطلقت عليه اسمًا له مدلول إسلامي قوي، ولكنها ليست بالضرورة تتماشى في أفكارها تمامًا مع هذا المدلول القوي، بل ربما أساءت إليه، ومن ثَمَّ أساءت للإسلام، وأوجدت البيئة الصالحة للدراسات الاستشراقية التي ربما عمَّمت الحكم، أيضًا، على الإسلام، وليس على المسلمين فقط، بل وليس على هذه الفئة الحزبية القائمة في مجتمع مسلم صغير داخل المجتمع الإسلامي الكبير.[3] وغنيٌّ عن القول إنَّ الساحة الإسلامية تحفل اليوم

---

(١) انظر: برنارد لويس وإدوارد سعيد. الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية.ـ بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.ـ ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) انظر: برنارد لويس وإدوارد سعيد. الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية.ـ المرجع السابق.ـ ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) انظر: Ahmad bin Yousef and Ahmad AbulJobain. The Politics of) Islamic Resurgence Through Western Eyes -. A Bibliographic Survey -. Springfield: The United Association for Studies snd Research, Inc., 1992 -. p 178 - 187.

بهذه التسميات التي قد يكون وراءها من يسعون إلى الإساءة للإسلام بتسمية حركات متطرِّفةٍ تسميةً إسلاميةً.

ومما نعاني منه نحن المسلمين في تعاملنا مع الدراسات التي تُعنى بالعالم الإسلامي المعاصر أننا نتلقَّى دراسات عن هذه الفئات أو هذه الأقاليم وقد حملت أحكامًا على الإسلام نفسه، وليس على هذه الفئة أو تلك، أو هذا الإقليم أو ذاك فيُنظر إلى الإسلام من خلال هذه الزاوية الضيِّقة جدًا التي قد تكون مخطئة تمامًا في فهمها للإسلام، وبالتالي يتمُّ تقديمه للآخرين من غير المسلمين الفاهمين كالمستشرقين وبعض علماء الغرب ومفكِّريه وإعلامييه.

ومما يعاني منه المستشرقون وعلماء الغرب ومفكِّروه وإعلاميُّوه الذين يدرسون العالم الإسلامي المعاصر أنهم يقيمونه حجة على الإسلام، فيحكمون على الإسلام من خلال المسلمين، ولا يريدون أنْ يحكموا على المسلمين من خلال الإسلام. وهذا يعود إلى «الانطباعة» أنَّ الإسلام هو ما يطبَّق فعلاً، وليس الإسلام هو ما ينبغي أنْ يطبَّق. وفي هذا إخضاع للبيئة التي ينبغي أنْ يتطوّر الإسلام بموجبها، على ما يذهب إليه مورو بيرجر في كتابه «العالم العربي اليوم»[1].

(١) انظر: عابد بن محمَّد السفياني. المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسةً وتطبيقًا. ـ مكَّة المكرَّمة: مكتبة المنارة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ـ ص ٥٢.

قاعدة المعلومات:

واقع الحال أنَّ هذا التوجُّه نحو التديُّن، أيّ الصحوة، قد استرعى اهتمام أوساط كثيرة جدًا، لا يمثل الاستشراق إلا جزئية منها، ولكنها تلك الجزئية المؤثِّرة على الكل، فالسياسيون والاقتصاديون، وعلماء الاجتماع والمفكِّرون والإعلاميون الذين يبحثون عن مصالحهم في المناطق الإسلامية، إنما يعتمدون على معلومات تُستقى من الاستشراق، بحيث يمكن للمتابع أنْ يعُدَّ الاستشراق مصدرَ هذه المعلومات الأوَّل.

وبغضِّ النظر عن الشكل، أو الوعاء، الذي تُستقى منه المعلومات، سواء أكانت تقاريرَ موجّهةً أم مقالاتٍ في دورياتٍ علمية، أم دراساتٍ في ندوات أو مؤتمرات، أم أنها صدرت على شكل كتب، التي بدت كثيرة رائجة في الآونة الأخيرة، أم بالاستشارة المباشرة من مستشرقين بأعيانهم أو من مراكز الدراسات العربية والإسلامية، أو مراكز دراسات الشرق الأوسط المنتشرة في الأكاديميات الغربية والشرقية،[1] فإنَّ هذا كله يصبُّ في إسهامات المستشرقين في دراسة هذا التوجُّه، حتى

---

(١) لم يعد مصطلح «الاستشراق» مقصورًا علي الجهة الغربية من الشرق «الإسلامي»، بل امتدَّ المصطلح إلى كل الجهات، بما فيها الشرق الإسلامي، إذ وجد فيه من يكتبون عن الإسلام والمسلمين من غير المسلمين. انظر في هذا: علي بن إبراهيم النملة. مصادر المستشرقين ومصدريتهم.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥٥ ـ ٥٩.

أضحى الاستشراق «قاعدة المعلومات» التي يتَّكئ عليها «صنَّاع القرار» في الدول الغربية.

ولعل هذا ما حدا بالرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون إلى القول عن الإحيائية وعن أصحابها: «إنهم هم الذين يحرِّكهم حقدهم الشديد ضدَّ الغرب، وهم مصمِّمون على استرجاع الحضارة السابقة عن طريق بعث الماضي، ويهدُفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وينادون بأنَّ الإسلام دينٌ ودولة. على الرغم من أنهم ينظرون إلى الماضي، فإنهم يتَّخذون منه هدايةً للمستقبل، فهم ليسوا محافظين، ولكنهم ثوّار»[(١)].

وينقل محمَّد عبدالله الشرقاوي عن مصطفى هدَّارة قوله: «لقد تطوَّرت المخابرات الغربية تطوُّرًا هائلاً في السنوات الأخيرة، وأصبحت بحاجة لمعلومات قد تبدو تافهة في نظر الآخرين، لكنها تستطيع أنْ تؤلِّف منها معلومات على قَدْرٍ كبير من الخطر والأهمية. ولا شكَّ أنَّ وجود مستشرقين متخصِّصين في العربية وآدابها، ومعظمهم يأتي للبلاد العربية، ويقيم فيها مددًا طويلة، يجمعون قدْرًا كبيرًا من المعلومات التي تفيد مؤسَّسات الاستخبار في بلادهم، وإنْ لم يكونوا كما كان أسلافهم من المستشرقين القدماء مرتبطين ارتباطًا كلِّيا بأجهزة

---

(١) انظر: ريتشارد نيكسون. الفرصة السانحة/ ترجمة أحمد صدقي مراد.- القاهرة:...، ١٩٩٢م.- ص ١٤٠ ـ ١٤١.

المخابرات، أو متوجِّهين للدراسات العربية من أجل تحقيق هذا الهدف». [(١)] وقد كان هذا واضحًا في اتِّهام مؤسَّسات الاستشراق المعاصر بارتباطها ببعض أجهزة المخابرات في العالم.

ويؤيِّد أحمد عبدالحميد غراب هذا صراحة بقوله: «وتتعاون المخابرات الغربية بوجه عامٍّ، والمخابرات الأمريكية بوجه خاصٍّ، تعاوُنًا وثيقًا، مع مراكز الدراسات الاستشراقية، وبخاصَّة مراكز دراسات الشرق الأوسط في الغرب، ولا سيَّما فيما يتعلَّق بالصحوة الإسلامية وتطوراتها»[(٢)].

ويؤيِّدهما إدوارد سعيد بقوله: «إنَّ للولايات المتَّحدة توظيفاتٍ هائلةً حالياً في الشرق الأوسط تفوق في حجمها ما هو قائم في أيَّة بقعة أخرى على وجه الأرض، مع ذلك نجد أنَّ الخبراء في شؤون الشرق الأوسط الذين يقدِّمون المشورة إلى صانعي السياسة مشْبَعين، واحدًا واحدًا، بالاستشراق، لذلك يظلُّ الجزء الأعظم من هذه التوظيفات مبنياً على الرمال، لأنَّ الخبراء يقدِّمون توجيهاتهم لصنع السياسة استنادًا إلى تجريدات رائجة، مثل النخب السياسية والتحديث والاستقرار التي لا

---

(١) انظر: محمَّد عبدالله الشرقاوي. في الفكر الإسلامي المعاصر: الاستشراق، دراسات تحليلية وتقويمية.ـ [القاهرة]: دار الفكر العربي، [١٩٩٣م].ـ ص ١٨٦.

(٢) انظر: أحمد عبدالحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق.ـ ط ٢.ـ لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ.ـ ص ١٤٤.

تتعدَّى ـ في معظمها ـ كونها القوالب الاستشراقية القديمة مطروحةً بلباس مصطلحات علم السياسة. وقد برهنت معظم هذه المصطلحات على عجزها الكامل عن وصف ما جرى مؤخَّرًا في لبنان أو ما جرى قبله على صعيد المقاومة الشعبية لإسرائيل». [1]

نماذج من الكتابات:

لا تقصد هذه الوقفة في هذا الفصل تقصِّي ما كُتب عن الإحيائية الإسلامية من قبل المستشرقين، فإنَّ هذا من الأمور المتعذِّرة في زمان «تفجُّر المعلومات»، كما أنها لا تسعى إلى استعراض ما قيل حول الإحيائية استعراضًا حصرياً، ولكنها تسعى إلى الوقوف على نظرة هذه الفئة من الدارسين المؤثِّرين من المستشرقيَن، من خلال نماذج فقط مما كُتب حول الموضوع، إلى هذه الظاهرة القوية التي فرضت نفسها على الإنتاج العلمي الغربي، أكثر مما فرضت نفسها على الإنتاج العلمي العربي، إذ إنَّ الغرب قد حسب حسابًا للحركات

---

(١) انظر: Edward W. Said. Orientalism .- middleesex, England: Penguin, 1978 - p. 321 والترجمة العربية منقولة من: صادق جلال العظم. ذهنية التحريم: سلمان رشدي وحقيقة الأدب.ـ لندن: رياض الريس، ١٩٩٢م.ـ ص ٤٨. وانظر الترجمة بصيغة أخرى لدى كمال أبو ديب.ـ ص ٣١٨، وانظر إليها بصيغة ثالثة لدى محمد عناني.ـ ص ٤٨٧ ـ ٤٨٨.

الإسلامية «الأصولية» من منطلق قدرة هذه الحركات على التأثير على مستويات مختلفة داخلياً وخارجياً.

ومن أبرز من درس ظاهرة الصحوة من المستشرقين المستشرق الأمريكي الجنسية الأرمني الأصل الحلبي الجذور ريتشارد هرير دكمجيان الذي كتب كتابًا عن الأصولية في العالم العربي، وكان هذا الكتاب تقريرًا وضعه المؤلِّف لحكومة الولايات المتَّحدة الأمريكية، كما يشير إلى ذلك المؤلِّف نفسه في مقدِّمته للكتاب.(١) ثم طوَّره إلى كتاب نشره باللغة الإنجليزية،(٢) ويذكر مقدِّم الترجمة العربية للكتاب أنَّ «معظم ما يُكتب عن الإسلام والمسلمين، خصوصاً عن الصحوة الحاضرة، ليس من باب البحث العلمي النزيه ـ مهما ادَّعوا له ذلك ـ وإنما هو عمل مخطَّط توجِّهه وتدعمه الحكومات والشركات والمؤسَّسات طبقًا لمصالحها، وكثير من الباحثين مجنَّدون لتحقيق نفس الغايات التي تجنَّد لها الجيوش، وإنْ كان سلاح العلماء أفتك بأمَّتنا من أسلحة العسكريين».(٣) وقد مسحت هذه الدراسة إحدى وتسعين جمعية وجماعة.

---

(١) انظر: ريتشارد هرير دكمجيان. الأصولية في العالم العربي.ـ ط ٣/ ترجمة عبدالوارث سعيد.ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.ـ ص ١٣.

(٢) جاء عنوان الكتاب باللغة الإنجليزية على النحو الآتي:

Islam in Revolution: Fundamentalism in the Arab World-. Syracuse: Syracuse University Press, 1985.

(٣) انظر: ريتشارد هرير دكمجيان. الأصولية في العالم العربي.ـ المرجع السابق.ـ ص ١١.

ويكتب برنارد لويس وإدوارد سعيد عن الإسلام الأُصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، وهو عبارة عن أربع مقالات؛ الأولى منها للمؤلف الأول برنارد لويس والباقية، وهي ثلاث مقالات، للمؤلف المشارك إدوارد سعيد.[1]

وللمؤلِّف الأوَّل برنارد لويس إسهامات متعدِّدة في الصحوة والإحيائية والأصولية الإسلامية، وقف معها مازن بن صلاح المطبَّقاني وقفات نقدية تحليلية في رسالته للدكتوراه ـ كما مرَّ ذكره ـ.[2] وستستفيد هذه الوقفة من هذا الجهد المتميز، إذ يُعدُّ هذا المستشرق برنارد لويس مؤرِّخًا مختصًّا في التاريخ الإسلامي، وخبيرًا في شؤون العالم الإسلامي والشرق الأوسط، ويُذكر أنَّ كتاباته تصل إلى أعلى المستويات لدى مصادر صنع القرار السياسي في الغرب.[3]

ويحرِّر جيمس بيسكاتوري كتابًا عن الحركات الأصولية الإسلامية وأزمة الخليج.[4] وهو مجموعة من المقالات

---

(١) انظر: برنارد لويس وإدوارد سعيد. الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٣١.

(٢) انظر: مازن بن صلاح مطبَّقاني. الاستشراق والاتِّجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥٤٤.

(٣) انظر: مازن بن صلاح مطبَّقاني. الاستشراق والاتِّجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي.ـ المرجع السابق.ـ ص ٥٢٨.

(٤) انظر: James Piscatori. Islamic Fundamentalisms and the Gulf Crisis -. Chicago: the American Academy of Arts and Sciences, 1991 -. 267 p.

المكتوبة من جمعٍ من الكتّاب، كتب المحرِّر الفصل الأوَّل منها وترجمها أحمد مبارك البغدادي، وهو أحد الذين كتبوا عن الإحيائية بخاصة، وعن الإسلام بعامة، كتاباتٍ لا يظهر منها التعاطُف مع الصحوة، ويظهر ذلك واضحًا من خلال التعليقات الاستفزازية التهكُّمية للمترجم في الهوامش.[1]

وعلى أيِّ حال فهذا الفصل الأوَّل في الكتاب لا يعبِّر عن الرأي الاستشراقي نحو الصحوة أو الأصولية، وأقرب ما يكون إلى الوقفات الصحفية السريعة التي يمكن أنْ تُنسب إلى علماء الغرب، بالإضافة إلى بعض المسهمين العرب، مما يؤكِّد أنه ليس كلُّ من كتب عن الشرق من الغربيين أضحى مستشرقًا.

وكتب جيل كيبل عن الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث، في كتاب تحت عنوان يوم الله: الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث.[2]

كما سعى أحمد بن يوسف وأحمد أبو الجبين إلى رصد ما كُتب عن الأصولية في العالم العربي والإسلامي رصدًا وراقياً،

---

(١) انظر: جيمس بيسكاتوري، محرِّر. الحركات الأصولية الإسلامية وأزمة الخليج/ تعريب أحمد مبارك البغدادي.ـ الكويت: مؤسَّسة الشراع العربي، ١٩٩٢م.ـ ص ٤٠٨.

(٢) انظر: جيل كيبل. يوم الله: الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث.ـ مرجع سابق.

(ببليوجرافيا)، وخرجا بجملة من الأبحاث التي تعين على إعداد دراسةٍ علميةٍ متوسِّعةٍ عن موقف المستشرقين من الإحيائية، رغم أنهما أدخلا في هذا الحصر جملة من الكتَّاب المسلمين، وعددًا من المستشرقين المنصفين.(١)

وكتب المستشرق الأمريكي ريتشارد ميتشل الأستاذ بجامعة ميتشجان في آن آربر، أطروحته للدكتوراه عن الإخوان المسلمين من جامعة برنستون بالولايات المتَّحدة الأمريكية، ونشرها في كتاب بمعاونة من مؤسَّسة روكفلر بالإضافة إلي مؤسَّستي فورد وفولبرايت، وتُرجم الكتاب إلى اللغة العربية مرَّتين.(٢)

ويذكر محمَّد أركون، أو عركون، (توفِّي سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، وهو ليس مستشرقًا بحال، ولكنه متأثِّر جدًّا بالفكر الاستشراقي، أو بالفكر الغربي، وإنْ لم يتعاطف مع الاستشراق دائمًا، أنَّ «الخطاب الإسلامي الشائع حالياً قد زاد من حدَّة الصرامة العقائدية الجامدة للتصوُّرات القديمة الموروثة عن الإسلام، أقصد الإسلام «الصالح لكل زمان ومكان»، والذي

---

(١) انظر: Ahmad bin Yousef and Ahmad AbulJobain. The Politics of Islamic Resurgence Through Western Eyes -. A Bibliographic Survey. -op. cit.

(٢) انظر: ريتشارد ب. ميتشل. الإخوان المسلمون/ ترجمة محمود أبو السعود، تعليق صالح أبو رقيق.- د.م.: د. ن، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.- ٥١٢ ص.

يستعصي على التاريخ؛ لأنه فوق الزمن والواقع والتاريخ، أقصد الإسلام الذي أصبح مجرَّد طقوس عبادية واقعة تحت ضغط المراقبة الاجتماعية المتشدِّدة أكثر فأكثر. هذا هو كلُّ الإسلام في نظرهم، وأما البعد الفكري والبعد الروحي والبعد الحضاري للإسلام فهو شبه غائب، وعلى أيِّ حال فهو آخر ما يفكِّرون فيه». [1]

ويضيف محمَّد أركون القول: «وللأسف فإنَّ الاستشراق الكلاسيكي والأدبيات السياسيوية المتسرِّعة المنتشرة حالياً في الغرب عن الإسلام والحركات الإسلامية تزيد من انتشار هذه الصورة عن الإسلام المجرَّد الذي يقف فوق الزمن والتاريخ، الإسلام الأُقنومي الذي لا يتأثَّر بشيء ويؤثِّر على كل شيء، بل إنَّ الأدبيات الاستشراقية تضفي ثقلها العلمي على هذا التصوُّر السكوني الجامد عن الإسلام والمسلمين ماضياً وحاضرًا». [2]

وسعى المستشرق الأمريكي ناداف سفران، رئيس مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد بالولايات المتَّحدة

(١) انظر: محمَّد أركون. الإسلام، أوروبا، الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة/ ترجمة وإسهام هاشم صالح.ـ بيروت: دار الساقي، ١٩٩٥م.ـ ص ١٣.

(٢) انظر: محمَّد أركون. الإسلام، أوروبا، الغرب.ـ المرجع السابق.ـ ص ١٣.

الأمريكيـة، إلى عقد مؤتمر عن الإحيائية الإسلامية الأصولية بدعم من وكالة المخابرات الأمريكية، وصل إلى خمسة وأربعين ألف (٤٥,٠٠٠) دولار.[١] وعندما علم بعض المسلمين المدعوِّين لهذا المؤتمر بهذا الارتباط اعتذروا عن عدم حضوره وعدم الإسهام فيه.

وكتب المستشرق الكندي ولفرد كانتول سميث كتابًا عن الإسلام في التاريخ الحديث Islam in Modern History، نشرته جامعة برنستون بالولايات المتَّحدة الأمريكية، وأسهمت مؤسَّسة روكفلر في نشره.[٢] كما أنَّ هذه المؤسَّسة هي التي موَّلت رحلات المؤلِّف في البلاد العربية والإسلامية.[٣]

وكتب فرانسوا بورجا عن الإسلام السياسي، ركَّز فيه على الحركات الإسلامية في شمال أفريقيا.[٤] وكانت كتابات أوليفيه

---

(١) انظر: أحمد عبدالحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٤٤.

(٢) انظر: عابد بن محمَّد السفياني. المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسةً وتطبيقًا.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٦ ـ ٥١.

(٣) انظر عرضًا نقديا مطوّلاً عند: محمَّد محمَّد حسين. الإسلام والحضارة الغربية.ـ ط ٥.ـ بيروت: مؤسَّسة الرسالة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.ـ ص ١٤٧ ـ ١٦٩.

(٤) انظر: فرانسوا بورجا. الإسلام السياسي: صوت الجنوب: قراءة جديدة للحركة الإسلامية في شمال أفريقيا/ ترجمة لورين فوزي زكري، مراجعة وتقديم نصر حامد أبو زيد.ـ [الدار البيضاء]: تانسيفت ـ دار العالم الثالث، ١٩٩٤م.ـ ص ٣٩٥.

روا عن الإسلام السياسي أكثر شمولاً للواقع الإسلامي المعاصر، فقد استعرض الوضع الإسلامي من شرق بلاد المسلمين إلى غربها من وجهة نظر استشراقية إعلامية مختلطة.[1]

وكتب دانيال بايبس (مولود سنة ١٩٤٩) عن الإسلام والسلطة السياسية. ولم يكن هذا الكتاب في خدمة المعرفة، بل في خدمة الغرب، يساعد المؤلِّف في تعريف مصالحها، يقول إدوارد سعيد عن الكاتب والكتاب: «كتاب بايبس يشهد على مرونة الاستشراق الفريدة، وعلى عزلته عن التطوُّرات الفكرية في جميع الميادين الأخرى من الثقافة، وعلى غطرسته العتيقة البائدة، سيَّما حين يتَّصل الأمر بتلك الطروحات الجازمة القاطعة التي لا تضع سوى اعتبار طفيف للمنطق والحجَّة، وأشكُّ في أنْ يتحدَّث اليوم عن اليهودية أو المسيحية بمثل ذلك المزيج من السطوة والتحلُّل الذي يسمح بايبس لنفسه باستخدامه عند الحديث عن الإسلام، رغم أنَّ المرء قد يعتقد أنَّ كتابًا عن الصحوة الإسلامية يمكن أنْ يلمح إلى تطوُّرات موازية وذات صلة بأساليب الانبعاث الديني في لبنان وإسرائيل والولايات المتَّحدة على سبيل المثال. أما عند بايبس فإنَّ الإسلام حكاية متقلِّبة وخطرة، وحركة سياسية تتدخَّل في شؤون الغرب وتقلق

---

(١) انظر: أوليفيه روا. تجربة الإسلام السياسي/ ترجمة نصير مروّة.ـ بيروت: دار الساقي، ١٩٩٦م.ـ ص ٢١٣.

راحته، وتحرص على العصيان والتعصُّب في كل أرجاء العالم». [1]

ومن هذا المنطلق يدور نقاش طويل حول خطر الإسلام على الغرب، وأنه هو القوَّة القادمة التي تهدِّد الغرب، وتهدُف إلى زعزعة استقراره وتقدُّمه العلمي والتقني. [2]

ويكتب إيفان هيربيك عن الانبعاث الإسلامي المعاصر من منظار تاريخي: أفكار حول الأزمة والنهوض في الإسلام، يرجع إطلاق الأصولية على الصحوة إلى عدم توقُّعها، وعدم الاستعداد لها من المراقبين الخارجيين. [3]

وكتب كارل زوربي عن نموِّ تأثير الأصولية الإسلامية في المجتمع المصري خلال حكم السادات. ويُرجع الاهتمام الغربي بالإحيائية الإسلامية «الأصولية» إلى قيام ثورة الخميني

---

(١) انظر: إدوارد سعيد. تعقيبات علي الاستشراق/ ترجمة وتحرير صبحي حديدي.ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦م.ـ ص ٤٣ ـ ٤٤. كتاب دانييل بايبس. على درب الله: الإسلام والسلطة والسياسة.

(٢) انظر مناقشة فكرة خطر الإسلام علي الغرب الفصل الرابع وعنوانه الإسلام والغرب: «خطر الإسلام» أم «خطر على الإسلام»؟.ـ ص ١١١ ـ ١٣٥.ـ في: فريد هاليداي. الإسلام والغرب: خرافة المواجهة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط/ ترجمة عبدالإله النعيمي.ـ بيروت: دار الساقي، ١٩٩٧م.ـ ٢٣٠ ص.

(٣) انظر: إيفان هيربيك. الانبعاث الإسلامي المعاصر من منظار تاريخي: أفكار حول الأزمة والنهوض في الإسلام.ـ ص ١٢٣ ـ ١٣٤.ـ في: فالح عبدالجبَّار/ مترجم ومعدّ. الاستشراق والإسلام.ـ مرجع سابق.ـ ١٦٧ ص.

في إيران، واغتيال الرئيس المصري أنور السادات في مصر، ولكنه يعيد تنامي الإحيائية الإسلامية «الأصولية» إلى خمسة عوامل سبقت الثورة الإيرانية ومقتل السادات، وهي على التوالي:

١ ـ هزيمة العرب في حربهم مع اليهود في ٢٦/ ٢/ ١٣٨٧هـ الموافق ٥/ ٦/ ١٩٦٧م.

٢ ـ محدودية الأفكار الاشتراكية التي ظهر بها جمال عبدالناصر منذ الخمسينات من القرن العشرين الميلادي.

٣ ـ تشجيع الرئيس المصري أنور السادات للقوى السياسية الإسلامية في مصر.

٤ ـ الثمن الاجتماعي لسياسة الانفتاح الاقتصادي التي تبنَّاها الرئيس المصري أنور السادات في مصر.

٥ ـ عودة التحالُف المصري مع الغرب على حساب الوجود الشيوعي الروسي في مصر.(١)

ولا بدَّ من ملاحظة أنَّ هذه العوامل الخمسة تنطلق من نظرة اشتراكية للتقلُّبات التي طرأت على المنطقة بعامَّة، وعلى مصر بخاصَّة.

---

(١) انظر: كارل زوربي. نموُّ تأثير الأصولية الإسلامية في المجتمع المصري خلال حكم السادات.ـ ص ١٤٣ ـ ١٥٨.ـ في: فالح عبدالجبَّار/ مترجم ومعدّ. الاستشراق والإسلام.ـ المرجع السابق.ـ ١٦٧ ص.

وكتب هولفر برايسلر عن ملاحظات حول المسائل الراهنة في الإسلام المعاصر، يركِّز في هذه الوقفة على المصطلحات التي أُلصقت بالإسلام كالأصولية، والإسلامية، والإحيائية، والتكامُلية، وأنها قد جاءت من أوساط غير إسلامية، وأنها تحمل تضمينات زائفة. ويحدِّد قضايا النقاشات الإسلامية التي تتناولها الحركات الأصولية في أربع؛ هي على التوالي:

١ ـ الموقف من الدولة، والرغبة العارمة لإقامة ما يسمّى الدولة الإسلامية.

٢ ـ فكرة إقامة مجتمع للمستقبل يقوم على الشريعة.

٣ ـ موقع المرأة في الحياة الاجتماعية والسياسية.

٤ ـ العلاقة مع غير المسلمين، ومع معارضي الأفكار الإسلامية.[1]

تصنيف الإحيائية:

من الأمور المهمَّة لغرض هذه المناسبة أنْ تدرس هذه الوقفة تصنيف الإحيائية من خلال ما اتَّسمت به هذه الحركات الإسلامية من جمعيات وجماعات، بل ودول، وذلك من خلال

---

(١) انظر: هولفر برايسلر. أصوليون فقط؟ ملاحظات حول المسائل الراهنة في الإسلام المعاصر.ـ في: فالح عبدالجبَّار/ مترجم ومعدّ. الاستشراق والإسلام.ـ المرجع السابق.ـ ص ١٤٥ ـ ١٥١.

النظرة الاستشراقية التي قد تظهر من بعضها نظرتها السريعة، ومن ثَمَّ السطحية التي لم تتعمَّق في النفس، بقدْر ما اتَّخذت من الظاهر مقياسًا دقيقًا عندها، مثل مظهر الناس في سحناتهم ولباسهم، بل يظهر منها التعصُّب والعنصرية الواضحة للرجل الأبيض «الغربي» ضدَّ كل ما هو «شرقي». ويؤكِّد هذا مكسيم رودنسون في ردِّه على ثيودور لوثروب ستودّارد في كتابه العالم الإسلامي الجديد، الذي تظهر فيه عنصريته من خلال تصنيفه للمسلم بأنه غامض، أصولي، متخلّف، عدواني، جاهل، ومتوحِّش، متلفِّح بتأثير الدين والعادات وقليل من النخبة المتنوِّرة.(١)

وهذا يؤثِّر في الإفادة من هذه المعلومات السطحية في اتِّخاذ موقف إستراتيجي منها. ويوحي مراد هوفمان بذلك بقوله: «ولقد اتُّهِمَ مثقَّفو الأصوليين آنذاك بما يُتَّهمون به اليوم أيضًا، اتِّهامًا ظالمًا بأنهم سُذَّج، متأخِّرون، بل أغبياء، وذلك لاستمساكهم بالظاهر الحرفي للنصوص، علمًا بأنَّ وسائلهم في الدرس والتحليل والاستنتاج ومعالجة النصوص، تتَّفق وأفضل نتائج فلسفة اللغة التحليلية للمعاصرين في أوطانهم».(٢)

---

(١) انظر: Maxime Rodinson. Europe and the Mystique of Islam-. Translated by Roger Veinus -. Seattle: University of Washington Press, 1991-. p 72.

(٢) انظر: مراد هوفمان. الإسلام كبديل.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٠٨.

واتُّهمت الإحيائية بالانعزالية ومحدودية عقول أصحابها وضيق خبراتهم وأفقهم. ومع هذا ينبري جون إسبوزيتو ليدافع عن الإحيائية بقوله: «لقد قضيت من عشر إلى خمس عشرة سنة في العالم الإسلامي، وتعاملت بصورة طيِّبة مع عدد من الذين يعرفهم العالم اليوم بأنهم نشطون إسلاميًّا، ووجدت الغالبية العظمى منهم ليسوا بالإرهابيين المتطرِّفين، إنَّ غالبيتهم ذات عقل متفتِّح قابل للنقاش والاتِّصال مع الغربيين».[1]

كما أنَّ هذه الإحيائية، «الأصولية»، التي يعيشها المسلمون، كما يؤكِّد إسبوزيتو، ليست مؤقَّتة انبعثت من مجرَّد الفقر الذي تعيشه بعض بلاد المسلمين، ولذا فإنه يحذِّر صنَّاع القرار في الغرب من الاستمرار في الضغط على الصحوة والموقف المزدوج في النظرة إلى «الديمقراطية» في المجتمعات المسلمة.[2]

ويتوسّع مازن المطبّقاني في تحليل الموقف الغربي من الإحيائية، «الأصولية» بشكل تحليلي نقدي، ويردُّ على النقاط التي ذُكرت على أنها من تصنيف المنتمين إلى الإحيائية، أو

---

(١) انظر: مازن المطبَّقاني. الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة.ـ المدينة المنوّرة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٨م.ـ ص ١٤ ـ ١٥.

(٢) انظر: Ahmad bin Yousef and Ahmad AbulJobain. The Politics of Islamic Resurgence Through Western Eyes-. A Bibliographic Survey-. op. cit-. p180.

متبنِّيها، يمكن الرجوع إليه لمن أراد الاستزادة، إذ إنه ليس من صميم هذه الوقفة، فهي لا تهدُف إلى الردود المباشرة.[1]

كما برز ذلك التصنيف واضحًا، أيضًا، في دراسة ريتشارد هرير دكمجيان السالفة الذكر، وإنْ ظهرت تحت عنوان الأسس النفسية ـ الاجتماعية للإحياء الإسلامي، مثل روح المتعصِّب، والعزلة والاكتمال قبل الأوان، والتعصُّب، والدونية والاستعلاء، والحركية ـ العدوانية، والفاشية، وعدم التسامُح، والارتيابية، والإسقاط، والمثالية، والإحساس بالواجب، والقسوة والجرأة، والطاعة والالتزام.[2]

ويُنظر إلى هذه الإحيائية، «الأصولية،» على أنها شكلٌ من أشكال المحافظة والرجعية والتقليد والجمود والتطرُّف والتعصُّب والرفض للحضارة الغربية، والدعوة إلى الحكومة الدينية «الثيوقراطية».[3]

هذا في الوقت الذي يُصنِّف المسلمون الإحيائية تصنيفًا

---

(١) انظر: مازن المطبَّقاني. الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٦ ـ ١٠٢.

(٢) انظر: ريتشارد هرير دكمجيان. الأصولية في العالم العربي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٨ ـ ٦٣.

(٣) انظر: أحمد عبدالحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٥٤.

آخر، يمكن تقصِّيه من خلال متابعة من كتبوا عنها من علماء المسلمين ومفكِّريهم، مثل العـودة إلي المساجد، والإقبال على المعارف الإسلامـية، والازدياد من التمسُّك بالدين، والسعي إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، والمطالبة بأسلمة العلوم، وإنشاء المؤسَّسات الإسلامية الاقتصادية والسياسية والثقافية، وإنشاء المراكز والمنظمات الإسلامية، وإحياء روح الجهاد بمعناه الشرعي المؤصَّل، والدعوة الجادَّة للوحدة الإسلامية، وقيام الأحزاب السياسية الإسلامية، وتجاوُب الشعوب المسلمة مع القضايا الإسلامية.[1]

تصنيف الإسلام:

وتبع هذا التصنيف، أو سبقه، تصنيف الإسلام إلى «إسلامات»، فهناك الإسلام الأصولي التقليدي، والإسلام الليبرالي، والإسلام الرسمي الحكومي والسياسي،[2] وحول هذه التسمية تكثر الإسهامات الغربية،[3] والإسلام الخيِّر أو

(١) انظر: مانع بن حمَّاد الجهني. الصحوة الإسلامية: نظرة مستقبلية.ـ الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، د.ت.ـ ص ١٤ ـ ٢٤.

(٢) انظر: فرج العشَّة. نهاية الأصولية ومستقبل الإسلام السياسي.ـ بيروت: رياض الريس، ٢٠٠٩م.ـ ٢١٩ ص.

(٣) انظر: فرنسوا بورجا. الإسلام السياسي: صوت الجنوب، قراءة جديدة للحركة الإسلامية في شمال أفريقيا.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٥ ـ ٧٠.

الطيِّب، «المسلمون الأخيار»، والإسلام الشرِّير، «المسلمون الأشرار»،(١) والإسلام السلمي والإسلام المسلَّح.(٢) والإسلام الشعبي الجماهيري،(٣) والإسلام اليميني المتطرِّف، والإسلام اليساري المتطرِّف، والإسلام الاشتراكي اليساري غير المتطرِّف،(٤) والإسلام السلفي «الأرثوذوكسي»، والإسلام الصوفي، والإسلام التقليدي، وإسلام العامّة أو الإسلام الشعبي، أو إسلام المغفَّلين، بل والإسلام السعودي أو الخليجي، والإسلام التركي، والإسلام الهندي، والإسلام الباكستاني،(٥) والإسلام الجزائري.(٦)

---

(١) انظر: جوديث ميلر. تحدّي الإسلام المتشدِّد.ـ في: الإسلام والغرب: آفاق الصدام.ـ مرجع سابق.ـ ص ٦٥ ـ ٩٥.

(٢) انظر: مازن بن صلاح مطبَّقاني. الاستشراق والاتِّجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٥٣٥.

(٣) انظر: ريتشارد هرير دكميجيان. الأصولية في العالم العربي.ـ مرجع سابق.ـ ص ٤٤ ـ ٤٦.

(٤) انظر: سلسة الإسلام واحد ومتعدد التي تصدرها رابطة الأدباء العرب ودار الطليعة ببيروت. وقد صدر منها: الإسلام العربي، إسلام الفقهاء، إسلام المجدِّدين، الإسلام السنّي، الإسلام الخارجي، الإسلام الآسيوي، إسلام الأكراد، إسلام عصور الانحطاط، الإسلام الشعبي، وغيرها. ولو كانت بعنوان: إسلام واحد ومسلمون متعدِّدون، فتغيَّر كلمة إسلام في عنوانات الكتب إلى مسلمين، لكان التعبير أقرب إلى القبول.

(٥) انظر: محمَّد محمَّد حسين. الإسلام والحضارة الغربية.ـ مرجع سابق.ـ ص ١٥٨.

(٦) انظر: جورج الراسي. الإسلام الجزائري: من عبدالقادر إلى أمراء الجماعات.ـ بيروت: دار الجديد، ١٩٩٧م.ـ ٥٧٥ ص.

ثم ظهر لنا المنظِّرون والمفلسفون بفكرة فصل الممارسة الدينية الإسلامية عن الدين الإسلامي نفسه، فظهر من يقول بالأيديولوجيا الإسلامية، وليس الإسلام، والظاهرة الإسلامية والعربية، وليس الإسلام، ويبيِّن محمَّد أركون إطلاقه هذا بقوله: «لقد لفظت كلمة «ظاهرة» عن قصد، ولم أقل «الإسلام» بكل بساطة. وهذا التفريق المفهومي له أهمِّيته، فعندما نلفظ كلمة «إسلام» نقول مصطلحًا يبدو ظاهرياً وكأنه واضحٌ، أو كأنَّ كل الناس يفهمونه فورًا، ويستطيعون استخدامه بكلٍّ بساطة.[1] ويضيف محمَّد أركون القول: فهم يظنون أنه تكفي العودة إلى النصوص الكلاسيكية الكبري التي يعتقد أنها تقول ما هو الإسلام، ولكن ذلك ليس إلا خيالات المراقبين الأجانب والأيديولوجيين الذين يركِّبون النظريات بهذا الخصوص، وخصوصًا في فرنسا بالذات، وهم يفعلون ذلك لتبرير كل أنواع الهوس السياسي تجاه العمَّال العرب المغتربين، والإسلام، إلخ. ويمرُّ كلامهم بسهولة لدى الجمهور الفرنسي وكأنه الحقيقة المطلقة، ولكنه في الواقع ناتجٌ عن المتخيَّل السياسي والاجتماعي الذي يُعمي بصره تمامًا عن حقائق الواقع التي تغطِّيها كلمة إسلام.[2] ولا يزال الحديث لمحمَّد أركون، حيث

---

(١) انظر: محمَّد أركون. العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية، والغرب.ـ ط ٣.ـ بيروت: دار الساقي، ١٩٩٦م.ـ ص ١٩.

(٢) انظر: محمَّد أركون. العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية.ـ المرجع السابق.ـ ص ٢٠.

يقول: ولذا فينبغي أنْ نراقب «الظاهرة» وندرسها بكل تعقيدها، بغضِّ النظر عن التصوُّر «الواضح والسهل الذي يقدِّمونه عنها»[(١)].

وليس المقصود بهذا القول الفصلَ في الممارسة عن الدين لدى «أركون» ما سبق التوكيد عليه من أنَّ الإسلام حجَّةٌ على الناس، أي المسلمين الممارسين له، وليس الناس الممارسون للإسلام حجَّةً على الإسلام، من منطلق أنَّ الأشخاص يُعرفون بالحقِّ، ولا يُعرف الحقُّ بالأشخاص، فهذا المنطلق منطلق إسلامي معروف، لا يحتاج إلى تنظير أو تفلسف.

الخلاصة: النتيجة:

يمكن الخروج من هذا التحليل لموقف المستشرقين من الإحيائية الإسلامية أو الصحوة أو الانبعاث بعدد من النتائج، من أهمها الآتي:

١ ـ شهد القرنان الأخيران في العالم الإسلامي حركاتٍ إصلاحيةً متفرِّقةً جغرافياً، ونتج عن هذه الحركات الإصلاحية بروز ظاهرة التوجُّه إلى الدين، واصطلحت الأدبيات العربية على تسمية هذا التوجُّه إلى الدين بالصحوة الإسلامية. وربَّما قيل إنها الإحيائية الإسلامية. وجرى تقسيمها من منظور تاريخي إلى إحيائيات.

---

(١) انظر: محمَّد أركون. العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية، والغرب.ـ المرجع السابق.ـ ص ٢٠.

٢ ـ أعانت بعض عناصر الصحوة على نفسها ـ في بعض مواقفها ـ فيما يتعلَّق بترك انطباعات غير حسنة عنها ـ خصوصاً في الإحيائية الأولى التي غلَّبت العاطفة على العلم ـ لا سيَّما في موقفها من الغرب الذي يسيطر على الساحة العالمية اليوم، وبخاصَّة مع انقشاع الحرب الباردة، وتفكُّك الاتِّحاد السوفييتي، وظهور ما يسمَّى بالنظام العالمي الجديد والعولمة.

٣ ـ أدَّت نظرة بعض عناصر الصحوة إلى الغرب بخاصَّة، وإلى الحياة الراهنة بعامَّة، بعلماء الأمّة ومفكِّريها إلى السعي إلى ترشيدها وتوجيهها الوجهة المباركة، ولذا حفلت المكتبة العربية بالإنتاج العلمي عن الصحوة، وغلب على هذا الإنتاج التقويم العلمي الشرعي المتأنِّي الوجِل من سيطرة العاطفة والحماس الزائد.

٤ ـ تفاعل المستشرقون مع الصحوة الإسلامية التي شاعت بين المسلمين في البلاد الإسلامية، وبين الأقلِّيات المسلمة في البلدان غير الإسلامية، وبين الجاليات المسلمة المقيمة في الغرب بخاصَّة. وفضَّل المستشرقون إطلاق مصطلح «الأصولية» على هذه الصحوة. وظلَّ هذا المصطلح مضطربًا إلى الآن. وغلب على هذا التفاعُل من قبَل المستشرقين على بعض عناصر الصحوة، التي لا تكنُّ ودًّا للغرب ومعطياته الحضارية.

٥ ـ وتفاعل غير المستشرقين مع هذه الصحوة من علماء الغرب وإعلامييه، بحيث اختلط الأمر على المتابعين، ولم يتمكَّنوا من التفريق الدقيق بين هذه الفئات الأربع؛ المستشرقين وعلماء الغرب ومفكِّريه والإعلاميين الغربيين، وأدَّى هذا إلى أنْ يفقد الاستشراق شيئًا من قيمته التي كان عليها من قبلُ.

٦ ـ نتج عن هذا التفاعُل إنتاج فكري غزير، بعضه عميق، وكثير منه سطحي ومتسرِّع. وقد اهتمَّ به الغرب والمسلمون حتى أضحى مصدرًا من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي المعاصر، لا سيَّما منه ما يتعلَّق بالصحوة الإسلامية، وبخاصَّة الإنتاج الفكري الاستشراقي الأكثر علميةً وعمقًا، وذلك عند من تمكَّنوا من التفريق بين الفئات الأربع.

٧ ـ جاءت معظم الإسهامات الاستشراقية عن الصحوة بانطباعات غير طيِّبة، ما عدا حالات معدودة ومعلومة نادت بعدم التعميم في الأحكام، على الرغم من أنها ربما درست فئة من الفئات تنظيميةً أو حزبيةً، أو درست إقليمًا من الأقاليم التي برزت فيه الصحوة واضحة، وأثَّرت في هذا الإقليم أو ذاك، وبدا أثرُها من خلال بعض الممارسات التي لا تخفى على أيِّ متابع.

٨ ـ تقدَّم المستشرقون وبعض علماء الغرب الذين درسوا

الصحوة الإسلامية بجملة من النصائح للحكومات الغربية، فظهر بعض هذا الإنتاج الفكري الذي تمخَّضت عنه هذه النصائح بتكليف من هذه الحكومات، وتشجيع منها، مما أدَّى إلى تطوير هذه التقارير إلى كتب تُرجمت إلى اللغة العربية، وحفل بها بعض مفكِّري العرب.

٩ ـ لم يذهب هذا الإنتاج الفكري هباءً، فلقد استعانت الحكومات الغربية بهذا الإنتاج الفكري للاستشراق في وضع السياسات والإستراتيجيات، وتحديد المواقف من مجتمعات برزت فيها الإحيائية، مما أدّى إلى نظرة رسمية غير عادلة، وغير متكافئة مع هذه الصحوة، وربما نزعت هذه المواقف إلى التطرُّف في النظرة إليها، مما نتج عنه تطرُّف في النظرة إلى الغرب والتطرُّف يولِّد عادةً تطرُّفًا.

١٠ـ في ظل التطوُّرات الحديثة في تَقانة المعلومات يستمرُّ الاستشراق في فقدانه للمكانة العلمية التي تبوَّأها منذ القِدم، لا سيَّما في تحليلاته للصحوة أو الإحيائية الإسلامية (الأصولية)، إذ سيلجأ المتابعون ممن استخدموا الاستشراق قاعدة معلومات إلى المعلومة الجاهزة والسريعة التي ستوفِّرها لهم قواعد المعلومات الحديثة، وشبكات المعلومات الدولية، إلا إذا بادرت مراكز الدراسات الاستشراقية ومراكز دراسات الشرق الأوسط العلمية «الأكاديمية» الرصينة إلى إيجاد مواقع لها في هذه القواعد

المتقدِّمة، لأنَّ الوقت الآن وقت السرعة المذهلة في الوصول إلى المعلومة، والحصول عليها، بعد أنْ أصبحت متاحة للجميع.

* * *

الخاتمـــة

وقفـــة أخـــيرة

● لا بدَّ من الاعتراف بأنَّ للمستشرقين جهودًا في التعامل مع المعلومات الإسلامية التراثية والمعاصرة، وإنْ كان اهتمامُهم بالتراث المكتوب أكثر وضوحًا. والذي يبدو أنَّ الدوافع والأهداف لهذا الاهتمام الاستشراقي أضحت واضحة لذوي الاهتمام والمتابعة، ولذا فإنَّ هذه الوقفة لن تهتمَّ بالعودة إلى هذه الدوافع والأهداف، مع التوكيد على أنَّ الاستشراق يُعدُّ اليوم مصدرًا فاعلاً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين.

● فقد اهتمَّ المستشرقون بالتراث الإسلامي، فحفظوا مخطوطاته، ونشروا أجزاءً لا بأس به منها، وحقَّقوا بعضها، وترجموا بعضًا منها، ودرسوا العالم الإسلامي في قرونه الأولى، وأضحت هذه الجهود كلها شائعة بين الباحثين العرب والمسلمين، وبرزت أعلامٌ من المستشرقين دأبت على

التراث العربي الإسلامي تخدمه بدافع الإعجاب أحيانًا.

- وهذا يُعدُّ من الدوافع العلمية النزيهة، وبدوافع غير علمية أحيانًا أخرى، إلى درجة أنَّ المستشرقين المتأخِّرين «المعاصرين» وجدوا أنَّ أسلافهم لم يتركوا لهم مجالاً يُذكر في خدمة التراث، لا سيَّما مع تسلُّم المسلمين والباحثين العرب والمسلمين زمام هذا الاهتمام بعناية تفوق عناية المستشرقين السابقين، بحكم انتمائهم للثقافة التي يخدمونها. هذا بالإضافة إلى مشاركة المسلمين كأساتذة في الجامعات الغربية.(١)

- فما كان من معظم المستشرقين المعاصرين إلا الاتِّجاه إلى الحاضر، بما يمرُّ به هذا الحاضر الإسلامي من تغيُّرات استرعت الانتباه العام، وأضحت مجالاً للدرس والتحليل العميق أحيانًا، والسطحي المتسرّع في أغلب الأحيان، ذلك الذي تتبناه وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وفضائيات ومواقع إلكترونية، فتأثَّر الاستشراق بهذا التوجُّه حتى لجأ المستشرقون إلى الاعتداد بما تكتبه الصحف، وجعلوه مادَّة للتحليل والتعليق في كتبهم ومقالاتهم عن الإسلام والمسلمين.(٢)

---

(١) انظر: مارسيل بوازار. الإسلام اليوم.ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م.ـ ص ٢٠.

(٢) انظر: John Esposito, the Islamic Threat: Myth or Reality. New York: Oxford University Press, 1992. P. 168 - 215.

- وقبع الجادُّون من المستشرقين ـ على قلَّتهم في الآونة الأخيرة ـ في مكتباتهم ومراكز بحوثهم، يتشبَّثون بالعمق في الدراسة من نشر للتراث وتحقيق وترجمة ودراسات جادَّة، في وقت يستمرُّ فيه سحْب البساط من تحتهم، واتَّجه آخرون كثيرون إلى التحليل السريع لواقع العالم الإسلامي في البرامج الإخبارية التحليلية، فاستهوتهم الشهرة السريعة والظهور الإعلامي المتكرِّر في الصحف والقنوات الفضائية(!) وبرزت أسماؤهم لدى المتنفِّذين في السياسة والاقتصاد، فاستعانوا بهم في الحصول على المعلومات عن العالم الإسلامي المعاصر، يكلِّفونهم بدراسة بقعة صغيرة منه، أو ظاهرة غلبت عليه، أو توقُّع لما يمكن أنْ يؤول إليه الحال. وبُنيت على هذه الدراسات قرارات وإستراتيجيات، ورسمت عليها الخطط، وحُدِّدت بموجبها المواقف.

- ولكن هذه الفئة من المستشرقين لم تعُد تمثّل الاستشراق بالمفهوم العميق لهذا المصطلح، بل إنَّ معظم المشتغلين بهذا الأسلوب من تحليل المعلومات عن الإسلام والمسلمين بهذه السرعة قد يدخلون في مفهوم علماء الغرب الذين يكتبون عن الإسلام والمسلمين، مما يعني أنَّ هناك مفهومًا آخر لمن يخوض في البحث في مجالات المسلمين الحديثة، لا ينطبق عليه مفهوم الاستشراق.

- وعلى أيِّ حال فإنَّ مفهوم الاستشراق نفسه بدأ يخفُت، وطفق

بعض المشتغلين بالشرق يفضّلون أيَّ إطلاق عدا إطلاق المستشرق التفافًا على المصطلح، مثل عالم الإسلاميات أو المستعرب أو الخبير في شؤون الشرق الأوسط.(١) وكان لهذا أثره على المعلومة عن الإسلام والمسلمين، حيث اتَّسمت بالسطحية والسرعة حين تستقي معلوماتها من تحقيقات صحفية أو مشاهدات سريعة في مجتمع من المجتمعات المسلمة التي نظر إلى أفرادها على أنهم متشيِّعون للرقيَّة (!) بدائيون وجهلة، لصوص يخطفون الفتيات، ويعيشون تحت الخيام يربُّون الجمال، وتسيِّرهم غرائزهم الجنسية الدموية.(٢) وهذه أوصاف لا يقولها المستشرقون المحدَثون الذين يدركون أنها أوصاف سريعة لم يعد لها «سوق» في البحوث والدراسات العميقة.

- ومن ذلك الخلط في المعلومات بين ما هو عربي وما هو إسلامي. ونحن نعلم أنَّ الإسلام دين وأنَّ العربية لغته التي يتحدَّثها المسلمون العرب، والمسلمون غير العرب، ويتحدَّثها العرب غير المسلمين وربَّما غير المسلمين وغير العرب، وعليه فإنَّ المجتمع العربي ليس كلُّه مسلمين، ففيه

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الالتفاف على الاستشراق.ـ مرجع سابق.ـ ١٨٣ ص.

(٢) انظر: محمَّد إبراهيم الفيّومي. الاستشراق رسالة الاستعمار: تطوُّر الصراع الغربي مع الإسلام.ـ دار الفكر العربي، ١٩٩٣م.ـ ص ٢٩٩.

النصارى العرب واليهود العرب، وما يتصرَّفه العرب من غير المسلمين لا يُحسب على الإسلام والمسلمين، لأنَّ القاعدة عندنا أنَّ «الرجال» يُعرفون بالإسلام، وليس الإسلامُ يعرف بالرجال. وإنما ولَّد هذا الخلط بين الدين والقومية أنَّ الاستشراق القديم سمَّى المسلمين عربًا، واستمرَّ على هذه التسمية يتوارثها المستشرقون، ثم أخذها عنهم الصحفيون والإعلاميون، حتى إنَّ بعضهم ليستغرب أنْ يوجد بين العرب من هو غير مسلم!

● من هنا فإنه من الحيف أنْ تلصق هذه السطحية المفرطة بالاستشراق الذي عهدناه في تعامُله مع تراث العرب والمسلمين، رغم ما اعترى هذا التعامُل من مآخذ، إلا أنها لم تكن على هذا المستوى من التعامُل مع الثقافات الأخرى، بل إنَّ من الحيف أنْ تُحسب بعض المقولات المضلِّلة عن العرب على الاستشراق من مثل قول أحدهم عن العرب إنهم ليسوا بشرًا، إنهم عرب![1]

● وتتفاوت إلى اليوم نظرة مفكِّري العرب والمسلمين حول قبول الإنتاج الفكري للمستشرقين قبولاً مبدئيًا. فهناك من قال بملء فمه إنَّ كلَّ ما يأتي عن المستشرقين مردود دون أنْ

(١) انظر: أحمد بهاء الدين شعبان. حاخامات وجنرالات: الدين والدولة في إسرائيل.ـ (القاهرة): نوَّارة للترجمة والنشر، ١٩٩٦م.ـ ص ٤٧.

نجهد أنفسنا في النظر فيه. وذلك لأنَّ ماجاء به المستشرقون على مرِّ الأيام والسنين لم يتعدَّ في مضمونه الإهانات المباشرة، وغير المباشرة للتراث العربي الإسلامي، بل لا تكاد تقرأ إسهامًا من هؤلاء إلا وتجد وراءه دافعًا إلى وضع نقطة سوداء صغيرة في ذلك التراث، وعليه فإنَّ إنتاجهم مرفوض من مبدإه. وفي رفضه ما يدعوهم إلى تغيير آرائهم ونظراتهم حول هذا التراث.

- وفئة أخرى من المفكِّرين العرب والمسلمين تؤمن بما ذهبت إليه الفئة الأولى من العلماء، ولكنها تأخذ هذه المجموعة من الإسهامات العلمية والفكرية، وتعرف خلفيتها ومنطلقها، فتدرسها ثم تردُّ عليها، وتوضِّح للآخرين مواقع الخطأ فيها، وتُبرز لهم مواطن الضعف وأسباب هذا الضعف ودوافعه.

- وحجَّة هذه الفئة أنَّ كتابات المستشرقين اليوم قد عمَّت وصار لها وجود، ولها روَّاد ومفكِّرون ومصدِّقون، فهي لم تقف عند إسهامات فردية من مجموعة من علماء الغرب، ولكنها إسهامات جماعية وفردية في آنٍ واحد، تدعمها مؤسَّسات علمية كبرى، كالجامعات والهيئات العلمية الكبرى والهيئات البحثية الخيرية، بل تدعمها حكومات تقف وراءها؛ لأنها دراساتٌ تحقِّق للحكومات فوائد كثيرة في سبيل قربها من هذه الثقافة المدروسة أو بعدها عنها. وبالتالي فإنَّ هذه الحكومات تستفيد من دراسات هؤلاء المستشرقين في رسم إستراتيجيات وخطط

للتعامُل مع أصحاب هذا التراث، سواءٌ على مستوى الحكومات أم على مستوى المفكِّرين والأفراد من مختلف الاهتمامات.

- وتردُّ هذه الفئة من العلماء والمفكِّرين على من يستبعد هذا الاهتمام المباشر من قبل الحكومات في دعم هذه الدراسات واستفادتها منها، بما تغدقه على معاهد الاستشراق من مساعدات مالية مستمرَّة، ومن مساعدات معنوية تتمثَّل في تقريب المستشرقين والتنويه بمجهوداتهم وإسهاماتهم العلمية، ومن ثَمَّ رصد الجوائز التقديرية لهم ـ على ما مرَّ ذكره ـ. وتزيد هذه المساعدات وتنقص حسب أهمية الأمم التي يدرسها المستشرقون، لا سيَّما إذا استعملت كلمة الاستشراق بمعناها الشامل الذي يتضمَّن دراسة كلِّ الثقافات الشرقية، بما فيها الهندية والفارسية والصينية واليابانية، وغيرها من الثقافات التي تقع في مفهوم «الشرق» عند هؤلاء الدارسين.

- ويلاحظ أنَّ حجم المساعدات في زيادته ونقصانه يتوقَّف على «التفات» حكومةٍ ما إلى أهمية ثقافة ما في مستقبل العلاقات بين هذه الحكومات وهذه الثقافات. ولا يتعارض هذا إطلاقًا مع المساعدات الأخرى التي تقدِّمها هذه الحكومات إلى المعاهد والمؤسسات العلمية التي تركِّز في دراساتها على الحال الراهنة للمناطق المختلفة، بل تتعاضد هذه مع تلك، لتعطي صورةً واضحة للحكومات المعنية، تنطلق من خلالها في تحرُّكاتها وعلاقاتها ومصالحها.

- ورأي هذا منطلقُه في إقحام السياسة في دراسة التراث يُتوقَّع منه أنْ يتقبَّل هذه الدراسات على أنها دراساتٌ صادقة وموضوعية، بحيث تقدِّم صورة واضحة عن الخلفية التي تدين بها الأمم الأخرى، مما يدعو إلى عدم اتِّباع أساليب الشكِّ والتكذيب في هذه الثقافات. وهي إنْ وقعت فإنما هي واقعة من دافع ذاتي للدارس أخطأ فيه في فهم نصٍّ أو حادثة أو ظروف تمرُّ بالحال التي يدرسها، فأصدر حكمه الخاطئ بناءً على فهم خاطئ، وقد تعلَّمنا أنه إذا كانت المقدِّمات خاطئة جاءت النتائج خاطئة كذلك. أما تعمُّد الخطأ فغير وارد هنا، لئلا يتبع ذلك خطأ في رسم التحرُّكات والعلاقات والمصالح والإستراتيجيات وغيرها من المنطلقات السياسية.

- واقع الأمر أنَّ هذا اعتراضٌ وارد حقًّا، ويردُّ عليه محاولة فهم أنَّ هذه الحكومات لا تقدِّم هذه المساعدات إلا من أجل المضيّ في الطريق الذي نهجه المستشرقون من أكثر من قرنين من الزمان، حينما بدأوا في دراسة التراث، لا سيَّما منه التراث العربي الإسلامي، إذ إنَّ ما يقوم به هؤلاء الدارسون يشكِّل حلقة في سلسلة حلقات تكوِّن في مجموعها محاولة إخضاع أهل هذه الثقافة وهذا التراث إلى أسلوب التفكير الغربي في النظر إلى الوقائع والأحداث، فإذا تمَّ ذلك أصبح من السهل جدًا احتلال أهل هذا التراث احتلالاً فكريًا علميًا،

بعد أنْ مضى عهد الاحتلال الحضوري المباشر والمؤقَّت في آنٍ واحد. وتكون الحكومات في هذا قد حقَّقت غرضين مباشرين من الدراسات الاستشراقية: الأول ما يتعلَّق برسم الإستراتيجيات، والثاني ما يتعلَّق بالاحتلال والهيمنة الفكرية على المدى الطويل.

● في سبيل الوصول إلى هذه الأهداف لا بدَّ من التنازُل عن بعض المفهومات «القديمة» التي تنظر بالسلبية التامَّة إلى التراث «الأجنبي»، فلا بدَّ من الإشادة بين مدَّة وأخرى بهذا التراث وإشعار الآخرين من أهل هذا التراث أنَّ الأمم الأخرى تحترمه وتحترم أهله وعلماءه وروَّاده ومفكِّريه، وتحترم كذلك إنتاجه الفكري فتقتنيه وتحافظ عليه وتترجمه وتدرسه وتشرحه وتعلِّق عليه.

● هذا الاهتمام المباشر بالتراث من قِبَل الأفراد والهيئات والحكومات خلَّف وراءه فئةً ثالثةً من أولئك الذين ينظرون إلى أعمال المستشرقين ويكوِّنون حيالها مواقفَ واضحة، تلك الفئة الثالثة الأخرى هي التي رحَّبت بالإنتاج الاستشراقي، ونظرت إليه على أنه نصر جديد لهذا التراث، حيث رُزق من يدرسه دراسة «متأنِّية»، ويبرز فيه بعض المآخذ التي تُردُّ إلى الأشخاص، ولا يمكن أنْ تكون حجَّةً على التراث.

- ويُفتن هؤلاء عندما يعلمون مثلاً أنَّ المعلَّقات قد تُرجمت إلى أكثر من لغة، وأنَّ الحديث النبوي الشريف قد فهرسته مجموعة من المستشرقين، وأنَّ معاني القرآن الكريم قد تُرجمت إلى أكثر من مئة وإحدى وعشرين لغة، منها ثماني لغات أوروبية وأمريكية حظيت بخمس وسبعين ترجمة. وأنَّ مؤلَّفات جابر بن حيّان وابن سينا وابن رشد والبيروني وابن الهيثم والكِندي والغزالي وغيرهم كثير من الأدباء والعلماء والشعراء والأطبَّاء قد فسحت لهم المكتبات في رفوفها. كل هذه الجهود تفرض الاحترام، وبالتالي تفرض القبول للدراسات التي قام بها هؤلاء.

- أما عن أخطائهم الواضحة فإنَّ هناك من يعدُّها ويعترف بها، ولكنه يراها أخطاءً بشرية، مثل تلك التي يقع فيها أيُّ بشر على أيِّ صعيد كان، وعندما تقف مع هؤلاء وقفة قصيرة تذكِّرهم بها بأخطاء شاخْتْ وجولدتسيهر ومرغليوث وبارك وبلاشير وليفي وجرسون وغرونيباور ودوزي وكراتشكوفسكي ونولدكة، وغيرهم يحاولون أنْ يقنعوك بأنها مجموعة أخطاء شخصيةجُمعت كلها في محاولة لبخس هؤلاء حقَّهم!

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ

ولكنَّ عينَ السخط تُبدي المساوِيا

- ولكثير من المستشرقين طبيعة فريدة في البحث في العلوم

والمعارف الإسلامية. فالقاسم المشترك بين هؤلاء جميعهم أنهم لم يكتبوا للإسلام حبًّا في الإسلام وعلومه، وإنما كانت كتاباتهم تتوخَّى الإساءة إلى هذه العلوم وأهلها، والدين الذي شجَّع عليها، بعد أنْ شعروا أنَّ هذه العلوم قد غزت أوروبا متسرِّبة من مكتبات المسلمين وفكرهم وثقافتهم وعلمهم. فهم بذلك لا يصطنعون الموضوعية وإنْ ظهرت في آثار القلَّة منهم جوانب فيها موضوعية ومعرفة بالحقِّ واعتراف لأهله به، إلا أنَّ هذه النوعية من المنصفين مع وجودها لا يمكن أنْ تكون هي الجانب الغالب على هذه الفئة من الباحثين. ومن أنصف منهم الثقافة الإسلامية وعلومها لم يُعطِه أقرانه الاهتمام الذي يُعطيه من أوجد «نظرية» جديدة في علم من علوم الثقافة الإسلامية.(١)

● والمستشرقون ذوو إنتاج فكري كبير، فإذا كنا نقف منه موقف الحذرين فإننا لا بدَّ أنْ نسجِّل الإعجاب بسهرهم الدائب، وبحثهم المستفيض، وتعلُّمهم المستمرِّ في سبيل أنْ يُحدثوا خدشًا أو خدوشًا في صرح ثقافة ربَّانية جاءت خدمة للأمَّة جمعاء. هذا الإعجاب بالمجهود الذاتي الذي قاموا ويقومون

---

(١) انظر: على بن إبراهيم النملة. الاستشراق: مواقف ومواقف.ـ مجلَّة الحرس الوطني.ـ مج ٧، ع ٤٤ (شوال ١٤٠٦هـ ـ يونيه ١٩٨٦م).ـ ص ٤٤ ـ ٤٥. وانظر أيضًا هذا النقاش للمؤلِّف في: المستشرقون والدراسات الإسلامية.ـ مرجع سابق.ـ (الفصل الرابع.ـ ص ١٨٥ ـ ٢٣٦).

به لا يُسجَّل هنا على أنه مسوِّغٌ لقبول ما جاؤوا به من نظريات جديدة حول تدوين الحديث الشريف والتراث الإسلامي ـ مثلاً ـ، ولكنه الإعجاب بالأسلوب والطريقة اللذين اتَّبعوهما في سبيل الوصول إلى ما وصلوا إليه، موقنين هنا أنهم إنما يخدمون بذلك ثقافاتهم وسياسات دولهم من دون مبالغة، إذ إنهم لم يتركوا جانبًا من جوانب التراث الإسلامي لم يكن لهم عليه ملحوظة، ولم يسلم منهم عالم من علماء الإسلام والمسلمين لم يقدحوا في علميته، بدءًا بالبخاري ومسلم وأصحاب الصحاح والسنن، ومرورًا بعلماء الطبيعة والطبِّ والاجتماع والآداب واللغة والجغرافيا والتاريخ.

● فبعضهم لا يقولون لك عن الحديث مباشرة كلامًا سلبيًا، ولكنهم يعمدون إلى رجاله، الذين عدَّهم المسلمون ثقاتٍ، وأخذوا عنهم حديث رسول الله ﷺ، فيشكِّكون في علميتهم، وطرق جمعهم للمادَّة العلمية التي كانت أصلاً لإنتاجهم العلمي الذي حفظوا فيه أحاديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، بعد أنِ اتَّبعوا في ذلك أساليب التوثيق في علم الرجال أو الإسناد، التي لم تتوافر لأيِّ ثقافة أخرى. وهم يعمدون إلى ذلك محكِّمين جوانب مادِّية بحتة، ربما وازنوها بالجوانب المادِّية البحتة التي كانت متوافرة لديهم في الوقت الذي يكتبون فيه عن هؤلاء العلماء الأفاضل، فيبدأون بالتشكيك بأسلوب البحث الشخصي عن رواة الحديث

والسفر إليهم، محتجِّين بأنَّ ذلك من الصعوبة بمكان، في وقت لم تكن فيه وسائل المواصلات متوافرة آنذاك، وهم بهذا يقيسون مقدرة أولئك العلماء على البحث والتوثيق على مقدرتهم هم فيما لو وُجدوا في عصر أولئك العلماء مما يسمَّى بالإسقاط.(١)

- هم بهذا أيضًا يغفلون الجانب الروحي الذي كان الحافز الوحيد أو الرئيسي على أقلِّ تقدير لتدوين العلوم. فمثل هؤلاء العلماء إنما ورثوا العلم عن نبيّ الله - عليه الصلاة والسلام -، وهم بذلك يرجون ثواب الله ويخافون عقابه. هذا الجانب الروحي مغفل في كثير من تحليلات المستشرقين لإسهامات المسلمين في نهضة الأمم، وذلك لأنهم فاقدون لهذا الجانب، حينما شعروا أنَّ خلفيتهم الدينية تمنعهم أصلاً من التوسُّع في العلوم وطَرْق أبوابها، فما كان منهم إلا أنْ فصلوا بين العلم والدين، كما فصل سياسيوهم بين الدين والدولة.

- وإذا كان بعض منهم يدرك أنَّ الإسلام يحثُّ على العلم، فإنه لا يلمس ذلك بحكم خلفيته الدينية، فهو لا يخاف عقابًا ولا يرجو ثوابًا من ذلك كله، وذلك للفصل عنده بين جانب

---

(١) انظر: شوقي أبو خليل. الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشِّرين.- دمشق: دار الفكر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.- ٢٤٠ ص.

الثواب والعقاب وجانب البحث العلمي. وعليه فإنَّ إدراكهم لحثِّ الإسلام على العلم والبحث عن الحكمة إنما يظلُّ ثقافةً مدركة لم تترجم عندهم إلى واقع، كما ترجمها علماء المسلمين في إسهاماتهم التي خدمت الإسلام بخاصَّة، وانعكست على البشرية بعامَّة، وتبعها أو سبقها التطبيق على الواقع اليومي في حياة المسلمين.

● إذا كنت أكتب عنهم ذلك فإنني أدرك تمامًا أنَّ ما كتب عنهم من قبل أكثر من ذلك بكثير مادَّة وفائدة، ولكنني هنا أريد أنْ أنحو منحًى آخر غير المنحى الذي تعوَّدنا عليه من الحطِّ من قدْر المستشرقين في الكتابات العربية. فالكتابة عنهم بغير لغاتهم تفيد من جانب واحد، وهو التحذير من أغراضهم وغاياتهم، لئلا يقع فيها مثقَّفو العرب والمسلمين، وكانت لهذا الجانب جدواه وكان له تأثيره، ولعلَّ الأجدر من ذلك كله أن يُدرَسَ هؤلاء من جوانب كثيرة، تبدأ بدراسة لغاتهم وطرق تفكيرهم وأسلوب بحثهم، بحيث يتمكَّن المرء الدارس لهذا كلِّه أنْ يكتب لهم عنهم، رادًّا عليهم بأسلوب تفكيرهم، متَّبعًا بذلك الموضوعية التامة التي لم يتَّبعوها، إذ إنه سيجد نفسه أمام حقائق، وهم يرون أنفسهم أمام نظريات. ويكتب لهم عنهم بلغاتهم، وينشر عنهم بصحفهم ومجلاتهم ودورياتهم، مثيرًا قضايا أثاروها، مستشهدًا بأعمال كتبوها، رادًّا على نظرياتٍ وضعوها وصاغوها،

وملاحقًا إنتاجهم متتبِّعًا له قارئًا إياه قراءة الناقد الذي يتوقَّع حسنة فيذكرها ويؤكِّد عليها، ويتوقَّع زلَّة فلا بدَّ أنْ يجدها، معطيًا إياهم جوانبَ الإنصاف التي تبدو على كتاباتهم، معترفًا بها لهم، لئلا يتَّهمونه بأنه متحامل عليهم، فيُفسد على نفسه فرصة التأثير فيهم. ولعلَّ هذا من متطلَّبات الدعوة إلى قيام مفهوم الاستغراب بصورته العلمية الواضحة.(١)

- هذا الأسلوب علميٌّ بحتٌ بحدِّ ذاته، وهو في الوقت نفسه يُكسب المرء الثقة من قبل قارئيه، ولولم يكونوا من أولئك المستشرقين، الذين يهتمُّون بالثقافات الأخرى غير ثقافتهم مثل الثقافة الإسلامية. وفي هذا الأسلوب موضوعية تفرض على الآخرين احترام وجهة نظر كاتبها، وإنْ كانوا في قرارة أنفسهم لايحبِّذون ذلك. ولكن من يتَّبع مثل هذا الأسلوب إنما يعمد إلى وضع هؤلاء أمام الأمر الواقع، حينما يّعُدُّ نفسَه في أسلوب تفكيره وبحثه وكتاباته وكأنه واحد منهم.

- إذا كان من يقوم بمثل هذا متقنًا للَّغة العربية إتقانًا تامًا أو قريبًا من التامِّ أمكنه أنْ يعود إلى الموضوعات التي كتبوا عنها، فيقرأها قراءة غير التي قرأوها، ليجد أنهم إنما يفهمون فهماً يريدون أنْ يفهموه على مافهموه عليه، فيعدل

---

(١) انظر: حسن حنفي. مقدِّمة في علم الاستغراب.

في فهمهم من النصوص التي استشهدوا بها. وهذا جانب كثيرًا ما وقع فيه بعض المستشرقين الذين لم يتقنوا العربية بنحوها وصرفها وبيانها وبديعها، ففهموا نصوصًا فهمًا غير مقصود، وبنَوا على هذا الفهم قضاياهم ونظرياتهم، ويؤكَّد على ذلك ويؤكِّده كذلك رجوع بعض من المستشرقين إلى بعض النصوص العربية التي كتبت قبل ظهور فكرة «التنقيط» للحروف، فكان أنْ ساعد ذلك على أنْ يشتطُّوا في الفهم.

- هذا الأسلوب في الردِّ على المستشرقين والحوار معهم يتطلَّب تضافرًا لجهود الهيئات والمؤسَّسات العلمية الإسلامية، بحيث تقيم «جبهة» علمية تكون مهمَّتها جمع ما كتبه المستشرقون عن الإسلام والمسلمين، ومن ثَمَّ تكلِّف من يقومون بقراءة ذلك والبحث فيه والردِّ عليه بلغة كاتبه أو كتَّابه، ولو دعا الأمر إلى كتابة الكتب بدلاً من المقالات، إذ إنَّ بعض الموضوعات عند الكتابة عنها تحتاج إلى أكثر من مقالة، في سبيل إقناع المعنيين بالأمر ببطلانها وعدم علميتها أو موضوعيتها.

- هذا إضافة إلى العناية بالمؤتمرات والندوات وتكريم المنصفين من المستشرقين ودعمهم ماديًّا ومعنويًا، فتوجد هذه المؤسَّسات العلمية الإسلامية مركزًا للمعلومات تُهيَّأ له الظروف والسبل التي تكفل له أنْ يقوم بهذا العمل النبيل

بشكل فعَّال، مما يتطلَّب وجود العالِمين بالثقافة الإسلامية واللغات الأخرى، بحيث يجمعون بين هذا وذاك. وهذه النوعية من الباحثين قد لا تكون نادرة، ولكنها ربما تحتاج إلى البحث عنها ودعوتها وإعطائها ما تحتاج إليه وتستحقُّه من العناية والتكريم، بحيث يتحوَّل مركز المعلومات هذا إلى مركز للبحث والتنقيب والدراسات العلمية الخالصة.

- إذا كانت نواة مثل هذا المركز المقترح موجودة هنا أو هناك، فالأحرى بالمؤسَّسات العلمية الإسلامية مدعومةً من قبل حكوماتها والمهتمِّين من أبنائها الموسرين أنْ تعطي مثل هذه النواة العناية التامَّة، بحيث تعينها على أنْ تقف على قدميها شجرةً وارفةً مباركة تؤتي أُكُلَها كلَّ حين بإذن ربها.

- هذا في نظر الباحث هو الأسلوب الأمثل لمن يريد أنْ يؤثِّر في اتِّجاهات المستشرقين، ويخفِّف من حدَّة تهجُّمهم «العلمي والفكري» والإعلامي على الإسلام وعلماء الإسلام، فهم لايزالون يقومون بذلك ويكتبون عن ذلك كثيرًا، وليس هناك أخطر على الثقافة الإسلامية من أنْ تُطعن من وراء ظهرها، فتقدَّم للأخرين بأسلوب يعين على أنْ تُرى هذه الثقافة من زاوية سلبية بحتة، تقلِّل من أهميتها وأهمية تأثيرها في العالم.

- والنتيجة أنَّ الاستشراق كما يؤكِّد محمود حمدي زقزوق في

كتابه: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: «كان ولا يزال جزءًا لا يتجزَّأ من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، بل يمكن أنْ نذهب إلى أبعد من ذلك ونقول: إنَّ الاستشراق يمثِّل الخلفية الفكرية لهذا الصراع. ولهذا فلا يجوز التقليل من شأنه بالنظر إليه على أنه قضية منفصلة عن باقي دوائر هذا الصراع الحضاري. فقد كان للاستشراق من غير شكٍّ أكبر الأثر في صياغة التصوُّرات الأوروبية عن الإسلام، وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة،[1] وأنَّ للاستشراق مكانتَه وتأثيرَه في تسيير سياسات غربية تجاه الإسلام، كما أنه مؤثِّرٌ في النظر إلى الفكر الإسلامي الحديث، كما يقول محمود حمدي زقزوق أيضًا: «والواقع الذي لايمكن إنكاره هو أنَّ الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجابًا أو سلبًا أردنا أم لم نُرد. ولهذا فإننا لا نستطيع أنْ نتجاهله أو نكتفي بمجرَّد رفضه وكأننا بذلك قد قمنا بحلِّ المشكلة».[2]

● ذلك هو الموقف الذي لا بدَّ من تبنِّيه في مواجهة هذا الجزء

---

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٤.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٤.

من قضية الصراع الحضاري. ولهذا الموقف مقوِّماته ودعائمه ووسائله يقوم بها أفراد، ويُنتظر أنْ تقوم بها مؤسَّسات ودول وأمم. فكان الله في عون أولئك الذين نذروا أنفسهم للتصدِّي للظاهرة الاستشراقية بعلمية وموضوعية وتجرُّد. وكان الله في عون الجميع.

مراجع الكتاب

١ ـ آربري، آرثر. المستشرقون البريطانيون/ ترجمة محمَّد الدسوقي النويهي. ـ لندن: مطبعة وليام كولنز، ١٩٤٦م.

٢ ـ آرمسترونج، كارين. النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام/ ترجمة محمّد الجورا. ـ دمشق: دار الكلمة، ٢٠٠٥م. ـ ٤٢٤ ص.

٣ ـ أبو بصير، صالح مسعود. جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن. ـ بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر. ـ ص ٦٥.

٤ ـ أبو خليل، شوقي. الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشِّرين. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. ـ ٢٤٠ص.

٥ ـ أبو زيد، أحمد. الاستشراق والمستشرقون. ـ عالم الفكر. ـ مج ١٠، ع ٢ (تموز. أيلول ١٩٨٨م). ـ ص ٢٥٥ ـ ٢٧٦.

٦ ـ أحمد، إبراهيم خليل. الاستشراق والتبشير وصلتهما

بالإمبرياليه العالميه. ـ القاهرة: مكتبة الوعي العربي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م. ـ ٢٠٠ ص.

٧ ـ الإسكندري، أحمد وآخرون. المفصَّل في تاريخ الأدب العربي. ـ القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٣٤م.

٨ ـ إدريس، محمد جلاء. الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة. ـ القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ص ٧٧ ـ ٨٦.

٩ ـ أركون، محمَّد. الإسلام ـ أوروبا ـ الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة/ ترجمة وإسهام هاشم صالح. ـ بيروت: دار الساقي، ١٩٩٥م.

١٠ـ أركون، محمَّد. العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية، الغرب/ ترجمة هاشم صالح. ـ بيروت: دار الساقي، ١٩٩٦م. ـ (سلسلة بحوث اجتماعية؛ ٤).

١١ـ الأعظمي، محمَّد مصطفى. المستشرق يوسف شاخت والسنَّة النبوية. ـ في: مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية. ـ جزآن. ـ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ١: ٦١ ـ ١١٠.

١٢ـ أنجيليسكو، ناديا. الاستشراق والحوار الثقافي. ـ الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ١٩٩٩م. ـ ٩٢ ص.

١٣ـ برايسلر، هولفر. أصوليون فقط: ملاحظات حول المسائل الراهنة في الإسلام المعاصر. ـ ص ١٤٥ ـ ١٥١. ـ في:

الاستشراق والإسلام/ ترجمة وإعداد فالح عبدالجبّار. - دمشق: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، ١٩٩١م. - ١٦٧ ص.

١٤- بشير، الشيخ أحمد. الغزو الفكري والتيّارات المعادية للإسلام. - في: الغزو الفكري والتيّارات المعادية للإسلام، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦هـ. - الرياض: الجامعة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. - ص ٤٥٩ - ٤٩٦.

١٥- البنداق، محمَّد صالح. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم: عرض موجز بالمستندات لمواقف وآراء وفتاوى بشأن ترجمة القرآن الكريم مع نماذج لترجمة تفسير معاني الفاتحة في ست وثلاثين لغة شرقية وغربية. - ط ٢. - بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. - ٢٣٨ ص.

١٦- البهي، محمَّد. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. - ط ١١. - القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. - ٥١٢ ص.

١٧- بوازار، مارسيل. الإسلام اليوم. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م.

١٨- بورجا، فرانسوا. الإسلام السياسي: صوت الجنوب: قراءة جديدة للحركة الإسلامية في شمال أفريقيا/ ترجمة لورين فوزي زكري، مراجعة وتقديم نصر حامد أبو زيد. - الدار البيضاء. تانسيفت: دار العالم الثالث، ١٩٩٤م.

١٩ـ بيسكاتوري، جيمس، محرِّر. الحركات الأصولية الإسلامية وأزمة الخليج/ تعريب أحمد مبارك البغدادي. ـ الكويت: مؤسسة الشراع العربي، ١٩٩٢م.

٢٠ـ البيطار، نديم. حدود الهُوية القومية: نقد عام. ـ بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢م.

٢١ـ تشارلز، أمير ويلز. الإسلام والغرب: محاضرة صاحب السمو الملكي الأمير تشارلز. أكسفورد: مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، ١٩٩٣م.

٢٢ـ التلُّ، عبدالله. جذور البلاء. ـ ط ٢. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. ـ ٢٧٩ ص.

٢٣ـ الجابري، محمَّد عابد. الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الإسلامية: طبيعتها ومكوناتها الأيدلوجية والمنهجية. ـ في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. ـ ٢ ج. ـ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ١: ٣٠٥ ـ ٣٣٨.

٢٤ـ جريشة، علي. الاتِّجاهات الفكرية المعاصرة. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م. ـ ٣٥٧ ص.

٢٥ـ جريشة، علي ومحمَّد شريف الزيبق. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي. ـ القاهرة: دار الاعتصام، (١٩٧٨م). ـ ٢٥٦ ص.

٢٦ـ جمال، أحمد محمَّد. مفتريات على الإسلام. ـ ط ٢. ـ القاهرة: مؤسَّسة دار الشعب، ١٩٧٥م. ـ ٢٧٨ ص.

٢٧ـ الجميل، محمَّد بن فارس. إجلاء النبيّ ﷺ لليهود عن المدينة (٢ ـ ٥هـ/ ٦٤٢ ـ ٦٤٥م). ـ في: السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية العاشر المنعقد في المدينة المنوَّرة ١٢ ـ ١٤/ ٥/ ١٤٢٨هـ ـ ٩٢ ـ ٣١/ ٥/ ٢٠٠٧م. ـ الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٣١هـ. ـ ٢٢٣ ـ ٢٦٦.

٢٨ـ الجميل، محمَّد بن فارس. النبي ﷺ ويهود المدينة. ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ـ ٣٢٩ ص.

٢٩ـ الجندي، أنور. التراث الإسلامي والمستشرقون. ـ الهلال. ـ مج ٨٤، ع ١٠ (محرَّم ١٣٩٦هـ/ يناير١٩٧٦م). ـ ص ٦٠ ـ ٦٧.

٣٠ـ الجندي، أنور. الإسلام في وجه التغريب: مخطَّطات التبشير والاستشراق. ـ القاهرة: دار الاعتصام،(د. ت). ـ ٤٢٩ص.

٣١ـ الجندي، أنور. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي. ـ دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م. ـ ٤٣١ ص.

٣٢ـ الجندي، أنور. هزيـمة الاستشراق في ملتـقى الإسلام. ـ تونس: دار بوسلامة، (١٩٨٥م). ـ ٣١ ص.

٣٣ـ جيسير، فنسان. الإسلاموفوبيا: المخاوف الجديدة من الإسلام في فرنسا/ ترجمة محمَّد صالح ناجي الغامدي وقسم السيِّد آدم بله. ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١٩٢ص.

٣٤ـ الحاج، ساسي سالم. نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية. وأثرها في الدراسات الإسلامية. . ـ ٢ مج. . ـ بيروت: دار المدار الإسلامي. . ـ

٣٥ـ الحدَّاد، محمَّد أحمد مشهور. الاستشراق والمستشرقون. ـ أخبار العالم الإسلامي. ـ مج ٢٣، ع ١٠٧٤ (ومابعده).

٣٦ـ حسن، شمس إسماعيل. هذا العالم لمن: زيف الإسلاموفوبيا/ ترجمة عزَّة خليل وغادة طنطاوي، مراجعة مركز التعريب والترجمة. ـ بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢١٤ ص.

٣٧ـ حسن، محمَّد خليفة. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٨ـ حسن، محمَّد عبدالغني. عبدالله فكري. ـ القاهرة: الدار المصرية للطباعة، (د. ت). ـ (سلسلة أعلام العرب؛ . .).

٣٩ـ حسين، محمَّد محمَّد. الإسلام والحضارة الغربية. ـ ط ٥. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤٠ـ حمدان، نذير. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين. ـ ط ٢. ـ جدة: دار المنارة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ٢٠٧ ص.

٤١ـ حمدان، نذير. في الغزو الفكري: المفهوم، الوسائل، المحاولات. ـ الطائف: مكتبة الصديق، (د. ت). ـ ٣٧٥ص.

٤٢ـ حمدان، نذير. مستشرقون سياسيون، جامعيون، مجمعيون. ـ الطائف: مكتبة الصديق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ـ ٢٦٥ ص.

٤٣ـ الحميد، عبداللطيف. سقوط الدولة العثمانية: دراسة تاريخية في العوامل والأسباب. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. ـ ٩٤ ص.

٤٤ـ خالدي، مصطفى وعمر فرُّوخ. التبشير والاستعمار في البلاد الغربية: عرض لجهود المبشِّرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي. ـ صيدا: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨٢م. ـ ٢٧٤ ص.

٤٥ـ الخطيب، عمر عودة. لمحات في الثقافة الإسلامية. ـ ط ١٠. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ٣٨٢ ص.

٤٦ـ داغر، يوسف أسعد. مصادر الدراسات الأدبية. ـ بيروت: المطبعة المخلّصية، ١٩٦١م.

٤٧ـ دكميجان، ريتشارد هرير. الأصولية في العالم العربي. ـ ط٣/ ترجمة عبدالوارث سعيد. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ/ ١٩١٢م.

٤٨ـ دويدار، بركات عبدالفتاح. الحركة الفكرية ضد الإسلام. ـ مكَّة المكرَّمة: المركز العالمي للتعليم الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ. ـ ٢٤٨ ص.

٤٩ـ الديب، عبدالعظيم. المستشرقون والتراث. ـ المحرق (البحرين): مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ٤٥ ص.

٥٠ـ الراسي، جورج. الإسلام الجزائري: من عبدالقادر إلى أمراء الجماعات. ـ بيروت: دار الجديد، ١٩٩٧م. ـ ٥٧٥ ص.

٥١ـ رالي، أغسطس. مسيحيون في مكَّة/ ترجمة رمزي بدر. ـ لندن: دار الورَّاق، ٢٠٠٧م. ـ ٢٥٦ ص.

٥٢ـ رالي، أغسطس. مكَّة المكرَّمة في عيون رحَّالة نصارى/ نقله إلى العربية حسن سعيد غزالة وراجعه وعلَّق عليه محمَّد محمود السرياني ومعراج نوَّاب مرزا. ـ الرياض: دار الملك عبدالعزيز، ١٤٣٠هـ. ـ ٣١٤ ص.

٥٣ـ روا، أوليفيه. تجربة الإسلام السياسي/ ترجمة نصير مروّة. ـ بيروت: دار الساقي، ١٩٩٦م. ـ ص.

٥٤ـ الزغيبي، أحمد بن عبدالله. الفكر الصهيوني وأهدافه في المجتمع الإسلامي. ـ ٣ مج. ـ رسالة ماجستير في الثقافة الإسلامية قُدِّمت لقسم الثقافة الإسلامية بكليّة الشريعة بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥٥ـ زقزوق، محمود حمدي. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ١٤٠٥هـ. ـ ١٥٦ ص. ـ (سلسلة كتاب الأمة؛ ٥).

٥٦ـ زكريا، فؤاد. ـ الصحوة الإسلامية في ميزان العقل. ـ القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.

٥٧ـ زوربي، كارل. نموّ تأثير الأصولية الإسلامية في المجتمع المصري خلال حكم السادات. ـ ص ١٢٩ ـ ١٤٣.-.في: الاستشراق والإسلام/ ترجمة وإعداد فالح عبدالجبّار. ـ دمشق: دار المدى. ٢٠٠٦م. ـ ١٦٧ ص.

٥٨ـ الزيَّات، فاروق محمَّد. أمَّهات المؤمنين. ـ ميونـخ: شركة بفاريـا للنشر والإعلام، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م. ـ ١٩٠ ص. (بالألمانية).

٥٩ـ السامرَّائي، قاسم. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ١٦٨ ـ ١٩ص.

٦٠ـ السايح، أحمد عبدالرحمن. العلاقة بين الاستشراق والتنصير. ـ أخبار العالم الإسلامي. ـ مج ٢٤ ع ١١١ (ومابعده) (١٤ رجب ١٤٠٩هـ/ ٢٠ فبراير ١٩٨٩م).

٦١ـ السباعي، مصطفى. المستشرقون: ما لهم وما عليهم. ـ ط ٣. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٦٩ ص.

٦٢ـ السعد، نورة بنت خالد. التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي: دراسة في بناء النظرية الاجتماعية. ـ جدَّة: المؤلِّفة، ١٤١٨هـ. ـ ٣٢٠ص.

٦٣ـ سعيد،إدوارد. الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء. ـ ط ٢/ نقله إلى العربية كمال أبو ديب. ـ بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م، ٣٦٦ ص.

٦٤ـ سعيد، إدوارد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة

محمَّد عناني. ـ القاهرة: رؤية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م). ـ ٥٦٠ص.
٦٥ـ سعيد، إدوارد. تعقيبات على الاستشراق/ ترجمة وتحرير صبحي حديدي. ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٦٦م.
٦٦ـ سعيد، نفوسة زكريا. تاريخ الدعوة إلى العامّية وآثارها في مصر. ـ الإسكندرية: دار نشر الثقافة، ١٩٦٤م.
٦٧ـ السفياني، عابد بن محمَّد. المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسة وتطبيقًا. ـ مكَّة المكرَّمة: مكتبة المنارة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ـ ١٥٠ص.
٦٨ـ سمايلوفتش، أحمد. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. ـ القاهرة: دار الفكر العربي. ـ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ـ ٧٨٠ ص.
٦٩ـ السيِّد، رضوان. الصراع على الإسلام: الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٢٧٧ ص.
٧٠ـ شاتليه، ل. الغارة على العالم الإسلامي/ لخَّصها ونقلها إلى اللغة العربية مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب. ـ ط ٢. ـ جدَّة: منشورات العصر الحديث، ١٣٨٧هـ. ـ ٢٩٢ ص.
٧١ـ شاكر، محمود محمَّد. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. ـ القاهرة: دار الهلال، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م. ـ ٢٥٨ص. ـ (سلسلة كتاب الهلال؛ ٤٤٢).

٧٢ـ شامة، محمَّد بن. الإسلام في الفكر الأوروبي. ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ـ ٢٧٥ ص.

٧٣ـ الشرباصي، أحمد. التصوُّف عند المستشرقين. ـ القاهرة: مطبعة نور الأمل، ١٩٦٦م.

٧٤ـ الشرقاوي، محمَّد عبدالله. في الفكر الإسلامي المعاصر: الاستشراق، دراسات تحليلية وتقويمية. ـ القاهرة. ـ دار الفكر العربي، ١٩٩٣م.

٧٥ـ شعبان، أحمد بهاء الدين. حاخامات وجنرالات: الدين والدولة في إسرائيل. ـ (القاهرة): نوَّارة للترجمة والنشر، ١٩٦٦م.

٧٦ـ الشكعة، مصطفى. مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس. ـ في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. ـ ٢ مج. ـ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٢: ٢٧٣ ـ ٣٤٣.

٧٧ـ شلبي، أحمد. الاستشراق: تاريخه وأهدافه، شبهات المستشرقين ضدَّ الإسلام: مناقشتها وردّها. ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. (د. ت). ـ ٢١٢ ص.

٧٨ـ الصغير، محمَّد حسين علي. المستشرقون والدراسات القرآنية. ـ ط ٢. ـ بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ١٣٤ ص.

٧٩ـ طاشكندي، عبَّاس صالح. الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق

التراث العربي المخطوط. ـ عالم الكتب. ـ مج ٥، ع ١ (رجب ١٤٠٤هـ ـ ١ إبريل ١٩٨٤م). ـ ص ٥ ـ ١٤.

٨٠ـ عاقل، نبيه. المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي. ـ في: محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرُّف على الفكر الإسلامي. ـ الجزائر: وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. ـ ص ١٨٥ ـ ٢١٧.

٨١ـ عبدالفتَّاح، محمد عبدالحليم. كلام في الممنوع: الاختراق اليهودي للفاتيكان، الموساد ـ الفاتيكان ـ وتنصير العالم؛ ملفٌّ قاتم وتقارير سوداء. ـ القاهرة: المؤلِّف، ٢٠٠٥م. ـ ٢٤٢ص.

٨٢ـ ابن عبّود، محمَّد. الاستشراق والنخبة العربية. ـ المجلَّة التاريخية المغربية. مج ٩، ع ٢٧ و٢٨ (١٩٨٢م). ـ ص ١٩٩ ـ ٢١٥.

٨٣ـ ابن عبّود، محمَّد. منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي. ـ في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. ـ ٢ مج. ـ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٢: ٣٤١ ـ ٣٩١.

٨٤ـ عبدالحميد، عرفان. المستشرقون والإسلام: محاولة أولية لتفهُّم الأسس التاريخية لطبيعة العلاقات الفكرية بين الإسلام والغرب. ـ ط ٢. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٠م. ـ ٢٩ص.

٨٥ـ عبدالغني، مصطفى. المستشرقون الجدد: دراسة في مراكز الأبحاث الغربية. ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧م. ـ ١٧٤ ص.

٨٦ـ عبدالهادي، نوال. لغة الضاد بين التشكيك والتحديث. ـ المجلة العربية. ـ ع ١٣٤ (٣/ ١٤٠٩هـ ـ ١٠/ ١٩٨٨م). ـ ص ٩٢ ـ ٩٣.

٨٧ـ عتر، حسن ضياء الدين. الاستشراق: نشأته وأهدافه. ـ مجلة كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية بمكّة المكرّمة. ـ مج ٤، ع ٥. ـ (تاريخ) ص ٢٣ ـ ٥٩.

٨٨ـ عثمان، محمود عبدالحيكم. جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي. ـ الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠١هـ. ـ ٢٧٢ ص.

٨٩ـ العثيمين، محمَّد بن صالح. الصحوة الإسلامية: ضوابط وتوجيهات/ إعداد وترتيب أبو أنس علي بن حسين أبو لوز. ـ الرياض: دار المجد. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٩٠ـ عدنان، سعيد. تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي لعبدالجبّار ناجي. ـ عالم الكتب. ـ مج ٥ ع ٥ (رجب١٤٠٤هـ/ إبريل١٩٨٤م). ـ ص ٢١٢ ـ ٢١٥.

٩١ـ عريبي، محمَّد ياسين. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي: نقد العقل التاريخي ـ ١ ـ . ـ الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٩١م.

٩٢ـ عزوزي، حسن. ظاهرة الاستشراق الصحفي. ـ الوعي الإسلامي. ـ ع ٤٠٣ (ربيع الأوَّل ١٤٢٠هـ/ يونيو ـ يوليو ١٩٩٩م). ـ ص ٥٨ ـ ٥٩.

٩٣ـ العسري، محمَّد عبدالواحد. الإسلام في تصوُّرات الاستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى آسين بلاثيوس. ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٤٢٠ص.

٩٤ـ العشماوي، عبدالرحمن بن صالح. وقفة مع جرجي زيدان. ـ ط٢. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ١٢٣ص.

٩٥ـ العشَّة، فرج. نهاية الأصولية ومستقبل الإسلام السياسي. ـ بيروت: رياض الريس، ٢٠٠٩م. ـ ٢١٩ ص.

٩٦ـ العظم، صادق جلال. ذهنية التحريم: سلمان رشدي وحقيقة الأدب. ـ لندن: رياض الريس، ١٩٩٢م.

٩٧ـ العقَّاد، عبّاس محمود. إسلاميات: عبقرية عليّ. ـ القاهرة: دار الشعب، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م. ـ ١٥١ ص.

٩٨ـ العقَّاد، عبّاس محمود. ما يقال عن الإسلام. ـ القاهرة: دار الهلال ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م. ـ ٢٢٥ ص. ـ (سلسلة كتاب الهلال؛ ١٨٩).

٩٩ـ العقل، ناصر بن عبدالكريم. من قضايا الصحوة: حاجة

الصحوة إلى الفقه في الدين. العلماء هم الدعاة وظواهر وسمات يجب تجنُّبها. ـ الرياض: دار المسلم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٠٠ـ العقيقي، نجيب. المستشرقون. ـ ٣ مج. ـ ط ٥. ـ القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦م.

١٠١ـ العلاني، محمَّد العجمي. الاستشراق الفرنسي والأدب العربي القديم: رجيس بلاشير إنموذجًا. ـ تونس: المؤلف، ١٩٨٨م. ـ ٢٠٨ ص.

١٠٢ـ عليّان، محمَّد عبدالفتّاح. أضواء على الاستشراق. ـ الكويت: دار البحوث العلمية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ـ ١٢٠ص.

١٠٣ـ عمارة، محمَّد. الأصولية بين الغرب والإسلام. ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ـ ٩٦ ص.

١٠٤ـ عمارة، محمَّد. الصحوة الإسلامية والتحدِّي الحضاري. ـ القاهرة: دار المستقبل العربي. ١٩٨٥م.

١٠٥ـ غراب، أحمد عبدالحميد. رؤية إسلامية للاستشراق. ـ ط ٢. ـ لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ.

١٠٦ـ غويتسلو، خوان. في الاستشراق الإسباني/ تعريب كاظم جهاد. ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م. ـ ص ١٥٣ ـ ١٦٣،

١٠٧ـ الفاسي، علاّل. التبشير أخطر أسلحة الاستعمار. ـ الهلال

مج ٨١، ع ١٠ (أكتوبر ١٩٨٣م ـ رمضان ١٣٩٣هـ). ـ ص ٦٠ ـ ٧٠.

١٠٨ـ فرُّوخ، عمر. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة. ـ في: الإسلام والمستشرقون/ تأليف نخبة من العلماء المسلمين. ـ جدَّة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ص ١٢٥ ـ ١٤٣.

١٠٩ـ فتح الباب، مجدي محمد. موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية. ـ القاهرة: دار الروضة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ـ ص ٥٠ ـ ٦٨.

١١٠ـ الفيُّومي، محمَّد بن إبراهيم. الاستشراق رسالة الاستعمار: تطور الصراع الغربي مع الإسلام. ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٣م.

١١١ـ القاضي، محمَّد عبدالرحمن. ميغيل آسين بلاثيوس ((MIGUEL ASIN PALACIOS (1871-1944) رائد الاستعراب الإسباني المعاصر. ـ الرياض: المجلة العربية، ١٤٣١هـ. ـ ص ٨ ـ ١١. ـ (سلسلة كتاب المجلة العربية؛ ١٦٧).

١١٢ـ القرضاوي، يوسف. الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم: دراسة في فقه الاختلاف في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية. ـ ط ٢. ـ القاهرة: دار الصحوة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١١٣ـالقرضاوي، يوسف. الصحوة بين الجحود والتطرُّف. ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية. ـ ١٤٠٢هـ. ـ (سلسلة كتاب الأمَّة؛ ٢).

١١٤ـالكعَّاك، عثمان. صفحات سوداء من تاريخ المبشرين. ـ الهلال. ـ مج ٨١. ١٠ (أكتوبر ١٩٧٣م/ رمضان ١٣٩٣هـ). ـ ص ٣٨ ـ ٤٩.

١١٥ـكيبل، جيل. يوم الله: الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث/ ترجمة نصير مروّة. ـ ليماصول (قبرص): دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، تاريخ.

١١٦ـالكيلاني، إسماعيل. لماذا يزيِّفون التاريخ ويعبثون بالحقائق؟!. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ـ ٣٥١ ص.

١١٧ـلانداو، ديفيد. الأصولية اليهودية: العقيدة والقوة/ ترجمة مجدي عبدالكريم. ـ القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١١٨ـلمعي، القسّ إكرام. الاختراق الصهيوني للمسيحية. ـ القاهرة: دار الشروق، ٢١٦ ص.

١١٩ـلويس، برنارد وإدوارد سعيد. الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية. ـ بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٢٠ـلويس، برنارد. لغة السياسة في الإسلام/ ترجمة إبراهيم شتا. ـ قبرص: دار قرطبة، ١٩٩٣م.

١٢١ـمحمود، علي عبدالحليم. الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام. ـ في: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام. ـ من البحوث المقدَّمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦هـ. ـ الرياض: الجامعة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م. ـ ص: ٣٠ ـ ١٧٣.

١٢٢ـمراد، يحيى. معجم أسماء المستشرقين. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٧٤٢ ص.

١٢٣ـالمسيري، عبدالوهَّاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ـ ط ٢. ـ ٢ مج. ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٩م. ـ ١: ١٥٦ ـ ١٥٨.

١٢٤ـمطبَّقاني، مازن بن صلاح. الاستشراق والاتِّجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ٦١٤ ص.

١٢٥ـمطبَّقاني، مازن بن صلاح. الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة. ـ المدينة المنوّرة: مكتبة ابن القيِّم، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

١٢٦ـمكتب التربية العربي لدول الخليج والمنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. ـ ٢ مج. ـ الرياض: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٢٧ـالمنجِّد، صلاح الدين. الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله. ـ الهلال. ـ مج ٨٢، ع ١٠ (شوال١٣٩٤هـ/ نوفمبر ١٩٧٤م). ـ ص ٢٢ ـ ٢٧.

١٢٨ـالمنجِّد، صلاح الدين. المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م. ـ ١٩١ ص.

١٢٩ـالمنجِّد، صلاح الدين. المنتقى من دراسات المستشرقين: دراسات مختلفة في الثقافة العربية. ـ ج ١. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. ـ ٢٤٨ص.

١٣٠ـمنسّى، بشارة. العروبة والأصولية الدينية. ـ بيروت: رياض الريِّس، ٢٠٠٧م. ـ ص ٢٥ ـ ٣٩.

١٣١ـالميداني، عبدالرحمن حسن حبنّكه. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار: دراسة وتحليل وتوجيه. ـ ط ٤ ـ دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ. ـ ٦٩٨ ص. ـ (سلسلة أعداء الإسلام؛ ٣).

١٣٢ـالناكوع، محمود محمَّد. الصحوة الإسلامية وقضايا للتحاوُر. ـ لندن: دار ابن قدامة. ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٣٣ـبن نبي، مالك. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. ـ بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م. ـ ٤٨ص. ـ (سلسلة مفاهيم إسلامية).

١٣٤ـالنحوي، عدنان على رضا. الصحوة الإسلامية إلى أين. ـ ط ٢. ـ الرياض: دار النحوي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٢م.

١٣٥ـالندوي، أبو الحسن على الحسني. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين في الموضوعات الإسلامية. ـ ط ٢. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٨٢ ص.

١٣٦ـالندوي، أبو الحسن علي الحسني. المسلمون تجاه الحضارة الغربية. ـ جدَّة: دار المجتمع، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٣٧ـالنشمي، عجيل. صحوة التديُّن والواقع المعاصر. ـ ط ٣. ـ دبي: جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي، (د. ت). ـ ص.

١٣٨ـالنظامي، خليل أحمد. عهود متعدِّدة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم. ـ في: الإسلام والمستشرقون/ تأليف نخبة من العلماء المسلمين. ـ جدَّة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ص ١٠٣ ـ ١٢٤.

١٣٩ـنقرة، التهامي. القرآن والمستشرقون. ـ في: مناهج المستشرقين في: الدراسات العربية الإسلامية. ـ ٢ مج. ـ الرياض: مكتب التربية العربية لدول الخليج، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ١: ١٩ ـ ٥٧.

١٤٠ـالنملة، على بن إبراهيم الحمد. الاستشراق: مواقف

ومواقف. ـ مجلّة الحرس الوطني. ـ مج ٧ ع ٤٤ (شوال ١٤٠٦هـ/ يونيه ١٩٨٦م). ـ ص ٤٤ ـ ٤٥.

١٤١ـ النملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق والإسلام في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٢٤ ص.

١٤٢ـ النملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٥٦ ص.

١٤٣ـ النملة، علي بن إبراهيم الحمد. إشكالية المصطلح في الفكر العربي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٤٨ ص.

١٤٤ـ النملة، علي بن إبراهيم. الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح. ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ص ٧١ ـ ٧٢. ـ (سلسلة الأعمال المحكَّمة؛ ٩٧).

١٤٥ـ النملة، علي بن إبراهيم الحمد. التنصير: المفهوم ـ الوسائل ـ المواجهة. ـ ط ٥. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٧٠ ص.

١٤٦ـ النملة، علي بن إبراهيم الحمد. العلاقة بين الاستشراق والاستعمار. ـ التوباد. ـ مج ١ ع ٤ (شوال ١٤٠٨هـ/ يونيو١٩٨٨م). ـ ص ٣٨ ـ ٤٢.

١٤٧ـالنملة، علي بن إبراهيم الحمد. المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرقين المنصِّرين. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ـ ١٧٨ص.

١٤٨ـالنملة، علي بن إبراهيم. المستشرقون والسنَّة والسيرة في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ١٥٧ ص.

١٤٩ـالنملة، علي بن إبراهيم. المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٦٩ ص.

١٥٠ـالنملة، علي بن إبراهيم. مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. ـ ٢٦٢ ص.

١٥١ـالنملة، علي بن إبراهيم. نقد الاستشراق في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٣٠٣ ص.

١٥٢ـالنملة، علي بن إبراهيم. نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٨٠ ص.

١٥٣ـالنملة، علي بن إبراهيم. هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٢٣٠ ص.

١٥٤ـهارون، عبدالسلام. تهذيب سيرة ابن هشام. ـ ط ٢. ـ

القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

١٥٥ـ هاليداي، فريد. الإسلام والغرب: خرافة المواجهة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط/ ترجمة عبدالإله النعيمي. ـ بيروت: دار الساقي، ١٩٩٧م.

١٥٦ـ هانتينجتون، صموئيل بي. الإسلام والغرب: آفاق الصراع/ ترجمة مجدي شرشر. ـ القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. ـ ١٢٨ ص.

١٥٧ـ هانتينجتون، صاموئيل. صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي. ـ ط ٢/ ترجمة طلعت الشايب. ـ القاهرة: شركة سطور، ١٩٩٩م. ـ ٥٢٠ ص.

١٥٨ـ هُب، غِرهرد. العرب في المحرقة النازية: ضحايا منسيّون/ ترجمة محمد حديد، مراجعة زياد مدني. ـ دمشق: قَدمُس، ٢٠٠٦م. ـ ١٥٣ ص.

١٥٩ـ هورخرونيه، ك. سنوك. صفحات من تاريخ مكّة المكرّمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ نقله إلى العربية محمَّد بن محمود السرياني ومعراج بن نوَّاب مرزا. ـ مكَّة المكرَّمة: النادي الثقافي الأدبي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. ـ ٢: ١٢ ـ ١٧.

١٦٠ـ هورخرونيه، ك. سنوك. صفحات من تاريخ مكّة المكرّمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ نقله إلى العربية علي عودة الشيخ، وأعاد صياغته وعلَّق عليه محمَّد بن محمود السرياني ومعراج بن نوَّاب مرزا. ـ ٢ مج. ـ الرياض: دارة الملك

عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. - ٧٢٧ ص. - (سلسلة مكتبة الدارة المئوية).

١٦١-هوفمان، مراد. الإسلام كبديل. - الكويت. مجلة النور الكويتية. - ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٦٢-هيربيك، إيفان. الانبعاث الإسلامي المعاصر من منظار تاريخي: أفكار حول الأزمة والنهوض في الإسلام. - في: الاستشراق والإسلام/ ترجمة وإعداد فالح عبدالجبّار. - دمشق: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، ١٩٩١م. - ص ١١١ - ١٢٠.

١٦٣-وزّان، عدنان محمَّد. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر. - مكَّة المكرَّمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. - ٢١١ ص. - (سلسلة دعوة الحق؛ ٢٤).

المراجع الأجنبية:

1 - Akhtar, Karam and Ahmad H. Sakr. Islamic Fundamentalism -. (s.l).: The Authors, 1982.

2 - Dekmejian, R. Hrair. Islam in Revolution: Fundamentalism in the Arab World - .Syracuse: Syracuse University Press, 1985.

3 - Esposito, John. The Islamic Threat: Myth or Reality- . New York: Oxford University Press -. 1992.

4 - Lewis, Bernard: The Political Language of Islam-. Chicago: The University of Chicago Press., 1988.

5 - Piscatori, James. Islamic Fundamentalism and the Gulf Crisis-. Chicago: the American Academy of Arts and Sciences., 1991.

6 - Rodinson, Maxime. Europe and the Mystique of Islam/ Translated by Roger Veinus-. Seatle: University of Washington Press., 1991

7 - Ruthven, Malise. Islam in the World-. Middlesex: Penguin books., 1984.

8 - Said, Edward W.. Orientalism. Middleesex, England: Penguin., 1978.

9 - Siddiqi, Shamim A. S. The Revival of the Muslim Ummah-. The Forum for Islamic Work., 1996.

10- Yousef, Ahmad bin, and Ahuljobain. The Politics of Islamic Resurgence Through Western Eyes: A Bibliographic Survey. Springfield: The United Association for Studies and Researh. Inc., 1992.

السيرة الذاتية للمؤلف

- الاسم: علي بن إبراهيم الحمد النملة.
- مكان الميلاد: البكيرية بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية.
- تاريخ الميلاد: ١/ ٢/ ١٣٧٢هـ الموافق ١٩/ ١٠/ ١٩٥٢م.
- التعليم العامّ: الرياض ١٣٧٧ ـ ١٣٩٠هـ.
- الدراسة الجامعية: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية. ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م. التخصُّص: اللغة العربية.
- الماجستير: جامعة فلوريدا الحكومية بتالاهاسي في الولايات المتَّحدة الأمريكية. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. التخصُّص: المكتبات والمعلومات.
- الدكتوراه: جامعة كيس وسترن رزرف بكليفلاند، أوهايو في الولايات المتَّحدة الأمريكية. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. التخصُّص: المعلومات والمكتبات.

- أستاذ: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- باحث في معهد العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت بألمانيا ١٤٠٥ ـ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦م.
- مدير الشؤون الدراسية بالملحقية الثقافية السعودية في واشنطن، بالولايات المتَّحدة الأمريكية ١٤٠٩ ـ ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- مدير عام الهيئة العامَّة لجمع التبرُّعات للمجاهدين الأفغان ١٤١٠ ـ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٠ ـ ١٩٩٢م.
- عضو مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ ـ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٤ ـ ١٩٩٩م.
- وزير العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ ـ ١٤٢٥هـ/ ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٤م.
- وزير الشؤون الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- أستاذ المكتبات والمعلومات بكليّة علوم الحاسب الآلي بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- عضو عدد من جمعيات القطاع الثالث.
- باحث في الشأن الاستشراقي والتنصيري والعلاقات الفكرية والحضارية بين الشرق والغرب.

الأعمال العلمية:

أولاً: الكتب:

١ ـ الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعولمة. ـ الرياض: جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٥٠ ص.

٢ ـ الاستشراق في الأدبيَّات العربية: عرض للنظرات ورصدٌ وراقي للمكتوب. ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ـ ٣٧٠ ص.

٣ ـ الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر المستشرقين ومصدريَّتهم. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ـ ٢٦٢ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٣).

٤ ـ إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي: دراسة تحليلية، ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة. ـ الرياض: المؤلف، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. ـ ١٩٨ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٤).

٥ ـ إِشْكَالية المُصطلَحِ في الفِكرِ العَرَبِي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٢٤٨ ص.

٦ ـ الالتفاف على الاستشراق: محاولات التنصُّل من المصطلح. ـ

الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ١٨٢ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٥).

٧ ـ تأمُّلات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان والتحدِّيات. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ٢٥٠ ص.

٨ ـ التنصير في الأدبيَّات العربية. ـ الرياض: جامعة الإمام محمّد ابن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. ـ ٢٧٢ ص.

● التنصير في المراجع العربية: دراسة ورصد وراقي للمطبوع. ـ ط ٢. ـ الرياض: جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٤١٩ ص.

٩ ـ التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. ـ القاهرة: دار الصحوة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ـ ١٢٠ ص.

● التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. ـ ط ٢. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. . ـ ١٥٢ ص.

● التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. ـ ط ٣. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ١٦٧ ص.

● التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. ـ ط ٤. ـ الرياض: المؤلِّف: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٢٤٨ ص.

● التنصير: المفهوم ـ الوسائل ـ المواجهة. ـ ط ٥. ـ بيروت: مكتبة بيسان: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٧٠ ص.

١٠ـ ثقافة العبث: سلوكيات عبثية في زمن الفاقة. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٢٤٥ ص.

١١ـ الجهاد والمجاهدون في أفغانستان: وقفات تقويم. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ١٢٥ ص.

١٢ـ السعوديُّون: الثبات والنماء.. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.. ـ ٣١٤ ص.

١٣ـ السعوديُّون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميُّز في زمن العولمة.. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.. ـ ٢٤٥ ص.

١٤ـ الشرق والغرب: محدِّدات العلاقات ومؤثِّراتها. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٢٤٨ ص.

- الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّداتها. ـ ط ٢. ـ بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م. ـ ١٧٣ ص.
- الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّداتها. ـ ط ٣. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٣٥٢ ص.

١٥ـ الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسرًا. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ١٥٢ ص.

١٦ـ صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١٧١ ص. ـ (سلسلة نقد العقل المعاصر).

١٧ـ ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات.. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٢١٠ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ١).

● كُنه الاستشراق: المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات. ـ ط ٢. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. ـ ٢٤٦ ص.

١٨ـ العمل الاجتماعي والخيري في منطقة الخليج العربية: التنظيم ـ التحدِّيات ـ المواجهة. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٣١١ ص.

١٩ـ الفكر بين العلم والسلطة: من التصادُم إلى التعايُش. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٢٧٧ ص.

● الفكر بين العلم والسلطة: من التصادُم إلى التعايُش. ـ ط ٢. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٢٩٠ص.

٢٠ـ فكر الانتماء في زمن العولمة: وقفات مع المفهومات والتطبيقات. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ـ ٣٢٤ ص.

٢١ـ فكر التصدِّي للإرهاب: وقفات مع المفهوم والأسباب والأوزار. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ ١١٣ ص.

٢٢ـ مجالات التأثُّر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ١٧٧ ص.

٢٣ـ مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ـ ١٣٢ ص.

● مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. ـ ط ٢. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٢٠٠ ص.

● النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. ـ ط ٣. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ـ ٢٠٤ ص.

● التجسير الحضاري بين الأمم في ضوء تناقُل العلوم والآداب والفنون. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١١١ص.

٢٤ـ المستشرقون والإسلام في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٢٤ ص. ـ (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٩).

٢٥ـ المستشرقون والسنَّة والسيرة في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ١٥٧ ص. ـ (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ١١).

٢٦ـ المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٦٩ ص. ـ (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ١٠).

٢٧ـ المستشرقون وعلوم المسلمين في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٥٦ ص. ـ (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ١٢).

٢٨ـ المستشرقون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر. ـ ط٢. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ١٩١ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٢).

٢٩ـ مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ـ ٥٦ ص. ـ (ضُمِّن في كتاب: الاستشراق والدراسات الإسلامية).

٣٠ـ المكتبات والمعلومات السعودية: وقفات صحفية. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ٢٨٤ ص.

٣١ـ مصادر المعلومات عن الأدب الجاهلي: رصد وراقي. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.. ـ ٢٦٠ ص. (بالاشتراك مع: أ. د. عفيف محمَّد عبدالرحمن).

٣٢ـ المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرقين المنصِّرين. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ـ ١٧٨ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٤).

٣٣ـ مواجهة الفقر: المشكلة وجوانب المعالجة. ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٣٩ ص. ـ (سلسلة كُتيِّب المجلَّة العربية؛ ٩٠). (بالاشتراك مع: أ. د. صالح بن محمَّد الصغيِّر).

٣٤ـ نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية. ـ الرياض:

مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٣٠٣ ص. ـ (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٨).

٣٥ـ نقد الفكر الاستشراقي: الإسلام، القرآن الكريم، الرسالة. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٧٩ ص.

٣٦ـ هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٢٣٠ ص.

٣٧ـ وبشِّر الصابرين: كلماتٌ في رجال تركوا أثرًا. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٢٤٠ ص.

● وبشِّر الصابرين: كلماتٌ في رجال تركوا أثرًا. ـ ط ٢. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٢٩٨ ص.

٣٨ـ الوراقة وأشهر أعلام الورَّاقين: دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. ـ ١٩٠ ص.

٣٩ـ وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية. ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٦٦ ص. ـ (سلسلة كُتيِّب المجلَّة العربية؛ ٧٣).

● وقفات حول العولمة وتنمية الموارد البشرية. ـ القاهرة: مجلَّة العمل، ٢٠٠٣م. ـ ٤٦ ص. (سلسلة كتاب العمل؛ ٥٢٥).

● العولمة وتهيئة الموارد البشرية في منطقة الخليج العربية. ـ ط٢. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١٧٦ ص.

40- Infrastructure of Information Needs and Resources in the Country of Saudi Arabia: an Assessment-. Ph. D. Dissertation-. Cleveland, Ohio (USA): Matthew A. Baxter School of Information and Library Science, Case Western Reserve University, May 1984 - 280p.

ثانيًا: مقالات وبحوث علمية: (مرتَّبةٌ هجائيًّا)

١ ـ الاتِّجار بالبشر: العلاج بالوقاية. ـ ورقة عمل مقدَّمة للحلقة العلمية حول مكافحة الاتِّجار بالأطفال بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض محرَّم ١٤٢٧هـ/ فبراير ٢٠٠٦م. ـ ١٧ ص.

٢ ـ أثر الاستشراق في الحملة على رسول الله ﷺ. ـ مجلّة الجامعة الإسلامية. ـ ع ١٤٧ مج ٤٢ (١/ ١٤٣٠هـ ـ ديسمبر ٢٠٠٨م). ـ ص ١٦٥ ـ ٢٠٣.

٣ ـ أثر مؤسَّسات المجتمع المدني في التعامُل مع مؤتمرات المرأة. ـ البحرين: الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية عن المرأة وآثارها على العالم الإسلامي، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. ـ ٢٠ ص.

٤ ـ الإرهاب: المفهوم والهُوية. ـ الكويت: وزارة التعليم العالي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٥ ـ الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعولمة. ـ القاهرة: مؤتمر اتِّحاد المؤرِّخين العرب، ٨/ ١١/ ١٤٢٩هـ ـ ٦/ ١١/ ٢٠٠٨م. ـ ٣٨ ص.

٦ ـ الاستشراق مصدرًا من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي: قضايا المسلمين المعاصرة، الصحوة «الأصولية. ـ في: ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي. ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ـ ٣٤ ص.

٧ ـ الاستشراق والإسلام: مقدِّمة لنقد وراقي «ببليوجرافي». ـ مجلة جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية. ـ

٨ ـ الاستشراق والإعجاز في القرآن الكريم: دراسة في النقد الذاتي للاستشراق. ـ ص ٢٥١١ ـ ٢٥٣٤. ـ في: المؤتمر الدولي الثالث: العلوم الإسلامية والعربية وقضايا الإعجاز في القرآن والسنَّة بين التراث والمعاصرة ١٤ ـ ١٦ صفر ١٤٢٨هـ الموافق ٤ ـ ٦ مارس ٢٠٠٧م. ـ المنيا: كليّة دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٩ ـ الاستشراق والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين تؤثِّران على فكر الشباب تلقِّيًا وتفاعُلاً. ـ في: المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي. ـ عمَّان: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. ـ ٢٦ ص.

١٠ ـ الاستشراق والقرآن الكريم: مقدِّمة لنقد وراقي «ببليوجرافي». ـ مجلة البحوث والدراسات القرآنية (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوَّرة). ـ ع ٣ (١/ ١٤٢٨هـ/ ١/ ٢٠٠٧م). ـ ص ١٩٥ ـ ٢٢٩.

١١ ـ الاستشراق مصدر من مصادر المعلومات عن التراث. ـ في:

دراسات إسلامية. ـ بريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ـ ص: ٦٩ ـ ٩٩.

١٢ـ إِشْكَالِيَّةُ المُصطلَحِ المَنقُولِ للعَرَبِيَّةِ: نَظرَةٌ عامَّةٌ وَنَمَاذِج. ـ (محاضرة) الدمّام: منتدى الزامل، ٢٢/ ٥/ ١٤٣٠هـ ـ ١٧/ ٥/ ٢٠٠٩م.

١٣ـ الإصلاح في دور الرعاية (محاضرة). جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية والغرفة التجارية الصناعية بجدَّة. ـ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ ١٠ ص.

١٤ـ اضطراب المصطلح المنقول من الآخر: نماذج من مصطلحات قلقة. ـ المنيا: كليّة دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٣٧ ص.

١٥ـ الإعلام وآثاره الإيجابية والسلبية في حياة الأقليَّات المسلمة. ـ في: ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي: فقه الأقليَّات ٨ ـ ١٠/ ٤/ ١٤١٩هـ الموافق ٣١/ ٧ ـ ٢/ ٨/ ١٩٩٨م. ـ ١٨ ص.

١٦ـ الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة. ـ أدنبرة: جامع خادم الحرمين الشريفين بأدنبرة.

١٧ـ الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح. ـ ص ٧٣٧ ـ ٧٧٥. ـ في: المؤتمر الدولي الثاني: المستشرقون والدراسات العربية الإسلامية ٤ ـ ٦ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٤ ـ ٦ مارس ٢٠٠٦م. ـ المنيا: كليّة دار

العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. - ١٥٦١ ص.
١٨ـ أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها، ومعوِّقات الإفادة منها. - العقيق. - ع ٢٧ - ٢٨ (رمضان - ذو الحجَّة ١٤٢٠هـ/ ديسمبر ١٩٩٩ - مارس ٢٠٠٠م). - ص ٢٥١ - ٢٧٢.
ونشرت في: بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية المنعقدة في المدينة المنوَّرة في المدَّة من ٢٥ ـ ٢٧ محرَّم ١٤٢٠هـ. - الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. - ص ٥٤٥ ـ ٥٧٠.
١٩ـ البطالة والفقر في البلاد العربية وأثرهما على الخطَّة الأمنية العربية. - ورقة مقدَّمة في: ملتقى الإستراتيجيات الأمنية العربية: الواقع والتطلُّعات الذي عقدته جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالخرطوم من ٣ ـ ٦/ ١/ ١٤٣١هـ ـ ٢١ ـ ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠٩م. - ٤٣ ص.
٢٠ـ البنية الأساسية لنظامٍ وطنيٍّ للمعلومات. - مكتبة الإدارة. - مج ١٣ ع ١ (محرَّم ١٤٠٦هـ/ أكتوبر ١٩٨٥م). - ص ٢٦٣ ـ ٢٨١.
٢١ـ التجهيزات الأساسية للمعلومات. - مكتبة الإدارة. - مج ١٢، ع ٢ (جمادي الأولى ١٤٠٥هـ/ يناير - فبراير ١٩٨٥م). - ص ٢٣ - ٣٨.
٢٢ـ التجَّار والمسؤولية الاجتماعية. - القصيم. - ع ١١٤ (٣/ ١٤٢٨هـ ـ ٣/ ٢٠٠٧م). - ص ١٠ ـ ١١.

٢٣ـ التَّنصـــيرُ القَسْريُّ وَأَثَرُهُ فِي التَّعَدِّي عَلَى الحُرِّيَّاتِ الدِّينِيَّة. ـ الرياض: هيئة حقوق الإنسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٥٠ص.

٢٤ـ تنمية العمل الخيري. ـ الدوحة: مؤسَّسة عيد بن محمَّد آل ثاني الخيرية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٥ـ تنمية العمل الاجتماعي: تحقيق المسؤولية الاجتماعية (محاضرة). ـ الدمّام: مجلس الحصيني، ١٠/ ٥/ ١٤٣٠هـ ـ ٥/ ٥/ ٢٠٠٩م. ـ ٢٤ ص.

٢٦ـ تنمية العمل الاجتماعي في دول الخليج العربية بين الواقع وتطلُّعات المستقبل. ـ لندن: مركز الإمارات للدراسات والإعلام، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٤٣ ص.

٢٧ـ الثوابت والإستراتيجيات في الإعلام السعودي. ـ في: وزارة الإعلام. مسيرة الإعلام السعودي. ـ الرياض: الوزارة، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م). ـ ص ١٠١ ـ ١١٧.

٢٨ـ خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية: عرض لما كُتب باللغة الإنجليزية. ـ حولية المكتبات والمعلومات (قسم المكتبات والمعلومات بكليّة العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض). ـ ع ١ (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م). ـ ص ١٠٣ ـ ١٢٩.

٢٩ـ الخدمات المكتبية للمعاقين في المناطق الصناعية. ـ مجلّة المكتبات والمعلومات العربية. ـ مج ٦ ع ٢ (٨/ ١٤٠٦هـ ـ ٤/ ١٩٨٦م). ـ ص ٥٥ ـ ٦٤.

٣٠ـ خواطر حول إدارة العمل الاجتماعي. ـ الرياض: كليّة اليمامة، (يوم الاثنين ٢٢/ ١٠/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٣/ ١١/ ٢٠٠٦م). ـ ١٤ ص.

٣١ـ دار الوراقة الخليجية. ـ عالم الكتب. ـ

٣٢ـ رحلات المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين. ـ مجلَّة مكتبة الملك فهد الوطنية. ـ مج ١ ع ١ (محرَّم ـ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ/ يوليو ـ ديسمبر ١٩٩٥م). ـ ص ٣٩ ـ ٨١.

٣٣ـ العجز في القوى العاملة وتأثيره على خدمة الكتاب. ـ عالم الكتب. ـ مج ٥ ع ٣ (١/ ١٤٠٥هـ ـ ١٠/ ١٩٨٤). ـ ص ٤٨٣ ـ ٤٩٢.

٣٤ـ علي كُراع النمل. ـ مجلَّة الحرس الوطني. ـ مج ؟؟ ع ؟ (؟؟/ ؟؟/ ؟؟؟١٤هـ ـ ؟١٩٨م). ـ ص ؟؟؟ ـ ؟؟؟.

٣٥ـ العمل الاجتماعي والتحدِّيات المعاصرة. ـ المدينة المنوَّرة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ (محاضرة).

٣٦ـ العمل التطوُّعي. الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية. ـ ١/ ٢/ ١٤٣٠هـ ـ ٢٧/ ١/ ٢٠٠٩م. ـ (محاضرة).

٣٧ـ عوامل يلزم اعتبارها عند التخطيط لبرامج المكتبات والمعلومات في المناطق النامية. ـ عالم الكتب. ـ مج ٣ ع ١ (٧/ ١٤٠٢هـ ـ ٤/ ١٩٨٢م). ـ ص ٦ ـ ١٠.

٣٨ـ العولمة الفكرية. ـ دارين الثقافية. ـ ع ١١ (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م). ـ ص ١٦ ـ ٢٢.

٣٩ـ العولمة وتهيئة الموارد البشرية. ـ الدوحة: وزارة الطاقة والصناعة في ٢٣ ـ ٢٥/٢/ ١٤٢٣هـ الموافق ٦ ـ ٨/ ٢٠٠٢م. ٣٠ ص. (محاضرة).

٤٠ـ كتاب الفوائد النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة لأبي حامد المقدسي (٨١٩ ـ ٨٨٨؟) (تحقيق ونشر). ـ العصور. ـ مج ٣ ع ٢ (١١/١٤٠٨هـ ـ ٧/ ١٩٨٨م). ـ ص ٣١٣ ـ ٣٥٨.

٤١ـ كُنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف. ـ في: دراسات استشراقية وحضارية: كتاب دوري محكَّم، ع ١. ـ المدينة المنوَّرة: كليّة الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ـ ص ٢٢ ـ ٦٠.

٤٢ـ مراصد «بنوك» المعلومات والجامعات العربية. ـ مجلّة المكتبات والمعلومات العربية. ـ مج ٨ ع ٣ (١١/١٤٠٩هـ ـ ٧/ ١٩٨٨م. ـ ص ٥ ـ ٢٨.

٤٣ـ مستقبل الكتاب المطبوع. ـ عالم الكتب. ـ مج ٣ ع ٢ (١٠/ ١٤٠٢هـ ـ ٧/ ١٩٨٢م). ـ ص ١٦٢ ـ ١٧٠.

٤٤ـ المكتبة الافتراضية والتراث العربي. ـ الدار البيضاء: الاتّحاد العربي للمكتبات والمعلومات، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٨ ص.

٤٥ـ من تجارب العمل الخيري بمنطقة الخليج العربية: المأسسة والعراقة: ورقة مقدَّمة لفعاليات الملتقى السنوي الثاني عشر لشباب دول مجلس التعاون الخليجي. ـ القصيم/ المملكة العربية السعودية، ٣ ـ ٧/ ٣/ ١٤٣٢هـ/ ٦ ـ ١٠/ ٢/ ٢٠١١م. ـ (محاضرة).

٤٦ـ مناهج التأثُر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب. ـ أبها: النادي الأدبي بعسير، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. ـ ٣٨ ص. (محاضرة).

أ ـ ونشرت في مجلة بيادر الصادرة عن النادي الأدبي بعسير.

٤٧ـ منهج التأثُّر والتأثير في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب: حال العرب والألمان. ـ ص ٣١١ ـ ٣٣٦. ـ في: المؤتمر الدولي الرابع: الثقافة العربية الإسلامية: الوحدة والتنوُّع. ـ ١ ـ ٣ ربيع الأول ١٤٢٩هـ الموافق ٩ ـ ١١ مارس ٢٠٠٨م. ـ المنيا: كليّة دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤٨ـ منطلقات ثقافية لحقوق الإنسان وإشكالية المصطلح. ـ باريس: اليونسكو، ٥/ ١٢/ ١٤٢٩هـ ـ ٣/ ١٢/ ٢٠٠٨م. ـ ٢٧ ص.

٤٩ـ الموسوعة الفِكـرِيَّةُ عَبدُالوهَّاب المسِيري. ـ (محاضرة) النادي الأدبي بالرياض (السبت ٢٠/ ٦/ ١٤٣٠هـ الموافق ١٣/ ٦/ ٢٠٠٩م). ـ ٨٠ ص.

٥٠ـ نظرة المستشرقين للملك عبدالعزيز وجهوده في توحيد المملكة العربية السعودية. ـ في: بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مئة عام ٧ ـ ١١/ ١٤١٩هـ الموافق ٢٤ ـ ٢٨/ ١٩٩٩م. ـ الرياض: الأمانة العامَّة للمؤتمر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ـ ٤٦ ص.

٥١ـ نقد الاستشراق: مقدِّمة لرصد وراقي «ببليوجرافي». ـ مجلة جامعة الإمام محمّد الإسلامية. ـ ع (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٥٢ـ وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية. ـ مجلّة التعاون الصناعي في الخليج العربي (الدوحة). ـ ع ٨٩ (يوليو ٢٠٠٢م). ـ ص ٥٨ ـ ٧٥

53- Cultural Issues in Human Rights and the Vagueness of Terminology-. Perth, Australia: Center for Studies of Muslim States and Societies, University of Western Australiã 2009. - 20p.

54- Index of Information Utilizaion Potencial (IUP) as an Information Measure. - Arab Journal for Librarianship & Information Science. - v. 7, no. 3 (7/1987). - p.4 - 14.

55- Manpower Deficiency in Saudi Arabia: Its Effect on the Library and Information Profession. - International Library Review 14: 3 - 20 (1982).

56- Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World. - Journal of Muslim Social Scientists, 1982. 18p.

57- Principles for Planning Library Education Programs

in the Muslim World. - Presented in the First Conference of Muslim Librarians and Information Scientists. Sponsored by the Muslim Students' Association. West Lafayettẽ Indiana: Purdue University 1982. 18 p.

المحتوى